

تحت الرعاية السامية لفخامة السيد محمد ولد الشيخ الغزواني
رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية



أعمال المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم بذل السلم للعالم

Conférence Africaine Pour La Paix

نواكشوط 08 - 10 فبراير 2022
Nouakchott, 08 - 10 Février 2022



مبادرة مشتركة بين الحكومة الموريتانية ومنتدى أبوظبي للسلام
أول مؤتمر إفريقي يجمع مسؤولي الدول والعلماء والشباب على طاولة واحدة

Initiative conjointe Entre le gouvernement mauritanien et le Forum d'Abou Dhabi pour la Paix
La première conférence africaine à réunir des représentants des États,
des Oulémas et des jeunes leaders autour d'une même table









الورقة التصورية





بذل السلام للعالم

هي عبارة نبوية شريفة، ففي الحديث الصحيح الذي يرويه البخاري موقوفا على عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال، "ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار".

الهدف

يهدف الملتقى الثاني للمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم إلى أن يكون منصة لتبادل الخبرات بين القيادات الدينية في إفريقيا وفضاء للتباحث والتدارس حول قضايا السلم والمصالحات. كما يسعى للجمع بين التأطير العلمي لقيم التعايش والتسامح وبين الخروج بمبادرات عملية تسهم في تعزيز السلم وحماية المجتمعات من خطر التطرف والإرهاب.

السياق

لقد حظي مؤتمر "دور الإسلام في إفريقيا: التسامح والاعتدال ضد التطرف والاقنتال"، وإعلان نواكشوط الصادر عنه بقبول واستحسان عظيمين ونال الكثير من الإشادة والتنويه، على المستويين الإقليمي والدولي، مما برهن على وجاهة المبادرة وراهنية الموضوع، كما عكس الآمال الجسام والثقة الأصلية التي تنيطها مجتمعاتنا الإفريقية بقادتها الدينيين ليضطلعوا بواجبهم العلمي والإرشادي إلى جانب سائر فعاليات المجتمع والمنظم الدولي في وقف نزيف الدماء المعصومة وانتهاك





الحرمان المصونة.

واستثمارا لهذا النجاح وتفعيلا لمخرجات إعلان نواكشوط 2020، واستجابة للحاجة الملحة إلى جهد مشترك بين القيادات الدينية في المنطقة لمواجهة خطر الإرهاب والتطرف، اختار المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم شعار "بذل السلام للعالم" عنوانا لملتقاه الثاني. وذلك تماشيا مع ما ورد في إعلان نواكشوط 2020 حيث "دعا المؤتمر المشاركين إلى ابتكار حلول تستنير بمقاصد الشريعة السمحة في الحفاظ على الضروريات الخمس، وملاحم التراث الإفريقي العريق في المصالحات وتجنب النزاعات الأهلية".

وفي الوقت الذي تقوم الحكومات في المنطقة بوضع المقاربات الأمنية وتأسيس الأحلاف العسكرية للقضاء على فتنة التطرف، لا يسع العلماء إلا أن يواكبوا هذه الجهود بإنشاء جبهة فكرية للدفاع عن الأوطان ولصيانة الأديان، ببت الطمأنينة في النفوس وإطفاء الحرائق في القلوب.

ينطلق المؤتمر الإفريقي من الوعي بضرورة اضطلاع القيادات الدينية في إفريقيا بمسؤوليتهم الدينية والوطنية والتاريخية من خلال تقديم مقترحات عملية تهدف إلى نقل بلدان القارة -ممثلة في فعاليتها الدينية- من حالة التأثر والانفعال، إلى مرحلة التأثير الفعال، ومن المسايرة إلى المبادرة في تعزيز السلام الإقليمي والعالمي.





أسئلة المؤتمر

تركيز هذا المؤتمر منصب بشكل أساسي على تأصيل السلم ومبدا الحوار والمصالحات وعلى صناعة نموذج إفريقي في الرد على خطاب العنف والإرهاب الذي يستخدم الدين لأغراضه المدمرة، نموذج يمتاح من ثراء تراثنا الثقافي وتعدد روافدنا الحضارية وتنوع نظمنا الاجتماعية.

ويتباحث حول ما يلي:

كيف نعزز السلم؟ كيف نوقف الحروب الأهلية؟ كيف نمنع التطرف والإرهاب؟ كيف نعزز دور الدولة الوطنية؟ ماهي النماذج التي يمكن أن تفيدينا في صناعة الآليات المنشودة؟ كيف ننمي القدرات الحوارية والتواصلية لدى القيادات الدينية لتمكينها من الاضطلاع بدورها في مواجهة الخطاب المتطرف؟

محاوِر المؤتمر

يتوخى المؤتمر الإفريقي للسلم في نسخته الثانية الاشتغال على المحاور التالية:

المحور الأول: إفريقيا - الوضع الراهن

وهو محور وصفي يعنى بدراسة تمظهرات وجذور العنف والإرهاب في القارة، من خلال رسم خارطة الأزمات، وتحليل بعض الحالات النموذجية التي تمكّن من مقاربة الوضع الراهن في كل تركيبه وتعقيده.





المحور الثاني: تفكيك الخطاب المتطرف، "المفاهيم الشرعية" بين المحددات الضابطة والأخلال المنهجية

هو محور تأصيلي يواصل ما كنا شرعنا فيه في النسخة الأولى من العمل على رفع الانتباس الحاصل والمقصود الذي تعرض له الدين في العقود الأخيرة على يد منتحلي الشرعية الدينية ببيان المغالطات التأويلية والتحريفات المفهومية وتفكيك خطاب التطرف والعنف وتقديم منهج متين لاستعادة الوسطية والاعتدال في الدين.

كما يهدف هذا المحور إلى تحقيق المصالحة الضرورية بين الهوية الدينية والهوية الوطنية، ورفع التعارض بينهما، الموهوم لدى المتطرفين، الذين يفترضون تعارضاً ذاتياً بين الولاء للدين والولاء للوطن، فسيكون الاهتمام متوجّهاً إلى قلب المعادلة ليكون الانتماء الديني حافزاً لتجسيد المواطنة وتحييد سلبيات تأثير عامل الاختلاف الديني عليها، وإعادة بناء الثقة بين سكان المنطقة ودولهم الوطنية وتعزيز شعورهم بالانتماء لها.

المحور الثالث: التراث الإفريقي رافد للسلم

وهو محور تاريخي يقصد إلى استثارة التراث الثقافي الإفريقي لاستلهام النماذج المضيئة في مجال تعزيز قيم السلم والتسامح والتعايش، وفض النزاعات بطرق سلمية، كما جسّدت جلسات الحكمة تحت ظل شجرة البواباب الإفريقية لتدبير الاختلاف بين المزارعين والرعاة.





المحور الرابع: الحوارات والمصالحات وتعزيز السلم المجتمعي

وهو محور تدريبي يروم تدريب القادة الدينيين والفاعلين الاجتماعيين والنشطاء على الحوار والتواصل الإيجابي، بوصفه الوسيلة المثلى في تسوية النزاعات وحل المشاكل، كما يهدف إلى خلق مزيد من الآليات للتبادل الثقافي والحوار المثمر والفعال بين مختلف الفعاليات الإفريقية، وفتح وسائل الإعلام لنشر الحوارات وتعميمها في الجامعات والمراكز البحثية والفكرية.

المحور الخامس: مستقبل إفريقيا- تعليم الجاهل وتشغيل

العاطل

وهو محور استشاري يتوجه فيه النظر إلى البحث في الشروط التنموية للسلم، وبلورة مشاريع محلية لامركزية وإقليمية اقتصادية للتنمية الشاملة ومعالجة الهشاشة والفقر والبطالة ومختلف عوامل البيئة الحاضنة للتطرف، وذلك عن طريق دعم التعليم وبرامج التكوين والتأهيل وتوفير الخدمات الأساسية.

وسيشهد المؤتمر كذلك عدة ورشات حول الأدوار الإيجابية للتعليم والإعلام والشباب في صناعة السلم ومكافحة التطرف.

مخرجات المؤتمر

تأسيس هيئة قارية دولية مقرها بالعاصمة نواكشوط، تحمل اسم "المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم"، تضمن لجهود السلم الديمومة وتمنحها مزيدا من الفاعلية، كما تمكن من تعزيز أواصر التنسيق والتعاون بين العلماء وخلق إطار مؤسسي





11



نواكشوط 08 - 10 فبراير 2022

دائم للعمل الميداني المشترك.







الجلسة الافتتاحية





كلمة فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية

محمد ولد الشيخ الغزواني

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام، على أشرف
المرسلين

معالي الوزير الأول

السيد رئيس المجلس الدستوري

السيد زعيم المعارضة

السادة الوزراء

سماحة العلامة الشيخ عبد الله بن بيه رئيس منتدى أبوظبي

للسلم

أصحاب السعادة السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية

السادة والسيدات ممثلو المنظمات الدولية المعتمدة في

بلادنا

أصحاب السماحة العلماء المشاركون في المؤتمر.

أيها الحضور الكريم، يطيب لي ابتداء أن أرحب بأصحاب

الفضيلة والسماحة العلماء وبكافة ضيوفنا الكرام على أرض

الجمهورية الإسلامية الموريتانية التي ظلت على مر العصور

وجهة للعلماء والباحثين من شتى أنحاء العالم وفضاء تنوع

ثقافي ثري ومصدر إشعاع حضاري واسع انتشرت بفضلها تعاليم

الدين الإسلامي الحنيف وقيمه الخالدة من تسامح وإخاء ووسطية





في ربوع هذه المنطقة.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى صاحب السماحة الشيخ عبد الله بن بيه رئيس منتدى أبو ظبي للسلم على تنظيم هذه النسخة الثانية من المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم، وكذلك على ما دأب عليه سماحته من تكريس علمه ودقيق فهمه لكبريات قضايا العصر وما تنطوي عليه من تحديات جسيمة لترسيخ السلام والموودة والإخاء بين شعوب العالم.

غني عن البيان اليوم أن التطرف وما ينشأ عنه من عنف وإرهاب يحصد أرواح الأبرياء ويلحق بالغ الضرر باقتصادات العديد من البلدان وبأمنها واستقرارها يشكل اليوم خاصة في قارتنا الإفريقية خطرا محدقا يهدد كيانات الدول ويسد كل آفاق الاستقرار والتنمية.

ونظرا لتعقيد ظاهرة التطرف والإرهاب بحكم تشابك عواملها المتعددة، فقد تبنت الجمهورية الإسلامية الموريتانية في مواجهتها استراتيجية مندمجة ومتكاملة لم تقتصر على البعد العسكري والتنموي فحسب، بل شملت كذلك بعدا فكريا هو محور أساس في بنيتها العامة، إذ التطرف في الأفكار هو غالبا منشأ التطرف والعنف في الأفعال.

فالفكر المتطرف يجد في هشاشة الأوضاع الاجتماعية والظلم والفقر والجهل والبطالة بيئة مواتية للنمو والانتشار في الجسم الاجتماعي، خاصة في فئة الشباب؛ ليتحول على إثر ذلك إلى عنف إرهابي فعلي هادم وفتاك. صحيح أن الانتصار





على الإرهاب يستلزم ضرورة كسر شوكته العسكرية، وكذلك حرمانه من بيئة مواتية بالعمل على مكافحة الجهل والبطالة والفقر وعلى إقامة دولة قانون راسخة الأساس وبناء تنمية شاملة مستدامة، لكنه يتطلب كذلك في المرتبة الأولى العمل على تنقية العقول من بذور التطرف الفكري بإشاعة ثقافة السلام والمحبة والإخاء وبنشر قيم الدين الإسلامي الحنيف من تسامح ووسطية وانفتاح والذب عنها في وجه القراءات المنحرفة والتأويلات الزائفة.

وإن مما يعول عليه كثيرا بعد الله تبارك وتعالى في ذلك كله مؤتمر كرم هذا الذي نشرف اليوم على افتتاح نسخته الثانية، وإنما لعل يقين من أن ما سيتمخض عنه من خطط عمل واستراتيجيات وتوصيات مستنيرة، وما سينشأ عن صداه من مبادرات نظيرة في إفريقيا والعالم عموما سيسهم بحول الله وقوته في بذل السلام للعالم وإشاعة روح التسامح والانفتاح على نحو تجف به منابع العنف والتطرف.

وإنني إذ أعلن على بركة الله افتتاح النسخة الثانية للمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم تحت شعار "بذل السلام للعالم" لأرجو لأعمالها كل النجاح والتوفيق.

وأشكركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.







خطاب فخامة السيد محمد بازوم

رئيس جمهورية النيجر

بمناسبة المؤتمر الإفريقي الثاني لتعزيز السلم – 2022-
نواكشوط
معالي وزير الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي في موريتانيا،
سيداتى وسادتى الوزراء،
فضيلة العلامة الشيخ عبد الله بن بيه، رئيس منتدى أبو ظبي
للسلم.

سيداتى وسادتى السفراء،
السادة العلماء الأفاضل من جميع أنحاء أفريقيا،
سيداتى وسادتى.

أود أن أعرب عن خالص شكري للشيخ عبد الله بن بيه، رئيس
منتدى أبو ظبي للسلم، على الشرف الذي اختصني به فتكّرم لي
بهذه الفرصة الجميلة لمخاطبة هذا الجمهور المرموق من رجال
الإيمان، ومن العلماء للتحدث عن الإسلام والسلم، كما يراه ديننا.
وأؤكد أن هذا النقاش ضروري ومستعجل. صحيح أنه باسم
الإسلام ترتكب اليوم العديد من الفظاعات في أنحاء عديدة من
العالم. وإن أولئك الذين يشوّهون الإسلام كثيرا، ويقدمون عنه
صورة سلبية على المستوى الدولي، إنما يفعلون ذلك استنادا
على تأويلات تناقض ما جاء في هذا النص من تشريعات





وأحكام دقيقة. وواجبنا كمسلمين هو التصدي لكل تلك القراءات المنحرفة وللتصرفات الضالة التي تتولد عنها، وذلك بغية تحقيق الانتصار للمشروع الإنساني العميق لهذا الدين البعيد جدا عن الصورة الكاريكاتيرية الذي تُقدِّمُ عنه.

ويسرني بشكل خاص أن هذا النقاش تجري أحداثه في موريتانيا هذه المرة، وهي مهد إسلام حمله رجال علماء بقدر ما هم مخلصون، وضمنوا انتشاره في جميع أنحاء منطقة الساحل وما وراءه. ولعمري، إن هذا الإسلام الموريتاني لهو النموذج الأصيل للإسلام الذي لا يفسح أي مجال للعنف والأوهام النظرية التي تغذيها.

السيدات والسادة، التحية التي تستعمل لدى المسلمين: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»، هي إعلان قبل كل شيء عن النوايا الصافية التي هي مبدأ من ضمن مبادئ حياتنا الدينية والدينية. والحقيقة أن الإسلام دعا دائما إلى السلم والاحترام المتبادل بين الأفراد وبين الشعوب، ومع الذات بكل بساطة. إن التعاطف وبذل الخير والإحسان إزاء الشعوب وأديان العائلة الإبراهيمية مبدأ ديني واجتماعي. وحتى في سياق القرن السابع الهجري في شبه جزيرة العرب، كانت هناك حاجة إلى السلم بين القبائل من أجل وضع حد للغارات بغية استتباب الأمن والهدوء بين الناس في أنشطتهم الاقتصادية، ولا سيما تجارة القوافل. لذلك شرع الإسلام على الفور تقويما دينيا يفرض فترات هدنة بين مختلف النزاعات القبلية والتجارية. وقد لعبت قبيلة قريش،





وهي قبيلة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، دورا كبيرا في عملية توحيد القبائل التي تعيش على الأنشطة الرعوية وممارسة التجارة. كما أفضت المنفَعات التجارية إلى تهدئة النزاعات القبلية في منطقة الحجاز، مهد الإسلام، ولاسيما في مكة. صحيح أن مبدأ الصراع لم يتوارَ تماما، نظرا لاستمرار أشكال من العنف في الوجود، بما في ذلك ألوان من الاسترقاق والاستعباد نفسه. لكن الأخلاق كانت دائما موضوع تهذيب مستمر وبشكل ملحوظ، مما أدى إلى زيادة الشعور بالأمن. من ثم، يقوم الإسلام على المطالبة بالسلم والمحبة والإحسان والاعتراف بكرامة الإنسان على أساس التسامي والإيمان المشترك. فهو يقترح مجتمعا يسوده السلم والوفاق، ليس على العرب فقط، وإنما على البشرية جمعاء. وإذ يجعل الإسلام من العلم ضرورة ملحة من خلال أمره بالقراءة: إقرأ، فإنه بذلك يهيئ الأجواء والظروف لكيلا تكون الممارسات الدينية متناقضة مع الإحسان إلى الناس ومع التواضع للذين لا بد منهما من أجل تحقيق السلم. لذلك تنصُّ العديد من السور وتكشف بوضوح عن الروابط الوثيقة بين السلم والإسلام كما يقول ربنا عز وجل في محكم تنزيله، (الحق من ربكم، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (سورة 2، الآية 29). أو في الآية الأخرى التي تقول فيها: (لا إكراه في الدين) (سورة 2 الآية 256). أو قوله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 190]. وهذا يكتسي أهمية بالغة (ولا تعندوا)! أو في قوله تعالى أيضا: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ





الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿الفرقان: 63﴾.

من الأهمية بمكان التذكير بأن مصطلحي **سلم** و**سلام**، بدالتهما على السلم، مقابل الحرب، يتكرران في 49 سورة. فالواقع، أن السلام موضوع بحث بالنسبة للمسلم، من دون أن يجعل ذلك منه خضوعاً. فالإسلام يعني التواضع بالمعنى الذي يؤكد سقراط في قوله: "اعرف نفسك بنفسك". فعند سقراط هذه العبارة شكل من أشكال أخلاقيات التواضع، من خلال رفض خطيئة الكبرياء والغرور التي كانت لدى أولئك الذين كان يناقشهم، وهم السفستائيون اليونان في ذلك الوقت، وبالتالي من خلال الاعتراف المتدبر بمحدودية الإنسان الزائل. ذلك أن الانفتاح على التسامح والتواضع ينطلق في الإسلام من شبه ضرورة. وميزة المسلم، كما قلنا، هي أن يتعلم، وفقاً للأمر القرآني إقرأ، لكي يتجنب أن يرى نفسه متعالياً على خالقه موجد هو وموجد الكون. آنذاك يعلم الإنسان، بالنسبة إلى خالقه، أنه فان؛ وعندما يعلم ذلك، يصبح بالضرورة متواضعاً، وإذا تواضع انتفى عنه التجبر.

ومن أجل فهم ذلك تمام الفهم، يجب أن نشير إلى معنى كلمة "الجهاد"، وهو مصطلح للأسف لأصابه الكثير من التشويش، والعديد من الجدال. إن أكثر المعاني شيوعاً لهذا المصطلح اليوم ينبع للأسف من سوء فهم، لأن الجهاد يتمثل في بذل الجهد وبحث شخصي وروحي قبل كل شيء. إذ على الإنسان، من خلال الجهاد، أن يحرر نفسه من الكبرياء والغرور حتى يتلقى بتواضع





كلمة السلم في روح وقلب المسلم، ذلك المسلم الذي تُهذبه ممارسته ما عليه من العبادات ومن الواجبات الدينية ومن إيمان، وبالأخص ذلك المسلم الذي تهذُّه في نفسه عناية الله التي تحيط به من داخله وخارجه. فهذا الجهاد الأكبر (بمعنى الجهد)، له دلالة جسدية وفكرية. إذن هذا الجهاد الروحي الأكبر الذي يختلف عن الجهاد الأصغر - بمعنى المواجهة العسكرية - الذي هو النوع الأكثر انتشاراً في أيامنا مع الأسف؛ والذي يتم استخدامه بشكل مسيء جداً، كما قلت سابقاً، ذلك الجهاد الأكبر يسمح باحتواء عنف النزعات الشيطانية التي تستبد بكل نفس بشرية. فالمسلم الصحيح هو رجل سلام يسعى نحو العمل الصالح لكي يصل من خلال صفائه الروحي إلى طمأنينة السلام من أجل أن يحقق ما فيه خير الأمة جمعاء.

الفتنة الكبيرة هي التي تحدث شرخاً في النفس الداخلية للمؤمن، تلك النفس التي تغتر بالدنيا وتتبعها بدلاً من اتباع كلام الله الذي أنزل كلمته في روحه من خلال القرآن العظيم.

من ثم، يمكن فهم العبارة الداعية إلى اعتناق الإسلام (أسلم تسلم) يمكن ترجمته وفهمه بمعنيين: فهناك معنى يستحق في الحقيقة بأن نحفظ به: وهو "أسلم لكي تسلم حياتك". أو "أسلم، وستحیی في سلام"، وستنزل عليك السكينة، ويتحقق لك سلامك الروحي، وهي القراءة التي أعتقد أننا يجب أن نحفظ بها.

فإذا أغفلنا أن أحد أسماء الله هو "السلام"، يمكن أن نكون





عرضة لخطأ بسبب الفهم الحرفي، ونخطئ المقصود إزاء الأمر الإلهي، كما قلت آنفا، وهو أن يكون الإنسان مسالما مع نفسه ومع الآخر والعالم، بكل بساطة.

السيدات والسادة: في الحقيقة، علينا ألا نخلط بين الحروب التي يجب أن نباشرها وبين غيرها، فقد حسم الفقهاء المالكيون في الغرب الإسلامي القضية بالطريقة التي نعرفها. ووفقا لهم، يجب الامتثال للسلطة التي تحترم الممارسة الدينية للمواطنين وللخاضعين للشريعة الإلهية. وبهذا المعنى، فإن السلطة الدينية الشرعية التي لا يعميها الحاضر تشجع على السلم الأهلي، ولا تخلط بين الصراعات في العالم الروحي والصراعات في العالم الدنيوي؛ لكي نقتلع جذور العنف من ذواتنا بشكل أفضل ونتجنب الحروب بين البشر.

من الضروري التأكيد على أنه لا يمكن أن يوجد مسلمون حقيقيون وإرهابيون مجرمون في الوقت نفسه. فالإسلام يدين قتل الأبرياء. وكل رجل يعمل على تعزيز أسس السلم ترعاه العناية الإلهية، وهذا يتكرر في القرآن الكريم. وكل رجل يزهد ويقتل الأرواح الأبرياء من الإخوة والأخوات باسم الله، هو مجرم، ويخطي من ناحيتين: مجرم لأنه إنسان، ومجرم لأنه مسلم.

إن العنف الإرهابي هو عدو الله، لأنه عدو "السلم" الذي هو أحد الأسماء الحسنى التي يعترف بها كل المسلمين على وجه الأرض. إن العقائد التي بنيت خارج المسار التاريخي، والتي يعتمد عليها المجرمون بطريقة غير شرعية على الإطلاق، هي





مرجعيات بعيدة كل البعد عن مفردات التصور القرآني وعن فهمه الصحيح. وهذا هو السبب الذي جعل أنها تنتج أنظمة جامدة تؤدي بالضرورة إلى الاصطدام الحضاري، وتنكر الطابع الشامل والأخوي العميق للإسلام.

وبناء عليه، فإن الضلال يتمثل في نسيان معنى اكتساب العلم والتواضع الذي يمثل أسس الممارسة الشعائرية للإسلام التي تؤدي إلى هذا السلام الأخوي والعدل. إن السلام في الإسلام يتطلب عملاً، وجهوداً متواصلة لقيادة الإنسان إلى المؤاخاة العميقة، وممارسة هذا السلام في النفس وخارجها، باعتباره الطريق الإلهي وطريقاً نحو الانفتاح على الآخرين كأخلاق الحياة الدينية. وبذلك ستكتشف مجتمعاتنا العدل والإحسان، الذي هو ضمان السلام والأمن في العالم.

سيداتي سادتي: إن بلدان منطقة الساحل في يومنا، التي يمكنني أن أتقدم لأتكلّم باسمها نيابة عنها في هذا المؤتمر، قد دمرتها حرب لا هوادة فيها، تسببها شباب مجندون باسم الإسلام، فتسبب عنفهم الوحشي في مقتل الآلاف ومئات الآلاف من النازحين. فلأن معظمهم يعيشون في الهشاشة المطلقة، وعدم مبالاتهم بما ابتلي به المسلمون، فقد حدث أن قُتل أناس بشكل جماعي داخل المساجد. حدث هذا في النيجر ونيجيريا، خلال شهر رمضان المبارك. فهل نحتاج حقاً إلى أن نكون واعين بالمسائل الدينية بشكل خاص حتى ندرك أن أولئك الذين اقتدروا على خلق هؤلاء المتعطشين للدماء أبعد





الناس عن الاهتمام بالإسلام؟!

الحق أنه، في منطقة الساحل أكثر من أي مكان آخر، فإن تفشي واستخدام الأفكار المتشددة، إن هو إلا وعاء لمشروع دنيء لرجال قليلون، يستغلون جهالة أوباش لصالح خدماتهم.

وبناء عليه، فإن الشباب غير المتعلمين الذين يقعون ضحية العنف في منطقتنا، والذين يعتقدون أنهم في خدمة الله، هم في الحقيقة في خدمة أناس جشعين يأمرونهم بسرقة ماشية الفقراء، وهذا ما يحدث اليوم في مالي والنيجر وبوركينا فاصو في حوض بحيرة تشاد، نعم، سرقة الماشية وفرض جزية على الفقراء المدقعين، ويسمونها - ويا لها من فضيحة - "زكاة".

إن منقطة مالي والنيجر وبوركينا فاصو وحوض بحيرة تشاد المتضررة من آفة الإرهاب الذي يدعي الانتماء إلى الإسلام، تعيش مآسي حقيقية على خلفية كوارث اقتصادية قد تمتد عواقبها لآماد طويلة على السكان الذين يعيشون بها. وليس من قبيل الصدف أن توجد في منطقة الساحل فروع للجماعتين الإرهابيتين الدوليتين وهما داعش والقاعدة، الذين يطلقون على الأراضي التي استولوا عليها مؤقنا اسم ولايات (ولاية إفريقيا الغربية)، وهي أبعد من أن تكشف عن استمرار القوى الدوغمانية التي تدعم لمشروعها، وقد أخذت هذه الظاهرة منعطفا كاريكاتوريا يكشف عن مأزقها الأخلاقي والسياسي.

وإن دل هذا على شيء في منطقة الساحل التي هي مسرح هذه المأساة اليوم، فإنما يدل على قصور في تربية الشباب





وتعليمهم، وعلى تدني أوضاعهم الاجتماعية. ولذلك، فنحن المسؤولين السياسيين، مدعوون، وكذلك بالطبع أنتم العلماء مدعوون للعمل. لدينا الكثير من العمل بانتظارنا. علينا العمل على تربية الشباب ونشر الوعي في صفوفهم. كما لديكم أنتم العلماء عمل لتثقيفهم بطريقة أخرى. ولكن قبل كل شيء لدينا الواجب نحن معا لقيادة المعركة من أجل شرح ماهية الإسلام، بعيدا عن الانحرافات التي تعرض لها من خلال القراءات الخطيرة التي أدت بمجتمعاتنا إلى الأزمة التي تغرق فيها اليوم. إنما السلام هو الحقيقة السياسية والروحية للإسلام.

"السلام" هو اسم الله الذي يكرره المسلمون يوميا، فلنحاول إذن من خلال أفعالنا وأقوالنا أن ننشر السلم في العالم الذي يشكل العنف والانقسام تحدياته اليومية، وهي أيضا تحديات للمسلم الحقيقي.

أشكركم، الشيخ عبد الله بن بيه، على حسن إصغائكم، كما أشكركم، إخوتي وأخواتي، على حسن إصغائكم وحضوركم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته





**خطاب معالي العلامة
عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه
رئيس منتدى أبو ظبي للسلم
رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، اللهم صلّ على سيدنا محمد نبي
الرحمة وعلى آله وصحبه وسلّم
فخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الشيخ الغزواني
حفظه الله ورعا،
أصحاب السمو والمعالي والفضيلة،
كل باسمه وجميل وسمه،
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

فخامة الرئيس،

يسعدني في مستهلّ كلمتي هذه أن أتقدم باسم الحاضرين
بجزيل الشكر لفخامتكم ولحكومة الجمهورية الإسلامية
الموريتانية على الرعاية الكريمة لهذا المؤتمر. إن منتدى أبو
ظبي للسلم، ليعتز بهذه الشراكة الهامة والضرورية التي تثمنها
دولة الإمارات العربية المتحدة التي ما فتئت تدعم جهود السلام
والمصالحات في كل دول العالم وبخاصة في إفريقيا ودول





الساحل انطلاقاً من رؤيتها الثابتة لأهمية التعايش والتصالح والتسامح وهي رؤية ترى أنه لا مستقبل لعالم يمتلك أسلحة الدمار الشامل إلا في ظلال السلام الدائم.

كما يسرني أن أرحب باسم المنتدى بضيوفنا من نخبة أهل السلوك المربين والقراء المجودين والمحدثين المبرزين والفقهاء المستبصرين والأكاديميين المبدعين، إن هذا المزيج يمثل أهل الحكمة الذين نعول عليهم لإثراء هذا المؤتمر بعلمهم وحصافتهم في تأليف القلوب وتنوير العقول.

إن ما حظي به إعلان انواكشوط في سنة 2020م من قبول واستحسان وما ناله من إشادة وتنويه، على المستويين الإقليمي والدولي من جهات على رأسها الاتحاد الإفريقي الذي تبنى على مستوى قمته في فبراير من نفس السنة مضامين (إعلان انواكشوط) ليبرهن على وجاهة المبادرة وراهنية الموضوع. كما يعكس هذا التقدير المكانة التي تحظى بها موريتانيا بمحاضرها وحواضرها وماضيها وحاضرها، في ظل قيادتكم الرشيدة فخامة الرئيس. ندعو الله تعالى أن يبقى موريتانيا خيمة يلتقي في ظلها العلماء والحكماء ومنبراً يدعو إلى الخير والسلام، ورائداً إقليمياً يسعى في المصالحات والتوافقات.

الجائحة وروح ركاب السفينة

يأتي مؤتمرنا لهذا العام وقد مرّ العالم، ولا يزال يمر، بجائحة كورونا التي أكدت أولوية البحث عن قيم التضامن فالبشر اليوم مثل ركاب السفينة يحكمهم مصير مشترك. وقد ضرب النبي





صلى الله عليه وسلم مثلاً للمجتمع بركاب سفينة من طابقين، أراد أصحاب الطابق الأسفل أن يعملوا خرقاً في الجزء الخاص بهم، وهنا ينبه الحديث على أن أهل الطابق الأعلى لو (تَرَكَوهُمُ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَّوْا جَمِيعًا). المصير المشترك يَعْنِي مسؤولية مشتركة.

واجب بذل السلام للعالم

لقد اخترنا لمؤتمرنا هذا العام شعاراً هو: (بذل السلام للعالم)، وهو مقتبس من الحديث الصحيح المحكوم له بالرفع الذي يرويه عمّار بن ياسر: "ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من إقتار". لماذا اخترنا هذا العنوان؟ البذل أكثر من مجرد العطاء، أما كلمة "العالم" في لغة العرب فتعني كل ما سوى الباري جل وعلا:

العالم اسمٌ ما سوى الديانٍ من نوعي الأعراض والأعيان
وأما السلام هنا فليس مجرد لفظ السلام، بل هو الأخلاق
وأَسباب المحبة كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر.

فالمسلم الحق مطلوب منه أن يبذل السلام للعالم كله إنساناً وحيواناً وبيئاً. أن يكف يده عن الأذى، ولسانه عن نشر الفتن، وقلبه عن الكراهية، ففي الحديث الصحيح: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ مَنِ الْمُسْلِمِ؟ مَنِ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ)، وفي رواية (مَنْ سَلِمَ النَّاسَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنَ مِنْ أَمْنِهِ النَّاسَ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ)، وهذه الرواية التي وردت فيها كلمة الناس هي صحيحة أيضاً، وهي تؤصل لمبدأ (عصمة الأدمي) كما يسميها الحنفية.





فهذا هو التعريف النبوي للمسلم الحق والمؤمن الحق والمجاهد الحق، وهذا الواجب العيني على كل مسلم لا يحتاج إلى شروط ولا أسباب لأنه إما ترك أو عمل في النفس. تحت هذه العناوين النبوية الشريفة ننطلق وفي ظلها نجتمع، لنقول إن الحروب والفتن تخالف الشرع وتناقض المصالح والقيم الإنسانية. إن هذا اللقاء الإفريقي له مهمة واحدة هي السعي إلى الخير والبحث عن مسوغات السلام.

طموحنا كبير، فنحن وإن كنا لا نقود كتائب فإننا نحمل كتباً، وإن كنا لا نرفع السلاح فإننا نرفع دعوة الصلح والإصلاح: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114].

أسئلة الوقت

إن للأزمات التي تعاني منها منطقتنا أبعاداً سياسية وتنموية واجتماعية وعليه فإن حلولها لا بد أن تكون شاملة، غير أن البعد الذي نحن بصددده هنا هو البعد الفكري، فإذا صلحت الأفكار صحّت الأعمال. اسمحوا لي أيها الحضور الكريم أن أسأل معكم أسئلة محددة هي بمثابة مفاتيح وإجاباتها هي الهدف الذي نسعى إليه في كل جهودنا: كيف نطفئ الحرائق الملتهبة في أنحاء القارة؟ كيف نوقف دائرة العنف والإرهاب المفرغة التي لا يعرف طرفها، ولا يدري القاتل فيها لم قتل ولا المقتول فيم قتل؟





إنّ هذه الأسئلة يمكن أن توجه إلى ثلاث جهات رئيسية: هم العلماء، وأولوا الأمر، والشباب.

واجب العلماء: التبيين وتحديد المفاهيم

الجهة الأولى هم العلماء العارفون بمقاصد الشريعة. نخطبهم لندعوهم إلى الالتفات إلى فقه السلم ففيه إحياء لجوانب مهمة من التوجيهات القرآنية والنبوية ومناج من السنن والسيرة المطهرة وضبط للمفاهيم الشرعية.

فالمفهوم الشرعي - كما لا يخفى على العلماء - محكوم بخطابين خطاب تكليف وخطاب وضع. فإذا اختلف خطاب الوضع بشروطه وأسبابه وموانعه، اختلف خطاب التكليف فينقلب المطلوب محرماً، بل إن الصلاة والصوم قد يحرمان إذا لم يستكملوا شروطهما وأسبابهما وانتفاء موانعهما، وهذا معلوم لديكم. وكذلك الجهاد وكل المصطلحات الشرعية.

إذاً فلا بد من تحديد وتجديد جملة من المفاهيم بكل قوة ووضوح وضبط علاقتها بالمصالح والكشف عن ضوابطها وحدودها الشرعية في ضوء النصوص الحاكمة والمقاصد الناظمة التي تعتبر (قبلة المجتهدين) كما يقول الغزالي.

إن كثيراً مما يعيشه الناس اليوم من فتن مرده إلى التباس مفاهيم دينية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد وطاعة أولي الأمر وهي مفاهيم كانت في الأصل سياجا على السلم وأدوات للحفاظ على الحياة ومظهرا من مظاهر الرحمة الربانية التي جاء بها الإسلام على لسان نبي الرحمة محمد صلى



الله عليه وسلم، فلما فهمت على غير حقيقتها وتشكلت في الأذهان بتصور يختلف عن أصل معناها وصورتها، انقلبت إلى ممارسات ضد مقصدها الأصلي وهدفها وغايتها.

إنكم أيها العلماء خير خلف لخير سلف، فكونوا دعاة للسلام ولا يكن في أنفسكم حرج بسبب فروع لا أصول لها ودعاوى لا بينات عليها، فأشجار السلام فروعها ظليلة ودوحاتها باسقة:

فلا تعدّ منها باسقا ومظلا

إن الدعوة إلى السلام هي دعوة إلى إحياء النفس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، وهي من واجبنا تجاه إخوتنا في الحديث الشريف: (مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ). وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّفْعِ أَنْ نَمْنَعَ إِخْوَتَنَا مِنَ الْفِتَنِ وَنَحْمِيَهُمْ مِنَ الْاِقْتِتَالِ وَالْقَتْلِ.

مؤتمرنا هذا هو منصة لإعلان الموقف الشرعي وفرصة للعلماء أن يدعوا كل حامل سلاح أن يضع سلاحه، وكل خارج عن الجماعة أن يعود إلى مجتمعه، وكل من كفر الناس أن يعود إلى منطق الشرع، فتكفير المسلم كقتله كما ورد في الحديث.

العلماء مهمتهم هي التبيين ومعنى ذلك أن كل حكم يتعلق بثلاث جهات هي جهات التبيين والتعيين والتمكين:

فالتبيين هو موقف لإظهار الحكم للناس، أما التعيين فيتعلق بأعيان من يتجه الحكم إليه، فالأول هو مهمة العلماء والفقهاء، وأما الثاني فهو مهمة القضاة، وأما الثالث فهو مهمة الجهات التنفيذية، فما نحن بصدده هنا هو التبيين، فكل جهة مهامها





ولكل مرتبة مقامها.

أهمية المصالحات والحوارات

الجهة الثانية التي نوجه إليها سؤال إطفاء الحريق، هم أولوا الأمر الذين عليهم مهمة التمكين.

وفي هذا السياق أرى أن من أهم ما ينبغي أن نبرزه في هذا الملتقى هو الدعوة إلى إعادة الفاعلية لمبدأ الحوار والمصالحة، انطلاقاً من قناعتنا الراسخة التي غدت كثير من الجهات الدولية تشاركنا فيها، بأن الحلول العسكرية والأمنية وحدها غير كافية، وأنه آن الأوان لنستعيد التراث الإفريقي الأصيل في التسامح وفي حل المشكلات بالحوار والوساطات والمصالحات بالحكمة تحت أشجار البواباب (الدوم) أو النخيل المثمرة.

إن التنازلات والملاءمات من صميم الشرع ومنطق العقل، هكذا علمنا النبي صلى الله عليه وسلم من خلال صلح الحديبية، ولا يعتبر هذا النوع من التنزيل للقيم تنازلاً عن حقيقة أو تخلياً عن حق، بل هو بحث عن أنجع السبل لإحقاق الحق ورد الظلم، وحتى لا ينقلب المظلوم ظالماً.

بالحوار يُبحث عن المشتركات والحلول الوسط التي تضمن مصالح الجميع، وتدرأً الحسم العنيف، وتبتكر الملاءمات والمواءمات، التي هي من طبيعة الوجود، ولهذا أقرها الإسلام، وفق موازين المصالح والمفاسد المعتمدة.

السلام طريق إقامة الواجبات الدينية

أما الجهة الثالثة التي نتوجه إليها بالخطاب فهم الشباب



لنقول لهم:

إن دعوة السلم هي دعوة محبة وشفقة على أبنائنا الشباب من أن يضيعوا أعمارهم وأوطانهم في تدمير ذاتي لا تعمير، وفي ضياع لا صلاح. إنه تذكير لهم بأن الأجدر بهم أن يعمروا الأوطان ويرفعوا البنيان ويقيموا الصلاة ويرفعوا الأذان وأن يحيوا الأرض بالزرع والعمل الصالح ونشر العلوم وبر الوالدين.

فالجهد كما شرعه الله عز وجل ومارسه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الراشدون، كان من أجل السلم والرحمة، وأما هذا الذي هم فيه:

فهو بغي وخروج على الناس بالسيف، لم تتوفر فيه أسباب الجهاد ولم تتوافر فيه شروطه، وهو عبث لا يحق حقا ولا يبطل باطلا، بل يزهق النفوس البريئة ويؤجج الاقتتال الداخلي والحروب الأهلية التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وكما قال الإمام أحمد لمن شاوروه في الخروج على السلطان في فتنة خلق القرآن (لا تقتلوا أنفسكم وتقتلوا المسلمين معكم).

وهو فساد في الأرض ينغص معاش الناس ويروّع أمنهم:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [البقرة: 204 -

205].





إِنَّ سَبِيلَ اللَّهِ، نَجَاةٌ وَلَيْسَتْ فَوْتًا، وَحَيَاةٌ وَلَيْسَتْ مَوْتًا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: 24]، وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال مرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم رجلٌ فرأى أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله لو كان هذا في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان).

أما تطبيق الشريعة الذي يرفعه البعض شعاراً فأول تطبيق للشريعة هو إحلال السلام وإيقاف الحرب.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا بد من مراعاة شروطه الخمسة واعتبار مراتبه الثلاث، وفي هذا يقول سيدي أحمد زروق رحمه الله: (والتعرضُ للأمور الجمهرية -وهذه عبارته- كالجهاد وردّ الظّلامات وتغيير المناكر بطريق القهر والاقْتدار دون يدِ سلطانية ولا ما يقوم مقامها من الخطط الشرعية مفتاح باب الفتنة وإهلاك للمساكين بغير حق).

وفي نفس المعنى يقول أحد مصلحي القارة الإفريقية الكبار، الشيخ عثمان بن فودي السوكوتي في كتابه إحياء السنة: (وهذا زمان المحن والفتن، فلا سبيل إلى التعرُّض للأمور الجمهرية بالقهر والتغليظ، فإن ذلك يؤدي إلى التلف والهلاك).





خمسيات تؤطر فقه السلام

أيها الشباب، السلام مقصد أعلى تتحقق من خلاله بقية المقاصد. احفظوا أيها الشباب: بالسلام ترفع الدعائم الخمس، وتقام الخمس، وتحفظ الكليات الخمس، وتحقق القيم الخمس، وتطبق القواعد الخمس.

في ظل الأمن والسلام ترفع دعائم الإسلام الخمس من شهادتين، وصلاة وصيام وزكاة وحج. وفي ظلها تقام الصلوات الخمس ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: 103]، فبالسلم تلتئم الجماعات والجمع ويرفع أذان الإيمان والأمان، وبه تحفظ الكليات الخمس من دين ونفس وعقل وعرض ومال.

هذه الضروريات الخمس هي أسمى حقوق الإنسان التي منحها له الله عز وجل، لا ثبوت لها ولا ثبات إلا في إطار المجتمع الآمن الذي يتمتع بدرجة من السلم. ففي ظل السلام وما يوفره من الألفة والسكينة والأمل تعرف أسبابها وتتوفر شروطها وترتفع موانعها وبفقدته تسفك الدماء المعصومة وتنتهك الأعراض المحترمة.

وفي ظل السلام تحقق القيم الخمس الحاكمة للشريعة من خير ورحمة، وعدل وحكمة ومصلحة. والتي ذكر ابن القيم منها أربعة وزدت الخامسة التي هي قيمة الخير.

وبالسلام تحقق القواعد الفقهية الخمس الناظمة لكل الشريعة، فالأمور بمقاصدها، والضرر يزال، والعادة محكمة، والمشقة تجلب التيسير، واليقين لا يزول بالشك.





قد أسس الفقه على رفع الضرر
 وأن ما يشق ما يجلب الوطر
 ونفي رفع القطع بالشك وأن
 يحكم العرف وزاد من فطن
 كون الأمور تتبع المقاصد
 مع تكلف في بعض وارد
 كما في المراقي، وإن كان أصل هذه القواعد ينسب إلى
 القاضي حسين المرزوي (المروروي) الشافعي.
 احفظوا عني هذه الخمسيات، واعلموا أن الحرمة لا ترتفع
 بالشك، والقتال دون مسوغات صحيحة مخالف للأوامر النبوية
 الصريحة كما في حجة الوداع:
 (إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحَرْمَةِ يَوْمِكُمْ
 هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا).

مقترحات وآفاق

وفي ختام هذه الرسائل العاجلة أؤكد على حاجتنا إلى
 مواصلة البحث عن خطاب جديد مقنع، وإلى مقاربة متجددة
 تفتح الآفاق وتقترح الحلول بعيداً عن خطاب اليأس والقنوط
 الذي نهي عنه المؤمنون: ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف:
 87].

وأختم هنا بمقترحات رمزية وعملية،
 المقترح الأول استحداث لجنة للحوار والمصالحات والتنمية،



تجمع بين الحكماء والوجهاء والعلماء في كل بلد، وتتعنى بالوساطات والمصالحات لفض النزاعات ذات الأشكال والأنماط المختلفة، سواء كان مردها إلى ضغائن وإحن تاريخية أو عصبية عرقية وقبلية أو كان سببها الفكر المتطرف والإرهاب.

ومن وظائف هذه الهيئة المقترحة التكوين والتدريب على ثقافة الحوار وآلياته ومبادئه وإشكالاته، بحيث يتسنى للمرشدين والمربين وجميع الفاعلين القدرة على ممارسة الحوار في تفاصيل حياتهم اليومية وعلى كل المستويات في علاقتهم بمجتمعاتهم من خلال إبداع وسائل مبتكرة للتواصل والتفاعل.

المقترح الثاني يتمثل في قوافل السلام، التي يمكن أن تتكون من الأئمة والوجهاء من مختلف العرقيات والقبائل في المناطق التي تعاني من الحروب الأهلية والصراعات الدموية. لقد جربنا في منتدى أبو ظبي للسلم إطلاق قوافل السلام في بيئات أخرى، وأثبتت نجاعتها وقدرتها على العمل الميداني المؤثر في نشر قيم التسامح والأخوة، مما يجعلنا نقترح تطبيقها بشيء يسير من التطوير، إن من شأن مثل هذه القوافل أن تكون رسل مودة تخفف غلواء الاختلاف وتعزز أواصر المحبة والأخوة داخل المجتمعات.

ولا شك أن هذا الجهد الفكري لا بد أن يرفده جهد تنموي يعمل على مساعدة المتضررين وتشغيل العاطلين وتعزيز دور الدولة وزيادة حضورها.





وختاماً أجدد شكري لفخامة الرئيس السيد محمد ولد الشيخ
الغزواني رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية على رعايته
الكريمة لهذا المؤتمر وأدعو الله أن يحفظ أوطاننا ويصلح أعمالنا
وأن يجعل اجتماعنا اجتماع خير وأن يكمله بالنجاح والتوفيق.
جعلنا الله من ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ
الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، اللهم افتح مسامع
قلوبنا لذكرك وطاعتك وارزقنا طاعتك وطاعة رسولك.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة
الله وبركاته.





كلمة الدكتور محمد كوني وزير الشؤون الدينية بجمهورية مالي

شكرا للشعب الموريتاني المضيف
ونكرم ضيفنا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيث مالا.
الشعب الموريتاني أكرم ودفنا كما قلت لكم من قبل سلفا
فهو في الحقيقة شعب مختار ولسنا ننسأه أبدا إن شاء الله،
والصلاة والسلام على نبي الرحمة الذي قيل في حقه:
وأُنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
فالكل في حق الحياة سواء
ولو أن إنسانا تخير ملة
ما اختار إلا دينك الفقراء
وصلى الله وبارك على محمد صلى الله عليه وسلم،
أقول:
أصحاب المعالي والسعادة
السادة والسيادات الكرماء الكريمات
صاحب الحكم الرشيد ذا الملجأ الرصين السيد محمد ولد الشيخ
الغزواني حفظه الله ورعاه ومنتعه بكل ما يلذ ويطاب.
صاحب العلم الرفيع والموسوعة الفذة الشيخ عبد الله بن بيه
أدامه الله ذخرا للإسلام والمسلمين.





أيها الحفل الكريم!

تغمرنى السعادة بمشاركتي بصفة رسمية في هذا المؤتمر لبذل السلام في العالم ومشاركة الوفد المالي الرفيع المستوى بالأئمة الأجلء والباحثين المتفانين والقادة الدينية المخلصين. أنقل إليكم أنا وزميلي وزير المصالحة العقيد الركن إسماعيل واغي، الرسالة الأخوية الإسلامية من رئيس الفترة الانتقالية العقيد هاشم غويتا، ورئيس الوزراء الدكتور شوغيل كوكالا ميغا، راجين من الله سبحانه وتعالى ومن إخوتنا في موريتانيا وفي كل بلاد غرب إفريقيا طي الصفحة التي يعرفها القاضي والداني والمضيّ قُدمًا بالتطورات التي تتطلع إليها شعوبنا بالتضامن والتعاطف وحسن الجوار.

إِإَمَّ الْخَلْفُ بَيْنَكُمْ إِإِمَّا
وَهَذِي الضَّجَّةُ الْكُبْرَى عَلَامَا

نعول عليكم السيد المَفدى محمد ولد الشيخ الغزواني بعد الله في رأب الصدع، وإزالة أسباب الخلاف، فالشيء من معدنه لا يستغرب، والحليب من الدَّع يُحلب، ومن أخفى علته مات فيها.

محمد ولد الشيخ ذو سلام

بإحقاق الحقوق بلا ملام

لا تنساكم دولتي مالي فعند الشدائد تُعرف الأصدقاء، وكيف لا يأتي مثل هذا الوفد الكريم إلى مثل هذه الأرض الطيبة أرض الشناقطة والشعراء.



أرض من المسك كافور جوانبها

يموج من فوقها بحر من الذهب

إذا لم تزر أرض الخصب رُكابنا فأى فتى بعد الخصب تزور
دولة مالي دولة صديقة تعتبر إخوتها أحبة في الله وتعاملهم
بالاحترام والتضامن وحسن الجوار رجاء في السلام والمعاملة
بالمثل وتحتاج إلى الأيدي الندية وتنادي بتضافر الجهود بين
الحكومات، وعليه نشكر جميع المنظمين لهذا المؤتمر في بذل
السلام للعالم ونشدّ على سواعد الأب الوفي المربي رئيس
منتدى أبوظبي للسلام وللسلم ورئيس مجلس الإمارات للإفتاء
الشرعي الشيخ عبد الله بن بيه.

كما نشكر كذلك الوفد المنطلق من جمهورية مالي الباحث
عن السلام في أرض السلام للشعب المالي المتماسك اجتماعيا
في كل فئاته، فالشعب المالي شعب مسالم مسلمه ومسيحه.
نشكر كل الوفود من جميع اصقاع العالم وإفريقيا، فقدمنا
للمحبة بين الدول والشعوب وقدمنا لبذل السلام في العالم،
وقدمنا لتكرار أمثال هذه المؤتمرات.

وصلى الله وسلم على نبي الرحمة والسلام،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته









الوضع الراهن والمقاربات





المقاربة الأمنية الموريتانية لمحاربة التطرف العنيف

محمد عبد الله الطالب اعبيدي

المدير العام المساعد للأمن الوطني في موريتانيا سابقاً

المتمثلة في الحرية والديمقراطية.

وقد بدا جلياً وجود تواصل قوي وارتباط عضوي على مستوى التخطيط والتنفيذ بين الحركات التي تمتهن العنف المسلح على المستوى الدولي، نظراً لتطور وسائل الاتصال، وخاصة التواصل الاجتماعي، كما أظهرت ذلك العمليات الأخيرة في بعض الدول.

ويشكل الوضع في منطقة الصحراء والساحل أحد أهم التهديدات الأمنية ليس فقط بالنسبة لدول المنطقة بل بالنسبة للقارات المجاورة والعالم.

ووعياً منها لهذه الأخطار، جعلت موريتانيا من محاربة التطرف العنيف والجريمة المنظمة أولوية وطنية بعد أن عانت سنين عدة من الإرهاب.

"لن نرضخ لإملاءات الإرهاب" تقول الاستراتيجية الموريتانية، حيث أعدت الدولة مقاربة أمنية متعددة الجوانب مكنت من إبعاد الإرهاب عن حدودها.

وتشكل المقاربة الأمنية جزءاً من استراتيجية مندمجة ومتكاملة تتكون من عدة أبعاد اقتصادية واجتماعية وفكرية





وأمنية.

وستتطرق في هذا البحث لمنطلق العقيدة الأمنية الموريتانية قبل أن نتعرض للمقاربة، التي تتبعها موريتانيا في مجال مواجهة التهديدات المتمثلة في العنف المسلح والجريمة المنظمة.

المنطلقات الاستراتيجية للمقاربة الأمنية

تنطلق العقيدة الأمنية الموريتانية من بعدين أساسيين:

1/ البعد الإقليمي،

2/ الوضع الداخلي،

أولا/ البعد الاقليمي والدولي

شهدت منطقة الشرق الأوسط على إثر ما سمي بالربيع العربي تغييرات جذرية اتسمت بالعنف المسلح وتمكنت الحركات الإرهابية من السيطرة على مناطق شاسعة من فضاءات بعض دول المنطقة انجرت عنها حروب دامية وكوارث بشرية لازالت تلقي بظلالها على عدة مناطق في العالم.

كما تعرف منطقة الصحراء والساحل اضطرابات أمنية خطيرة بعد استفحال الأزمة الليبية التي أدت إلى تمكين الجماعات المسلحة من مناطق عديدة من هذا البلد المترامي الأطراف والذي يمتلك أطول شاطئ على البحر الأبيض المتوسط، حيث وجدت فيه السلاح والتدريب والملاذ.

وقد شكل الفضاء الليبي "السائب"، منصة تواصل بين الحركات التي تنشط في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي





والشرق الأوسط مع مثيلاتها في المنطقة الغربية والوسطى من الصحراء والساحل.

فقد خلقت هذه البؤرة أرضية صالحة لنمو العديد من الحركات المسلحة، أعلنت ولاءها للتنظيم الإرهابي في بلاد المغرب الإسلامي إضافة إلى مجموعات أخرى التحقت بما يسمى بالدولة الإسلامية.

وقد تمكنت من السيطرة على عدة مناطق حساسة من هذا البلد وأظهرت استعراضاتها نوعيات متميزة من العتاد والسلاح. ناهيك عن استيطان العديد من المجموعات المسلحة الأخرى ذات الامتدادات المحلية والجهوية، التي يحركها طابع إجرامي حيث ترتبط بعصابات التهريب الناشطة في المنطقة مما أطلق العنان لكافة أنواع الجريمة سواء المتعلقة منها بالجريمة المنظمة أو الهجرة غير الشرعية أو الاتجار بالبشر، كما تقوم بتأجير خدماتها للفرقاء المتصارعين على السلطة في هذا البلد.

وقد أدت هذه الفوضى المدمرة إلى تدريب وتسليح وإسناد الحركات الإرهابية التي تنشط الآن في الغرب والوسط الإفريقي مؤدية إلى شل حركة التنمية وتهجير المواطنين عن مدنهم وأماكن عملهم في عدة دول من المنطقة.

وقد تمكنت هذه الحركات في الآونة الأخيرة من التمدد إلى عدة دول في الساحل ووصلت إلى خليج غينيا، حيث قامت بعمليات خلال النصف الأخير من السنة المنصرمة 2021.





وتقدر المساحة التي تنشط فيها الحركات المتطرفة، والمجموعات المسلحة، التي تمارس التهريب والمتاجرة بالمخدرات وبالبشر بأكثر من ثلاثة آلاف كلم، ما يعطيها هامشا كبيرا في التحرك والقيام بنشاطاتها بصورة تكاملية. إن هذا الوضع المضطرب جعل السلطات الموريتانية تأخذ بالحسبان جدية إمكانية انعكاسه على الأمن الداخلي للبلد.

2/ الوضع الداخلي،

تقع موريتانيا على البوابة الغربية لمنطقة الساحل والصحراء التي تمتد ما بين المحيط الأطلسي والبحر الأحمر، ناهيك عن العلاقات التاريخية والامتداد البشري للسكان الموريتانية في هذه الأصقاع مما يجعلها عرضة للهزات التي قد تحدث في البلدان.

وتشكل إحدى أكبر الدول الإفريقية من حيث المساحة (حوالي 6000 كلم من الحدود مع دول الجوار) ويمكن أن تعتبر أكبرها إذا قورنت هذه النسبة بعدد ساكنة البلاد، مما يضع أعباء إضافية على السلطات العمومية في تأمين هذا الحيز الجغرافي الشاسع. كما أن موقعها على أهم الطرق التجارية البحرية بشاطئ يزيد على 700 كلم، يعطيها أهمية استراتيجية خاصة نظرا لما تلعبه هذه الطرق من دور حيوي في اقتصاديات العالم.

وهذا الموقع الجغرافي يفتح لها حدودا مع الأمريكيتين ويجعلها هدفا لمهربي المخدرات الراغبين في الولوج إلى القارة الأوروبية، حيث أن تضيق الرقابة على الشواطئ الأوروبية





والأمريكية، جعل المهربين يبحثون عن منافذ أخرى للولوج لهذه القارة (خليج غينيا والساحل الغربي للمحيط الأطلسي) كما توجد موريتانيا على بعد مئات أميال فقط من فضاء (SHENGHEN) الأوربي الذي يضمن حرية التنقل داخله، مما يشجع على استغلال أراضيها سواء في مجال الهجرة غير الشرعية أو الجريمة المنظمة أو الإرهاب.

- وتشكل موريتانيا نقطة تواصل بين شمال وجنوب الصحراء عبر التاريخ وقد تعزز ذلك من خلال المنشآت والبنى التحتية الجديدة كطريق طنجة - قوقي وقريبا تيندوف - نواكشوط، إضافة إلى موانئ نواكشوط ونواذيبو واندياكو.

تحاذي موريتانيا بؤر توتر على حدودها الشمالية والجنوبية الشرقية عرفت تصاعدا خطيرا خلال السنة الماضية 2021، خاصة في منطقة الساحل الغربي، على الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلت، سواء على مستوى مجموعة الساحل الخمس أو عبر الدعم الأوربي وذلك لعدم الاستقرار في الفضاء الليبي، الذي ما زال يمد هذه الحركات بالبشر والعتاد.

كما استفادت هذه الحركات من الصراعات الداخلية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية لتثبيت وجودها وذلك من خلال العمل الاجتماعي وتعيين شخصيات محلية في مراكز قيادية.

وقد سبق لهذه الحركات أن أقامت خلايا تنشط في موريتانيا ونفذت عمليات إرهابية متعددة وصلت إلى العاصمة نواكشوط. إن قراءة متأنية لهذه المعطيات مكنت موريتانيا من وضع





مقاربة أمنية تأخذ بعين الاعتبار الثوابت والمتغيرات الداخلية والإقليمية والدولية من أجل المحافظة على أمنها.

ثانيا/ مرتكزات المقاربة الأمنية الموريتانية.

تعتمد هذه المقاربة على عدة مرتكزات من أهمها:

- الوقاية من الخطر،
- الحماية من التهديدات،
- المتابعة القضائية،
- التعاون مع الأطراف الإقليمية والدولية.

1/ الوقاية

تعتمد الوقاية على آليتين:

تتبنى السلطات العمومية مقاربة ناعمة تعتمد على مكافحة الغبن والهشاشة وتهدئة المناخ السياسي ومواجهة الغلو والتطرف من خلال تبني الإسلام الوسطي السامح في المناهج التعليمية وعبر وسائل الاتصال وقد تمثل ذلك في:

- خلق توافق سياسي بين كافة الفاعلين حول الثوابت الوطنية عبر التواصل والحوار.

- دعم الطبقات الهشة عبر مجهودات استثنائية، تمثلت في منح مخصصات شهرية والتكفل بعلاج مجموعات عريضة من ذوي الدخل المحدود وخلق فرص مدرة للدخل لصالح الشباب العاطلين عن العمل من أجل دمجهم في الدورة الاقتصادية.

مراجعة المناهج التعليمية لجعلها مطابقة للمذهب المالكي





الأشعري الوسطي، الذي يتبناه الشناقطة منذ فجر الإسلام.
أما الشق الثاني من هذه المقاربة فيعتمد على الآليات الصلبة
لمواجهة التهديدات:

تحديد مكامن التهديد والقضاء عليه قبل وصوله إلى هدفه،
إذ إن الخطر الإرهابي الذي يتهدد موريتانيا ذا مصدر خارجي من
حركات مسلحة تتمركز في فضاءات خارج الحدود الموريتانية
وذلك بعد أن تمكنت بلادنا من تفكيك كافة الخلايا الإرهابية
التي كانت تتواجد على التراب الوطني واستطاعت أن تحين
آلياتها الفاعلة في هذا المجال وتعتمد هذه الوقاية على:

أ/ العمليات الاستباقية

وفي هذه الإطار اعتمدت السلطات العمومية سياسة المبادرة
والمباغطة من خلال القيام بعمليات استباقية مكنت من القضاء
على مجموعات إرهابية كانت تحضر لهجمات ضد موريتانيا
وفي نفس السياق تم اقتياد منفذي عمليات إرهابية وكذلك
المتماثلين معهم من خارج التراب الوطني.

وفي مجال محاربة الاتجار بالمخدرات، تم إنشاء مكتب
متخصص لمتابعة شبكات التهريب وطرق مساراتها وتوقيفها
وتقديمها للعدالة.

وفي هذا الإطار تمكنت موريتانيا، خلال السنة 2021 من
تفكيك 13 شبكة متخصصة في تهريب المخدرات والمتاجرة
بها ومصادرة كميات كبيرة من أنواع المخدرات.

ب/ الحماية





تهدف السلطات العمومية في إطار هذه المقاربة إلى حماية المواطنين والمنشآت الحيوية والحد من الأخطار المحتملة وذلك باعتماد عدة آليات لمراقبة التراب الوطني وقد تجسد ذلك عبر عدة إجراءات.

1/ تنظيم الهجرة والإقامة

لقد قامت موريتانيا بإنشاء نظام للدفاع الميداني ومراقبة الحدود، تمثل في إنشاء مناطق عسكرية مغلقة ونقاط حدودية إلزامية وذلك من أجل تأمين ومراقبة وتسيير الهجرة على التراب الوطني.

وفي هذا الإطار أنشأت 51 نقطة حدودية إلزامية تشكل المعابر الشرعية الوحيدة من وإلى التراب الوطني وقد تم تزويدها بنظام معلوماتي لحفظ المعلومات وإرسالها بصورة آلية إلى المستوى المركزي، كما تم تزويد هذه النقاط بنظام بيو ميترى لضبط الهجرة ومكافحة تزوير الوثائق.

وتجدر الإشارة إلى أن ظاهرة الهجرة غير الشرعية عرفت تطورا غير مسبوق في السنتين الأخيرتين إثر تشديد الرقابة على الشواطئ الليبية، حيث ركزت شبكات التهريب على التوجه نحو الشواطئ الغربية للأطلسي في اتجاه جزر الكناري والصحراء الكبرى وقد تمكنت موريتانيا خلال سنة 2021 من تفكيك 73 شبكة متخصصة في المتاجرة بالبشر وإبعاد أكثر من سبعة آلاف مهاجر غير نظامي وهو مجهود استثنائي، حيث زادت النسبة بأكثر من 30%.



وموازاة مع ذلك تم تأمين الرقابة بين هذه النقاط في إطار خطة أمنية شاملة تعتمد كذلك على مناطق عسكرية مغلقة لتمكين القوات المسلحة من القيام بمهمة الرقابة والتأمين في هذه المناطق الوعرة والحساسة.

2/ تأمين الحالة المدنية ووثائق الهوية والإقامة والسفر وذلك بوضع نظام بيوميتري منطور وإصدار وثائق غير قابلة للتزوير.

3/ وقد تمت إعادة هيكلة القوات المسلحة وقوات الأمن ودعمها بالعدد والعدة وقد تراوح هذا الدعم بزيادة القدرات اللوجستية ما بين 300 إلى 400 ٪، كما تم تشكيل قوات نخبة تعنى بالتدخل في حالة وقوع عمليات إرهابية.

وكذلك إنشاء وحدات عسكرية تلائم طبيعة المنطقة وهي مجهزة بتقنيات حديثة تمكن كلا حسب حيزه من القيام بمهمته على الوجه الأكمل.

وقد مكن هذا العمل من توزيع المهام في إطار تكاملي، حيث توكل إلى الهيئات الأمنية المتخصصة مهمة الأمن الداخلي من ملاحقة ومتابعة الأشخاص والهيئات التي يمكن أن تشكل خطرا على الوطن.

ومن أجل خلق مناخ ملائم لمكافحة الإرهاب تقوم الدولة كذلك بمتابعة وسائل التمويل لتجفيف منابعه ومكافحة تبييض الأموال وتحويلها.

وقد أنشأت لهذا الغرض هيئة متخصصة تعنى بمتابعة





مصادر التحويلات المالية لدى البنوك، إضافة إلى مديرية الإدارة العامة للأمن الوطني تعنى بمكافحة الجرائم الاقتصادية والمالية.

وفى نفس السياق تتم متابعة بعض النشاطات المشبوهة لبعض الهيئات الجمعوية التي تنشط فى مجال المساعدات الاجتماعية.

ثانيا/ المتابعة

تهدف المتابعة إلى ملاحقة الضالعين في الأعمال الإرهابية من خلال تنظيم الإجراءات القضائية لتأخذ بعين الاعتبار خطورة الجرم الذي يقومون به وقد تم سن القانون رقم 2010/035 الصادر بتاريخ 21 يوليو 2010 الذي يلغي ويحل محل القانون رقم 2005/47 الصادر بتاريخ 26 يوليو 2005 وقد أخذ هذا القانون بعين الاعتبار كافة الجوانب المتعلقة بمكافحة الإرهاب، من تمويل وتدريب ووسائل اتصال... الخ.

وفي نفس الوقت أوكل اختصاص الضبطية القضائية فى هذا المجال لمديرية أمن الدولة نظرا لتخصصها فى هذا المجال وتطابقا مع مهمتها المتعلقة بمركزية المعلومات الخاصة بمكافحة الإرهاب.

إضافة إلى إنشاء قطب قضائي متخصص فى هذا المجال.

ثالثا/ التعاون

فى إطار مكافحة الإرهاب الذي يعتبر بطبيعته عابرا للقارات، فإن موريتانيا تولي أهمية خاصة للتعاون الإقليمي والدولي





وقد تم في هذا السياق المصادقة على عدة اتفاقيات إقليمية ودولية لمكافحة الإرهاب (الاتفاقية الدولية لمحاربة تمويل الإرهاب - اتفاقية الوحدة الإفريقية للحماية والوقاية ضد الإرهاب - الاتفاقية الدولية لمكافحة الأعمال الإرهابية ذات الطابع التفجيري.. الخ).

على المستوى الإقليمي، فإن موريتانيا عضو في المركز الإفريقي للدراسات والبحوث حول الإرهاب. وعلى مستوى شبه المنطقة فهي عضو في القيادة المشتركة الميدانية، التي تضم دول المنطقة. كما أنها عضو في هيئة التنسيق والدمج التي تضم مديري الأمن الخارجي لبعض دول الساحل.

وقد كانت عضوا فاعلا في إنشاء مجموعة الساحل الخمس، التي تتشكل من خمس دول ويوجد مقرها في نواكشوط وقد بدأت بتفعيل استراتيجية شبه إقليمية لمكافحة التهديدات المختلفة.

ويشكل "مسار نواكشوط" إطارا مرجعيا للتعاون ضد كافة أنواع الجريمة بالأخذ في عين الاعتبار الجوانب المساعدة على محاربته وخاصة بتفعيل ثنائية التنمية والأمن.

الخلاصة:

لا شك أن العمل الدؤوب الذي أدى إلى هذه النتائج، يحتاج إلى تحيين وتقييم دائم لمواجهة التحديات وملاءمة الاستراتيجية المتبعة مع الواقع المتغير دوليا وإقليميا ومحليا والذي يعرف





تطورا خطيرا يتمثل في تمدد الحركات المتطرفة إلى "خليج غينيا". مما قد يمكنها من التواصل مع الخلايا الموجودة في سـط القارة وجنوبها، حيث تنشط كذلك حركات إرهابية أخرى، إضافة إلى تطور شبكات الجريمة المنظمة التي تستغل هذا التمدد.

لقد كانت موريتانيا من أكثر دول المنطقة تضررا بالعمليات الإرهابية والجريمة المنظمة، خاصة الاتجار بالمخدرات إلا أنها استطاعت من خلال الإرادة القوية والآليات المتبعة كبح جماح النشاط الإرهابي المسلح على أراضيها، حيث لم تسجل فيها، عكس جميع دول المنطقة، أية عملية إرهابية منذ سنة 2011 وهو ما يمكن اعتباره نجاحا باهرا في الوضع الراهن، ينبغي الاستفادة منه كتجربة متميزة في منطقة الساحل والصحراء.







تفكيك الخطاب المتطرف وتصحيح المفاهيم





مفهوم التكفير أسبابه وطرق علاجه

سماحة الشيخ أحمد النور محمد الطو

مفتي تشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، لك الحمد ربنا
كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي
ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، علمنا يا ربنا ما ينفعنا
وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما وجنبنا مزالق الردى وارزقنا الإخلاص
في جميع ما يصدر منا من أقوال أو أفعال.

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المرسل رحمة للعالمين
والمتمم لمكارم الأخلاق، القائل: ((المسلم من سلم الناس من
لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم))
وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
وَسُبْحَانَ اللَّهِ ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

وبعد:

السادة الأجلاء أصحاب المعالي والسماحة والفضيلة كل
باسمه ومقامه.

سلام الله عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته.

هذه ورقة بعنوان: مفهوم التكفير أسبابه وطرق الوقاية





منه.

مقدمة للمشاركة في مؤتمر (بذل السلام للعالم) الذي سينظمه المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم، والذي سيقام في الفترة من: 8-9 فبراير 2022م. بنواكشوط عاصمة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، سلمها الله من كل مكروه.

أيها السادة العلماء الأفاضل قلت مرة في بعض المناسبات: إن السعي إلى ما يحصن العقل السليم الذي هو أساس التكليف وأحد أركان الكليات الستة التي أطبقت سائر الملل على المحافظة عليها مقصد من مقاصد الشريعة العليا، وخاصة حراسته والمحافظة عليه عموما من الانحراف عن الصراط المستقيم، وبالأخص في قضايا الإيمان والإسلام، وكما لا يخفى عليكم: أن الحكم بالكفر على إنسان استقر له الإسلام، أو الحكم عليه بالضلال أو البدعة أو النفاق لمجرد بعض التصورات أو الأخطاء يعتبر جناية كبرى، قد تؤول بذلك الجاني هو الآخر إلى الخروج عن ملة الإسلام من حيث لا يشعر، وذلك بشهادة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: (أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) رواه البخاري .

ونظرا لخطورة التكفير، وأنه كقتل الإنسان البريء بل أشد، فقد أرشد الإسلام عبر كلام الله المقدس - القرآن الكريم - والسنة النبوية الشريفة، إلى احترام هوية هذا الكائن الناطق بالشهادة، وعدم التشكيك بإسلام من أعلن إسلامه ولو في أحلك الظروف وأشدّها ضراوة، بل وحتى في ساحات حمى الوطيس واشتداد





القتال وتحت وقع السيوف على هامات الرجال، كما يبين ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]. وفي سبب نزول هذه الآية الكريمة عبرة لمن اعتبر وتأمل، كيف حافظ الإسلام على حرمة من يحمل الكلمة المشرفة لا إله إلا الله، فإنه كما في البخاري قال (أخبرنا أبو ظبيان قال سمعت أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم فلما غشيناها قال : لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمحي حتى قتلتها، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله قلت: كان متعوذا، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم).

وكفى بهذا زاجرا من الإقدام إلى هذه الخصلة الخطرة، فهذا وذلك يحتمان على العلماء القيام بواجب التوعية الذي أنيط بهم، والدعوة إلى طريق النجاة، ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، من دون التفات إلى أي ملتفت إليهم، فنحن المسلمين اليوم في أمس الحاجة إلى إظهار صورة الإسلام الحقيقية للعالم أجمع، فإن قبيلة من أبناء هذه الملة قد حجبوا تلك الصورة المشرقة للإسلام المحمدي الحنيف بتصرفاتهم المتطرفة باسم الغيرة على الإسلام، فأخطأوا خطأ فاحشا في حق الدعوة إلى الله،





ولهذا يتأكد لزاما على الأمناء من أبناء هذه الملة أفرادا وجماعات أن يظهروا للإنسانية جمعاء صورة الإسلام كما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه رحمة للعالمين لا نقمة عليهم، كما تصوره أفعال أولئك التكفيريين، فإن هذه الملة ليس لها بعد الله إلا أبناءؤها الصادقون الذين يؤمنون بها، وأنا وأمثالي كثيرون إذ نكتب هذه الكلمات عسانا أن نكون ممن قال فيهم سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم: (إن من الناس مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه) رواه ابن ماجه.

نسأله تعالى أن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ويتلخص ما نرمي إليه في هذه الورقة باختصار شديد في النقاط التالية:

- أولا: تعريف مختصر للتكفير لغة واصطلاحا
- ثانيا: تأصيل معنى الإيمان وبيان حقيقته
- ثالثا: الأسباب الحاملة للمتهورين على التكفير، وقد اخترنا منها ثلاثة فقط.
- رابعا: خطورة الإقدام على تكفير المسلم والحكم عليه بأنه ليس من أهل الملة.
- خامسا: السبيل العاصم للمسلم من تلك القواصم.





الكفر والتكفير في اللغة:

الكفر: يقال بالفتح والضم، الأول: الستر والتغطية، والثاني يطلق على الجحود وضد الإيمان، ويطلق أيضا على التغطية والستر، فهو مشترك مع الأول في هذا، لما فيه من تغطية للحق بجحده، يقال: كفر النعمة وبالنعمة جحدها وسترها بترك أداء شكرها، وكفر بكذا تبرأ منه، وكفر بالصانع، أي نفاه وعطل، وكفرته كفرا - بالفتح - سترته، ويقال للفلاح: كافر لأنه يكفر البذر، أي: يستره بالتراب.

قال لبيد:

(في ليلة كفر النجوم غمامها) أي سترها، ووصف الليل بالكافر لستره الأشخاص، وكفره بالتشديد نسبة إلى الكفر، أو قال له كفرت، والتكفير: مصدر لكفر بالتشديد، يقال: كفره يكفره تكفيرا، أي: حملة على الكفر وقضى به عليه، أو نسبة إليه، أو قال له كفرت، وهو بهذا المعنى يكون مرادفا للفظ الكفر في الاصطلاح، ويختلفان فقط في المصدر، فمصدر الأول: كفر وكفران ومصدر الثاني "تكفير، والأول لازم والثاني متعد، لأنه فعل واقع من الغير على الغير، قال الراغب في المفردات "والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما".

وهذه التصاريف العربية لهذه الكلمة أعني: كلمة (كفر) استبان منها أنها كسائر الكلمات العربية التي فيها الحقيقة والمجاز، فتارة يراد بها المعنى الحقيقي وطورا يراد بها المعنى





المجازي، فالتعامل معها وبها يجب أن لا يكون إلا على هذا الأساس اللغوي، فهي ككلمة (ظلم) وكلمة (فسق) في بعض تصاريدها، فكما يكون هناك ظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، يكون كفر دون كفر، وقد استعملها الشرع في كثير من الألفاظ على هذا المعنى المجازي، ومنه حديث البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم (أرأيت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن، قيل أيكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط). ولهذا بوب له البخاري في الصحيح بقوله (باب كفران العشير، وكفر دون كفر)، وبعده (باب ظلم دون ظلم)، فمن التعدي لحدود الله تعالى أن يفهم الكفر الحقيقي من قوله تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44] على الإطلاق من دون التفات إلى الحقيقة والمجاز، كما هو حال من أدخلوا الأمة في الفوضى التي شوهت معالم الإسلام، حيث حملوا هذه الآية الكريمة وأمثالها من النصوص على الكفر الحقيقي من دون تفصيل، وقاموا بأفعالهم الشنيعة بناء على هذا الفهم المغلوط، وهم في ذلك مخالفون لسائر أئمة الإسلام الذين اصطفاهم الله تعالى لتفسير كتابه العزيز، كما يأتي التنصيص على ذلك إن شاء الله تعالى، في بيان مسألة ما يسمى بالحاكمية، ولقد تحققت فيهم كلمة النبوة ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا





وأضلوا) وسيأتي تفصيل ذلك في الأسباب الحاملة على التكفير من أولئك المتشددين، ومن هنا ندرك السر في قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36]، وقوله صلى الله عليه وسلم ((إنما العلم بالتعلم..)) الحديث، وفي الأثر الذي رواه الإمام مسلم ((إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم)).

الكفر في الاصطلاح:

وأما في الاصطلاح، فيقال في تعريف كل من الكفر والتكفير: الحكم على الإنسان المسلم بالردة والخروج عن حصانة الإسلام بعد ما تقرر له بالشاهدين.

وهو بهذا المعنى حكم شرعي له ضوابطه وشروطه وموانعه، لا يقوم بإصداره وتحديدده إلا القاضي الشرعي الذي يعرف مناط الأحكام وأسبابها وموانعها، ولا يكون الحكم بإيقاعه إلا في أضيق الحالات الخاصة بعد السبر والبحث عن جميع المخارج والشبه، وهذا المعنى الاصطلاحي هو ما عقد له الفقهاء بابا خاصا سموه باب الردة، وحددوا له المصطلحات التي تضبطه وتحدد معالمه بحيث صار من أضيق الأبواب لا يلجأ إليه إلا من انتفت عنه كل المخارج والشبهات التي قد تكون مانعة عن الحكم به، كما سيأتي التنصيص عليه من الأئمة، كل ذلك صيانة لكرامة هذا الانسان، وسنذكر - إن شاء الله - تعالى خطورة الإقدام على التكفير في فصل خاص.

ثم من الملاحظ أن ما يجري الآن في الساحة مما تقوم به





الجماعات المتشددة من التكفير والتبديع والتنكيل والقتل البشع من قطع الرؤوس وغير ذلك، كله مرتبط بالعقيدة وقضية الإيمان والإسلام، فهم لا يعتقدون إلا على من يتهمونه بفساد المعتقد، حسب فهمهم المغلوط لنصوص الكتاب والسنة والقواعد العامة، ولا يفرقون بين ما هو من باب العمل وما هو من باب الإيمان، ولهذا يحسن بل يتعين الكلام هنا عن الإيمان وبيان ماهيته والفرق بينه وبين الإسلام الذي هو عبارة عن عمل الجوارح، حتى يكون طالب الحق على بينة من هذا الشأن، وهو ما نتولى بيانه باختصار إن شاء الله تعالى في النقطة التالية، فإن تلك المجموعات المتشددة لبعدها عن مدارك الفهم السليم لم تفرق بين ما هو عمل وما هو اعتقاد، فأراقت كثيرا من الدماء البريئة لمجرد بعض المخالفات في العمل مع صحة اعتقاد أصحابها، وسنضرب لذلك بعض الأمثلة لاحقا إن شاء الله تعالى، لهذا قلنا: يتعين الحديث عن معنى الإيمان والإسلام، والله ولي التوفيق.

تحرير معنى الإيمان وبيان حقيقته والفرق بينه وبين العمل:

يطلق الإيمان في اللغة على مطلق التصديق، وفي الاصطلاح الشرعي عبارة: عن تصديق خاص يتمثل في الإيمان الجازم بالله تعالى ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وبالقضاء والقدر.

وقد ثبت تعريفه بهذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك فيما رواه الإمام البخاري في الصحيح، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم





بارزاً يوماً للناس فأنتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث).

وفي حديث جبريل الطويل الذي رواه الشيخان قال: (فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره).

وهو تعريف واضح لحقيقة الإيمان، يتبين منه قاعدة هامة جديرة بالتأمل، وهي: أن العمل الذي تقوم به الجوارح سواء كان من قبيل الطاعات أو من قبيل ترك المنكرات لا دخل له في ماهية الإيمان وحقيقته إلا من حيث زيادته ونقصانه، وهو ما نص عليه كبار أهل السنة والجماعة، مستشهدين له بنصوص محكمة من كتاب الله وسنة حبيبه صلى الله عليه وسلم، وهي مسألة يقبح الجهل بها فيما نحن بصدد بيانها، بل ينبغي الاهتمام بتوضيحها من السادة العلماء في كل الميادين، لأنها تسد ذراع كثيرة يتذرع بها أهل الأهواء إلى بناء كثير من أوهامهم التكفيرية والحكم على كثير من أهل الملة بالخروج من الإسلام لمجرد المخالفة في التوجه، أو الإخلال بالقيام ببعض الواجبات مع الاعتراف بوجودها، كما سيأتي في مسألة مفهوم الحاكمية وغيرها، مما هو من باب العمل وجعله المتشددون جزءاً من حقيقة الإيمان فرتبوا عليه حكم التكفير.

ولقد قرأت في هذا مقالا فريدا للإمام الأكبر أحمد الطيب شيخ الأزهر الشريف ألتقط منه ما يلي، يقول بعد تعريفه للإيمان: أما الأعمال من صلاة وزكاة وصيام وحج ومن فعل الواجبات وترك





المحرمات فإنها بمقتضى التعريف النبوي لا تدخل في حقيقة الإيمان، أي ليست جزءاً مقوماً لماهيته، بل هي شرط كمال، ولها شأن خطير في زيادة الإيمان ونقصه، فهي تصعد بالإيمان إلى أعلى درجاته كما تهبط به أيضا إلى أدنى درجاته، ومقتضى ذلك أن زوال الأعمال كليا لا يزيل الإيمان من أصله بل يبقى المؤمن مؤمنا حتى وإن قصر في الطاعات أو اقتترف المعاصي والسيئات، ولا يصح أن يطلق عليه لفظ الكفر بحال من الأحوال ما دام محتفظا بالاعتقاد القلبي الذي هو حقيقة الإيمان ومعناه. ثم قال: (هذه النقطة تحديدا هي فيصل ما بين عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية وأهل الحديث وبين غيرهم، ممن يجعلون الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان، ويقررون أن من ارتكب كبيرة فقد زال إيمانه وأصبح كافرا خارجا من الملة، وهنا يفتح الباب على مصراعيه لسفك الدماء وسلب الأموال).

ثم نبه إلى: أن هذا المذهب - الفارق بين الإيمان والعمل - هو المذهب الذي درج عليه جماهير الأمة الإسلامية على امتداد تاريخها الطويل واختلاف طبقاتها المتعددة، وهو المذهب الوحيد الذي يضيّق دائرة التكفير بحيث لا يقع في تلك الدائرة الخطيرة إلا من يجترئ على الكفر الحقيقي، وذلك بجحد ركن من أركان الإيمان الذي دخل فيه أو جحد ما علم من الدين بالضرورة، ثم أفاض في ذكر طائفة من آي القرآن الكريم تشهد لهذا المذهب العتيق بانفكاك حقيقة الإيمان عن حقيقة العمل، مما





يقطع بيقين أن مرتكب الكبيرة مؤمن عاص، ولا يجوز تكفيره بحال، وهو تأصيل محرر يقطع على أهل التصورات الخاطئة كثيرا من طرق الإضلال التي سلكوها وتذرعوا بها إلى تكفير من يخالفهم في التوجه، حيث جعلوا حقيقة الإيمان مزيجا من الاعتقاد والعمل، وأن الاعتقاد أو التصديق القلبي وحده لا يكفي في تحقيق معنى الإيمان، بل لابد من ضميمة العمل إليه حتى يصح معنى الإيمان، وفات عليهم ما هو أوضح من الشمس، وهو أن النصوص الشرعية دلت على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 187] فإنه يفيد ثبوت الإيمان قبل الصوم، وهناك آيات أخرى كثيرة بهذا المعنى، تؤصل لنا هذه القاعدة.

والآن بعد هذه المقدمة ننتقل إلى الأسباب التي بها حيكت تلك الأفكار الهدامة، وقد اخترنا منها ثلاثة فقط، لاشتمالها على سائر ما اعتمد عليه المتشددون حسب نظري.

الأسباب الحاملة للجماعات المتشددة على المجازفة بالتكفير

ليس قصدي بهذا العنوان أيها الفضلاء أن أكشف عما ما لا تعرفونه، فإنه من غير المعقول أن أضيف شيئا جديدا لم أسبق إليه في تشخيص الأسباب المؤدية إلى فوضى التكفير المنتشر في العالم، ولكن قد يكون لكلامي مندوحة تحت مدلول قوله تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: 55]، وبناء عليه أقول: الأسباب التي بنى عليها المتشددون أفكارهم





متعددة: منها ما هو سياسي، و منها اقتصادي، و منها ما هو ديني.

وحسب نظري: أبرز تلك الأسباب وأكبرها هو الأخير، أعني: الذي يتعلق بالدين، وإنما كان كذلك لأن كل الأسباب الأخرى التي يذكرها الكتاب هي متفرعة عند التكفيريين من هذا السبب، فمنهم من يكفر بتهمة فساد الاعتقاد، ويقول فساد الاعتقاد هو الذي تسبب في فساد الاقتصاد، وما فسدت السياسة إلا لعدم صحة العقيدة، فعندهم كل الأسباب راجعة إلى هذه المعادلة العجيبة، ومنهم من يحكم بذلك بسبب ذنب يرتكبه بعض الناس، لأنهم يجعلون الأعمال جزءاً من ماهية الإيمان كما سبق، وهكذا تستمر تلك الفوضى، ويتمثل هذا السبب أولاً: في الفهم المغلوط لنصوص الكتاب والسنة الذي سببه الأساس الجهل و ضحالة العلم وقلة المعرفة بمدلولات الألفاظ التي هي قوالب الأحكام، والبعد عن مقاصد الوحي الشريف لعدم تلقي العلم من مصادره الصحيحة، فإنه لو قدر لهم جلوس أمام من يحسن العلم لما وقعوا في تلك الظلمات المهلكة، فإن العلم بالشيء أساس النجاح في كل شيء، فالحكم على الشيء - كما قالوا- نفيًا أو إثباتًا فرع عن تصوره، فمن لا يملك وسائل المعرفة الشرعية والعلم المحرر المبني على القواعد المؤهلة لفهم الإسلام كما أنزله الله تعالى، لا يمكنه أن يتصور حكماً حتى يتصدى لتقريره على الوجه المطلوب، وهذه قضية مسلمة لا جدال فيها البتة، ولذا إذا تجشم الإنسان تقرير الأحكام مع ذلك القصور فقد ضل وأضل، كما يشير إليه الحديث النبوي الشريف: (إن الله لا يقبض





العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

وهذا السبب شواهدة في التاريخ على اختلاف مراحل كثيرة جدا يصعب حصرها على الباحث، من ذلك ما قام به الخوارج في العهد الأول عهد الصحابة رضي الله عنهم، حيث ألقوا ببعض آي القرآن الكريم من مداركهم السمجة مالا علاقة للوحي الشريف به، ثم راحوا يحكمون بتلك المفاهيم المغلوطة على أظهر الناس في عهده بالخروج عن حصانة الإسلام وهم الصحابة رضي الله عنهم الذين على رأسهم أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وحين سئل أولئك الخوارج لماذا حكمتم على أمير المؤمنين ومن معه بذلك؟ قالوا: لأنهم قبلوا التحكيم، مع أن الحاكم هو الله وحده، وحين أخبر سيدنا علي بذلك سخر من فهمهم المغلوط، وقال قولته الشهيرة: (كلمة حق أريد بها باطل) ومع ما قاموا به من تكفير الصحابة وغيرهم لم يكفرهم علي رضي الله عنه، بل لما سئل عنهم وقيل له: أكفار هم؟ قال لا هم من الكفر فروا، وقال: هم إخواننا بغوا علينا، ولكون فهمهم مغلوطا ومزييفا ليس له مسحة من الصحة سرعان ما تبدد ذلك الخيال المظلم أمام براهين حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حينما ناظرهم.

والثاني من الأسباب الخطيرة و المباشرة لانتشار التكفير والتطرف والقتل الجاري الآن: ذلك التقسيم الثلاثي للعقيدة الإسلامية، وهو لا يقل خطرا عن السبب الأول، بل هو داهية





الدواهي، إذ هو أخطر ما تفرع عن السبب الأول الذي هو الجهل بالمعتقد الصحيح لعقيدة المسلمين، حيث قسمت العقيدة: إلى توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية وتوحيد أسماء وصفات، ومنهم من زاد قسما رابعا سماه توحيد الحاكمية، وهو الذي حكموا بمقتضاه على جميع حكام المسلمين من رؤساء وبرلمانيين وغيرهم بالكفر البواح، باعتبار أنهم طواغيت ومشروعون من دون الله، فهذا التقسيم للعقيدة الإسلامية كما ترى أخطر مرتكز من مرتكزات هؤلاء التكفيريين في حكمهم على مخالفيهم بالكفر والضلال، فعندهم مثلا: كل من توسل بنبي أو ولي أو ملك أو تبرك، فهو كافر حلال الدم، وكل من حكم بالقوانين التي تعارفت عليها الدول الآن فهو كافر حلال الدم، لأنهم جميعا لم يوحدوا بمفهومهم توحيد الألوهية، بل هم عابدون غير الله تعالى، وأشركوا معه غيره، ومن أول آية من الآيات المتشابهات وحملها على غير مقتضى الظاهر، أو فسر حديثا نبويا من المتشابهات فقد كفر، لأنه عطل الصفات بزعمهم، ولم يؤمن بهذه الآيات والأحاديث، وهكذا ترمى هذه الأحكام جزافا بسبب هذا التقسيم للعقيدة.

وفي ذلك يقول بعض زعمائهم في تأليف له مطبوع ومنتشر ما نصه: "وكل من جعل بينه وبين الله وسائط ووسائل من شيوخ الطرق الصوفية، الزاعمين الولاية المبتدعين يتقلد بأرائهم وفتاواهم فهو لا يؤمن بالله ربا ولا يعبده عبادة صحيحة، حتى تجد بعض الناس يرى براهين التوحيد لكنه لا يؤمن بالله، ومنهم من إذا رأى رؤساءه عبدوا الله يعبداه معهم، وإلا فلا يتبع أحدا





سواهم؛ لأنه اتخذهم أربابا، فهذا إشراك في ربوبية الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

وهكذا كل من أطاع العلماء والأمرء في التحليل والتحريم، فقد أشرك في الربوبية، قال الله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: 31].

ويقول في نفس الكتاب بعد كلام طويل "فمن أشرك مع الله في الحكم والتشريع بنظام قانون أو دستور أو عرف فقد أشرك في الإلهية، قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] وقال في الشريعة والحكم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأُمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: 18]."

والذين يشرعون النظام الطاغوتي في برلماناتهم، جعلوا أنفسهم شركاء الله تعالى، شعروا بذلك أو لم يشعروا، ورضوا به أو لم يرضوا، قصدوا أو لم يقصدوا.

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره عند قوله تعالى ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: 103-104].

قال رحمه الله: وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم





أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحديته، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالا، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وبالجملة فمن قال أو فعل ما هو كفر، كَفَرَ بِذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا إِذْ لَا يَقْصِدُ الْكُفْرَ أَحَدٌ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ".

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في (فتح الباري: 12/346) وفيه أن من المسلمين من يخرج من الدين من غير أن يقصد الخروج منه ومن غير أن يختار دينا على دين الإسلام.

قلت: ذلك لأنهم -أي البرلمانيون- شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فإن نظام التشريع في حكم الدماء والأعراض والأموال من الدين ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: 21] فالذين يتبعون نظامهم التشريعي ويتحاكمون إلى الطواغيت مشركون، فالبرلمانيون والنواب جمعوا بين تأليه أنفسهم والشرك بالله؛ لأن لهم عصا يعبدونها بأنواع من التعظيم، كالانحناء والخضوع، والتذلل والمحبة، ويتألهونها بالنظام؛ لأنهم لا ينظمون أي نظام، ولا يقررون بأي قرار بدونها، وإذا حكموا أو نظموا بدونها لا يقبل قرارهم، ولا حرمة لحكمهم بدون هذه العصا.

فانظر كيف ينقل عن مثل الإمام ابن جرير الطبري والحافظ



ابن حجر رحمهما الله تعالى لتأييد ما يراه من الفتك بالأمة وإثارة الفوضى بتطرفه الذي حكم بموجبه على الأمة كلها بالكفر والضلال، ينقل عنهم بأنهم كذلك يكفرون ويقولون بقوله، وبهذه النصوص الكريمة التي حرف مضمونها مصحوبة بتلك النقول عن العلماء خدعوا البسطاء من أبناء الإسلام والمغرر بهم، وسخروهم لتنفيذ تلك الأجندة باسم الجهاد في سبيل الله وطلب الشهادة، حتى صار الواحد منهم يقتل أباه وأمه، تمسكا بقول الحق سبحانه وتعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: 22].

وبهذا أيها السادة الأفاضل: يتبين أن مسألة التطرف التكفيري مسألة قتلها والقضاء عليها ليس سهلا كما يتصوره بعض الناس، فإن وراءها علماء منحرفين عن الجادة ينظرون لها ويحشدون لها الأدلة من الكتاب والسنة حسب فهمهم المغلوط المزيف لحقائق الفهم الصحيح، ثم يرمون بها بين أيدي المتطرفين لتنفيذها، وقد ألفت في ذلك كتب ومصنفات، مطبوعة الآن بأجود الطباعات، وأخذت مكانها في المكتبة الإسلامية، ومنتشرة في الأسواق بل ولا زالت تجدد طباعتها وتحقق من قبل علماء متخصصين كبار، وكل هذا لا يخفى على أحد، لكن كثيرا من علماء العصر لا يستطيعون الإفصاح عن ذلك، مع علمهم بخطره لحسابات معلومة، لا تعدو أن تكون لونا من ألوان الدنيا الفانية، ولكن كل ذلك لا يجوز، ولا يليق بخليفة رسول الإسلام ووارثه والمؤمن على تراثه، فعلى علماء





الأمّة الذين اصطفاهم الله تعالى بحمل الأمانة أن ينهضوا لبيان تلك النصوص الكريمة التي تعلق بها هؤلاء المتطرفون في تحقيق تطرفهم، وذلك بالحوارات والنقاشات المكثفة مع هؤلاء المتشددين ومن يقف وراءهم، تماما كما صنع حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قضية الخوارج فهذا هو العلاج فقط، فإن الفكر لا يموت إلا بالفكر.

وعليهم أن يبنوا أيضا بكل شجاعة وبدون أي حساب: أن ذلك التقسيم الثلاثي لعقيدة الإسلام بهذه الطريقة تقسيم باطل غير صحيح، بل هو بدعة سيئة في الإسلام، شنت شمل المسلمين ومزقت كلمتهم، والحمد لله قد ألفت في بيان بطلان ذلك مؤلفات عدة، فما بقي إلا نشرها وزيادتها توضيحا بالشرح والتحليل.

والثالث من الأسباب الخطيرة التي بنى عليها المتطرفون مذهبهم في التكفير مسألة ما يعرف بالحاكمية

لا خلاف بين المسلمين أن الحكم لا يكون إلا لله، فالله تعالى هو الحاكم وحده والمشرع لعباده، هذه هي عقيدة كل مسلم، لا فرق في هذا بين حاكم وغيره، ولكن هذا ليس معناه أن البشر لا دخل لهم في تقرير بعض الأحكام، وإبرازها للناس، فإنه تعالى أرسل رسله الكرام لبيان تلك الأحكام التي شرعها لعباده، ثم جعل - سبحانه - العلماء ورثة الأنبياء، وأمر الناس بالاعتداء بهم، فقال في محكم التنزيل: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الدِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7] فما كان من الأحكام ظاهرا لا يفتقر لبحث





وتفتيش فهذا لا إشكال فيه، وما كان منها خفيا لا يتوصل إليه إلا بالسبر والبحث فإنه تعالى جعل أمره بيد المجتهدين من هذه الأمة الشريفة، فالمجتهد هو الرابط بين الحكم ودليله، إذا لم يكن هناك رابط عقلي بين الدليل ومدلوله، ولهذه الحيثية جعل المجتهد أحد أركان تعريف أصول الفقه حين قالوا (معرفة دلائل الفقه إجمالا وكيفية الاستفادة منها وحال المستفيد) فإذا نسب الحكم إلى المجتهد بهذا الاعتبار، وقيل مثلا : حكم مالك بهذا أو الشافعي أو أبو حنيفة .. الخ، فليس معنى هذا أن المجتهد صار شريكا لله تعالى في الحكم، وإنما هو مظهر من مظاهر حكمه تعالى الذي شرعه لعباده، ثم جعل الطريق إلى معرفته هؤلاء الأئمة رحمهم الله تعالى، فمن أصاب منهم الحق كان له أجران، ومن لم يصبه كان له أجر واحد، وكل من قلدهم في ذلك فهو عامل بمقتضى قوله تعالى ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: 7]، وإذا حكم الحاكم بحكم خالف فيه حكم الله الذي شرعه لعباده وكان معتقدا صحة ما شرعه الله تعالى غير مستخف به، فإنه فعل ما لا يجوز، ولكن لا يقال إنه كافر خارج عن الملة، بل ينبه إلى الصواب بالتي هي أحسن إن وجد إلى ذلك سبيل، وبهذا فسر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44] من جميع أهل التفسير، فإن الآية تعني أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحدا ومنكرا كون تلك الأحكام وحيا وحقا، إذا كان هكذا يعتقد فهو كفر ما من شك في ذلك، وأما من اعترف وأقر بأنها حق ووحى وأمر إلهي لكنه لم يقم بتطبيقه لعذر تعلل به فهو ليس كافرا،





وإليك بعض من قرر هذا المعنى.

الإمام فخر الدين الرازي يقول في التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب ما نصه "قال عكرمة: وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44] إنما يتناول من أنكر بقلبه وجحد بلسانه، وأما من عرف بقلبه كونه حكم الله، وأقر بلسانه كونه حكم الله إلا أنه أتى بما يضاده، فهو حاكم بما أنزل الله، ولكنه تارك له، فلا يلزم دخوله تحت هذه الآية، وهذا هو الجواب الصحيح".

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في المستصفى من علم الأصول "قوله تعالى بعد ذكر التوراة وأحكامها: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44] قلنا المراد به: ومن لم يحكم بما أنزل الله مكذبا به، وجاحدا له".

وقال الإمام أبو محمد ابن عطية في المحرر الوجيز "لفظ هذه الآية ليس بلفظ عموم، بل مشترك يقع كثيرا للخصوص، كقوله سبحانه وتعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: 44] وليس حكام المؤمنين إذا حكموا بغير الحق في أمر بكفرة بوجه".

وهكذا في تفسير القرطبي وغيره.

فما ارتكبه المتطرفون من تكفير الحكام وإخراجهم من ملة الإسلام ومن ثم تجويز قتلهم وقتالهم وقتل الجيوش والشعوب استنادا إلى هذه الآية الكريمة وأمثالها، فإنه من باب الفساد في





الأرض والتقول على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.
والحمد لله هناك كتب يحق لها أن تكتب بماء الذهب قد
تكفلت ببيان مفهوم الحاكمية، وفندت الفهم الخاطئ لهذه
المسألة مثل كتاب: (الحق المبين في الرد على من تلاعب بالدين)
للدكتور أسامة الأزهري، ومثلها مسألة (مفهوم الجهاد).

خطورة الإقدام على تكفير المسلم والحكم عليه

بأنه ليس على ملة الاسلام.

لا ريب أن التكفير أخطر آفة ابتلي بها الناس منذ العصر
الأول من ولادة هذه الأمة المحمدية المجيدة، حين قام الخوارج
بتكفير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والذين
معه، في مسألة التحكيم بينه وبين معاوية رضي الله عنه، ومنذ
ذلك الحين استمرت ظاهرة التكفير في المجتمع المسلم، وكانت
تختفي تارة وتظهر أخرى، إلى أن جاء هذا العصر الذي نحن فيه
فانتشر فيه التكفير بصورة فظيعة غير مسبوقة، نتيجة لتفشي
الجهل، الذي هو صفة من صفات أولئك الخوارج الذين حذر
منهم النبي صلى الله عليه وسلم أيما تحذير حيث قال عنهم
كما في البخاري (.. يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من
الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل
الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد).

ولقد حذر الشارع من التكفير تحذيرا شديدا حيث قال صلى
الله عليه وسلم كما في الصحيح (من قال لأخيه يا كافر فقد باء
بها أحدهما)، وفي صحيح مسلم (أيما رجل قال لأخيه كافر فقد





باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه)، وفي رواية (من ادعى ما ليس له فليس منا وليتّبوا مقعده من النار، ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)، وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بملة غير الإسلام كاذبا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشيء عذب به في نار جهنم، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله) وهناك أحاديث كثيرة في هذا المعنى زاجرة للمسلم عن الإقدام على هذه الخصلة الشنيعة.

وأما أقوال العلماء في ذلك فهي أكثر من أن تحصر، فقد قال الإمام أبو بكر الباقلاني المالكي رحمه الله (ولا يكفر بقول ولا رأي إلا إذا أجمع المسلمون على أنه لا يوجد إلا من كافر، ويقوم دليل على ذلك).

ويقول الإمام ابن حزم رحمه الله (والحق هو أن كل من ثبت له عقد الإسلام فإنه لا يزول عنه إلا بنص، أو إجماع، وأما بالدعوى والافتراء فلا).

وقال الإمام أبو الفتح القشيري (وهذا وعيد عظيم لمن كفر أحدا من المسلمين وليس كذلك).

ويقول حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في كتابه (فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة) (والذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد إليه سبيلا، فإن استباحة دماء المصلين المقربين بالتوحيد خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في دم لمسلم واحد).





ويقول الإمام ابن الوزير اليمني (وكم بين إخراج عوام فرق الإسلام أجمعين، وجماهير العلماء المنتسبين إلى الإسلام من الملة الإسلامية، وتكثير العدد بهم، وبين إدخالهم في الإسلام ونصرته بهم وتكثير أهلهم، وتقوية أمرهم، فلا يحل الجهد في التفرق بتكلف التكفير لهم بالأدلة المعارضة بما هو أقوى منها أو مثلها مما يجمع الكلمة، ويقوي الإسلام، ويحقن الدماء، ويسكن الدهماء، حتى ينضح كفر المبتدع انتضاح الصبح الصادق، وتجتمع عليه الكلمة، وتحقق إليه الضرورة^(١)).

وأقوالهم في هذا كثيرة جدا، ورحم الله الإمام محمد العقاب حيث قال في نظم نوازل العلامة عبد الله بن إبراهيم:

ومدخل ألفا من الملاحدة أفضل من مخرج نفس واحدة
فعلى المؤمن الذي يخاف الله تعالى أن يبعد نفسه عن
التكفير.

الوقاية:

أما علاج هذه المنزقات التي سلف الحديث عنها والوقاية منها، فزيادة على ما تقدم يتمثل في عدة أمور، أهمها:

- 1/ ترشيد المناهج التعليمية، وخاصة في المراحل الأولى: الابتدائي، والإعدادي والثانوي، بل وحتى الجامعة، وجعل العقيدة الإسلامية السنية مادة ملزمة في كل المراحل.
- 2/ ترشيد منابر الجمعة، بأن لا يقوم بالخطابة فيها إلا من كان أهلا للتوجيه.
- 3/ توجيه الحلقات العلمية العتيقة في المساجد والأماكن





العامّة بما يعالج تلك القضايا الآنية.

4/ فتح قنوات لتفكيك تلك الأفكار المتطرفة عبر حوارات
حكيمّة وهادفة تساق فيها الحجج والبراهين لتوضيح كل الشبه
التي يتمسك بها أولئك التكفيريون.

5/ مراقبة وسائل الإعلام بجميع أنواعها والرد على ما يصدر
من الأفهام المغلوطة والتصرفات المنحرفة.

6/ تأليف رسائل صغيرة توضيحية تعنى بتفنيد تلك الأفكار
والمفاهيم المغلوطة حول قضايا شغلت أذهان العامّة، مثل
قضية الحاكمية، وقضية الجهاد، والتقسيم الثلاثي للعقيدة
الإسلامية، وغير ذلك من القضايا الملتبسة على كثير من الدعاة
فضلا عن العامّة.

أيها السادة الأماجد سقت بين أيديكم هذه الكلمة المختصرة
وفي كياني وذاكرتي كلمة سمعتها من حكيم علماء العصر
وفيلسوف الزمان مولانا العلامة عبد الله بن بيّه حفظه الله،
وذلك في كلمته التأسيسية لإعلان مراكش وكنت يومها حاضرا
حين قال ناقلا عن بعض الفلاسفة القدامى قوله (الحضارات
تمرض وأطبؤها الفلاسفة) قال: وأنا أقول: (الحضارات تمرض
وأطبؤها العلماء والمفكرون).

جزى الله هذا العلامة المجدد وبارك في جهوده، كما أسأله
سبحانه وتعالى أن يديم الأمن والاستقرار لهذه الدولة المضيفة
الجمهورية الإسلامية الموريتانية وأن يحفظ أهلها حكومة
وشعبا من كل مكروه.





وأسأله أن يتقبل منا جميعاً أعمالنا وأن يعفو عن هفواتنا إنه
سميع مجيب.
والحمد لله رب العالمين وصلاة وسلام على رسوله الصادق
الوعد الأمين.







التَّمَذُّهُبُ، المَذَاهِبُ وَالْفِرَقُ الإِسْلَامِيَّةُ - الشَّيْعَةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ نَمُودَجًا

الشيخ يَعْقُوبُ دُوكُورِي

رئيس لجنة الإفتاء بمالي

المُقَدِّمَةُ

بِسْمِ اللَّهِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ، وَصَلَاةِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَسَلَامٌ
اللَّهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ، عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، وَعَلَى آلِهِ
الْأَطْهَارِ وَصَحْبِهِ الْأَبْرَارِ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
وبعد: فهذا بحث وجيز حول مفهوم "التَّمَذُّهُبُ" أعدته
لِلْمُشَارَكَةِ فِي "المؤتمر الإفريقي الثاني لتعزيز السلم"
بنواكشوط عاصمة الجمهورية الإسلامية الموريتانية، المنعقد
من 19 - 21 يناير 2022م تلبيةً لدعوة فضيلة الشيخ المكرَّم
عبد الله بن بيه، رئيس منتدى أبو ظبي للسلم، ورئيس مجلس
الإمارات للإفتاء الشرعي.

وَهَذَا البَحْثُ مَوْجَّهٌ إِلَى الفِرَقِ الإِسْلَامِيَّةِ عَامَّةً، وَإِلَى الشَّيْعَةِ
وَالسَّلَفِيَّةِ خَاصَّةً كَمَثَلَيْنِ.

نَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَطِيلَ بقاءَ الشَّيْخِ وَبِقَاءَ كُلِّ
القَائِمِينَ بِتنظيم هذا المؤتمر السَّلْمِيِّ العَظِيمِ، وَبِقَاءَ العُلَمَاءِ
الأَجْلَاءِ الوافدين من شتى الدول الإفريقية، لخدمة العلم والدين
ونشر السلام والتسامح في جميع الأقطار الإفريقية وغيرها، آمين.





التَّمَذُّبُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ

التَّمَذُّبُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ: هُوَ الْإِنْتِسَابُ إِلَى مَذْهَبٍ إِسْلَامِيٍّ سُنِّيٍّ، مِثْلَ الْمَذْهَبِ الْحَنَفِيِّ أَوْ الْمَالِكِيِّ أَوْ الشَّافِعِيِّ أَوْ الْحَنْبَلِيِّ، أَوْ إِلَى مَذْهَبٍ شِيعِيٍّ، مِثْلَ الْمَذْهَبِ الْجَعْفَرِيِّ أَوْ الْمَذْهَبِ الزَّيْدِيِّ. وَفِي (مَعْجَمِ لُغَةِ الْفُقَهَاءِ):

الْمَذْهَبُ: طَرِيقَةٌ مُعَيَّنَةٌ فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْعَمَلِيَّةِ مِنْ أَدَلَّتِهَا التَّفْصِيلِيَّةُ، وَالْاِخْتِلَافُ فِي طَرِيقَةِ الْأَسْتِنْبَاطِ يَكُونُ الْمَذَاهِبَ الْفُقَهِيَّةَ. أَمَّا الْاِخْتِلَافُ فِي الْعَقَائِدِ اِخْتِلَافًا لَا يُخْرِجُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونُ الْفِرْقَ، وَإِنْ كَانَ يُخْرِجُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونُ الْأَدْيَانَ. فَالْتَّشْيِيعُ مَذْهَبٌ وَلَيْسَ هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: (الْمَذْهَبُ الْجَعْفَرِيُّ).

وَالسَّلَفِيَّةُ لَيْسَتْ هِيَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى. وَقَدْ اشْتَدَّ النِّزَاعُ وَكَثُرَتِ الرَّدُودُ السَّاخِنَةُ بَيْنَ السَّلَفِيَّةِ وَالشِّيْعَةِ فِي وَسَائِلِ الْأَعْلَامِ وَفِي بَعْضِ سَاحَاتِ الْوَعْظِ وَالْإِرْشَادِ، وَكَثُرَتِ الرَّدُودُ الشَّفَهِيَّةُ وَالْكِتَابِيَّةُ فِي بَعْضِ الْبِلَادِ، فَرَأَيْنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمَا كَمَثَلَيْنِ لَجَمِيعِ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْأُخْرَى، لِأَنَّهَا أَكْبَرُ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَكْثَرُهَا اتِّبَاعًا.

تعريفات بعض المذاهب والفرق الإسلامية

1- أَهْلُ السُّنَّةِ:

أَهْلُ السُّنَّةِ: هُمُ الَّذِينَ التَّزَمُوا فِي الْعَقِيدَةِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ دُونَ آرَاءِ الْفَلَسَافَةِ.



وَهُمْ يَعُودُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ طَوَائِفَ:

أ - الماتريديّة: أتباع أبي منصور ابن محمد الماتريدي الحنفي
(ت 333هـ)

ب - وأتباع أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري الشافعي
(330هـ).

ج - والسلفيون.

السَّلْفُ

السَّلْفُ: الصحابة والتابعون وتابعو التابعين الذين شملهم
قول النبي: (خَيْرُ أُمَّتِي الْقُرُونُ الَّذِينَ يَلُونِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)، ثم متقدمو الأئمة المجتهدين المقبولين.

الْوَهَابِيَّةُ

الظَّاهِرِيَّةُ

الظَّاهِرِيَّةُ: أتباع مذهب داود بن علي الأصبهاني. ومن أئمة
الظاهرية: ابن حزم الأندلسي، وسُمُّوا بالظاهرية لأنهم يأخذون
بظواهر النصوص الشرعية، ويرفضون استنباط العِلل منها.

2 - الشَّيْعَةُ

الشَّيْعَةُ: هُمُ الَّذِينَ شَايَعُوا عَلِيًّا بن أَبِي طَالِبٍ، ثُمَّ صَارُوا فِرْقَةً
مِنْ فِرْقِ الْمُسْلِمِينَ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّ الْخِلَافَةَ فِي عَلِيٍّ وَفِي أَوْلَادِهِ مِنْ
بَعْدِهِ، ثُمَّ صَارُوا فِرْقًا كَثِيرَةً، كُلُّ فِرْقَةٍ لَهَا عَقَائِدُهَا الْخَاصَّةُ بِهَا،
تَخَالَفَ بِهَا عَقِيدَةُ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ.

الْإِبَاضِيَّةُ





الإباضيَّة: ورئيسهم عبد الله بن إباض التميمي، ولا زال أتباعه بالجنوب الجزائري - غرداية - وهم أكثر مسالمة واتزاناً من غيرهم، ويجوزون التعامل مع غيرهم. وَعَدَّ محمد تاتاي الإباضيَّة من فرق الخوارج، وإن كان كلهم أو جلهم يرفضون ذلك.

كَيْفِيَّةُ التَّعَامُلِ مَعَ الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ الْيَوْمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: 59]

وَبِنَاءً عَلَى مَقْتَضَى هَذِهِ الْآيَةِ الْقَاطِعَةَ لِلنِّزَاعِ؛ نَرَى أَنَّ اللَّائِقَ بِعُلَمَاءِ هَذَا الزَّمَانِ أَنْ يَهْتَمُّوا بِبَيَانِ كَيْفِيَّةِ التَّعَامُلِ مَعَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَعَامُلًا مَنَاسِبًا لِهَذَا الزَّمَانِ الْمَمْلُوءِ بِالْخِلَافَاتِ الْمُفَرِّقَةِ لَوَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَقِهِمْ.

وَالتَّعَامُلُ الْمَنَاسِبُ هُوَ تَعْبِيرُ أَسْلُوبِ الْإِفْتَاءِ، وَعَدَمُ الْأَقْتِصَارِ عَلَى الْإِجَابَةِ عَلَى الْفَتَوَى مِنْ كُتُبِ الْمَذْهَبِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ دَلِيلِهِ؛ لِأَنَّنا فِي زَمَانِ الْخِلَافَاتِ الْمُفَرِّقَةِ الَّتِي لَا يَكْفِي الْمُخَالِفِينَ مَجْرَدُ ذِكْرِ الْحُكْمِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ دَلِيلِهِ.

وَيَجِبُ عَلَى عُلَمَاءِ زَمَانِنَا أَنْ يَكُونُوا عَلَى عِلْمٍ بِأَدَلَّةِ الْأَحْكَامِ الْمَوْجُودَةِ فِي كُتُبِ الْمَذْهَبِ، كَمَا كَانَ مُؤَلِّفُهَا الْقَدَامَى عَالِمِينَ بِهَا، وَيَذْكُرُونَهَا لِمَنْ يَحْتَاجُونَ إِلَى ذِكْرِهَا.

فَإِنْ كَانَ الْأَقْتِصَارُ عَلَى ذِكْرِ الْحُكْمِ لَا يَضُرُّ فِي زَمَانِهِمْ؛ فَإِنَّ ذِكْرَ مَجْرَدِ الْحُكْمِ مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ دَلِيلِهِ يَضُرُّ فِي زَمَانِنَا هَذَا؛ لِكثْرَةِ



الْمَذَاهِبِ وَالْفِرْقِ الْمُتَخَالِفَةِ فِي الْمَبَادِي وَالْمَنَاهِجِ وَالْأَفْكَارِ.
 إِنَّ زَمَانَ الْأَوَائِلِ كَانَ زَمَانَ عِلْمٍ وَعَمَلٍ وَإِخْلَاصٍ وَتَقْوَى، وَلَمْ
 يَكْثُرْ فِيهِ الْأَشْتِغَالُ بِالْوَعْظِ وَالِدَّعْوَةِ وَالْإِرْشَادِ لِأَعْرَاضِ شَخْصِيَّةٍ،
 مِثْلَ الْوَعْظِ لِكُسْبِ الْجَاهِ وَتَكْثِيرِ الْأَتْبَاعِ وَجَمْعِ أَمْوَالِهِمْ، وَالْإِسْتِيْلَاءِ
 عَلَى عُقُولِ الْعَوَامِّ، وَالطَّمَعِ فِي السَّلَاطِينِ.

وَكَانَ الْقَادَةُ وَالْمُؤَاطِنُونَ وَاثْقِينَ بِعِلْمَائِهِمْ قَدِيمًا؛ لِأَنَّهْمُ
 أُمَّةٌ عَارِفُونَ صَالِحُونَ مُنُورُونَ مُنُورُونَ، دَعَاوَتُهُمْ مُسْتَجَابَةٌ،
 وَكَلِمَاتُهُمْ مَسْمُوعَةٌ، وَأَوَامِرُهُمْ مُطَاعَةٌ، يَعْمَلُونَ لِإِرْضَاءِ رَبِّهِمْ، وَلَا
 يَعْمَلُونَ لِإِرْضَاءِ سَلَاطِينِهِمْ، وَقَادَتُهُمْ وَأَعْنِيَاءُهُمْ، وَلَا لِلْسَيْطَرَةِ
 عَلَى عُقُولِ الْعَوَامِّ.

إِنَّ مَوْلِي كُتُبِ الْمَالِكِيَّةِ مِثْلَ مُخْتَصِرِ الْأَخْضَرِيِّ، وَالرَّسَالَةِ،
 وَمُخْتَصِرِ خَلِيلِ، الْخ؛ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ عَلَى ذِكْرِ مَجْرَدِ الْحُكْمِ، مِنْ
 غَيْرِ زِيَادَةِ الدَّلِيلِ؛ حِرْصًا عَلَى الْأَخْتِصَارِ، وَلِمُنَاسَبَةِ ذَلِكَ لِزَمَانِهِمْ
 وَأَهْلِهِ، وَلِكُونَ النَّاسِ مُحْتَاجِينَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ وَاكْتِفَائِهِمْ بِهِ،
 وَلَا يَحْتَاجُونَ غَالِبًا إِلَى ذِكْرِ الدَّلِيلِ إِلَّا عِنْدَ الْأَخْتِلَافِ أَوْ الْحَوَارِ.

فَالْأَخْتِلَافُ كَانَ قَلِيلًا فِي زَمَانِهِمْ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الْفُقَهَاءِ الْأَجَلَاءِ
 مُعْتَمِدِينَ عَلَى الْأَدْلَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا يُصَدِّرُونَ الْحُكْمَ وَلَا
 يَكْتُبُونَهُ إِلَّا بَعْدَ التَّيَقُّنِ مِنْ وُجُودِ دَلِيلِهِ، وَكَانُوا مُسْتَعِدِّينَ لِذِكْرِ
 الدَّلِيلِ لِكُلِّ مَنْ يَطْلُبُونَهُ أَوْ يَرِيدُونَ مَعْرِفَتَهُ.

أَمَّا الْيَوْمَ فَالْمُسْلِمُونَ فِي زَمَانِ الْخِلَافِ، وَالتَّفَرُّقِ، وَالتَّخَاصُمِ،
 وَالتَّبَاعُضِ، وَالتَّدَابُرِ، وَالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ، وَالتَّعَصُّبِ الطَّائِفِيِّ،
 وَإِحْلَالَ الْمَذَاهِبِ وَالْفِرْقِ وَالطَّرِيقِ - وَهِيَ مِنْ صُنْعِ الْبَشَرِ - مَحَلٌّ





دين الله، الإسلام الذي جاء به النبي من عند الله خالق البشر.
وقد وصل التعصب المذهبي إلى حدِّ التقاتل كما هو واقع
اليوم في بعض البلدان العربية بين الشيعة وأهل السنة
السلفية.

وقد انتشر الخلاف واشتدَّ في هذا الزمان حتى صار الكثير من
العلماء لا سيَّما الخريجون من بعض البلاد العربية؛ لا يكتفون
بأقوال أصحاب المذاهب الفقهية، ولا يثقون بها إلا مع ذكر
الأدلة، وقد تفرقت أغلب الفرق الإسلامية بسبب بعض المسائل
الخلافية الاجتهادية، لا سيَّما مسألة القبض والسدل، والاحتفال
بالمولد النبوي، الخ، واشتدَّ التعصب المذهبي، وصار ضرر
المتعالمين في الداخل على الدين أكبر من ضرر أعداء الدين في
الخارج والداخل، وظهر مصداق قول رسول الله - عليه وآله الصلاة
والسلام: ((فإنه من يعيش منكم فسيري اختلافًا كثيرًا الخ)).

كيفية التعامل مع المذهب السائد في البلد

ينبغي للعالم الوسطي المنهج والفكرة أن يحرص على معرفة
كيفية التعامل مع المذهب السائد في أي بلد كان؛ لتخفيف
مشكلة التعصب الذي ابتلي به الكثير من الفرق الإسلامية اليوم،
أن يعتنى بما يأتي:

1 - إذا وقع بين عدة مذاهب أو بين مذهبين اختلاف في
مسألة، وكان أحدهما على إثبات سنيتهما أو استحبابها، وكان
مذهب آخر على كراهتها، وكان لكل واحد منهما دليل مقبول
شرعاً؛ فإنني أفتي بجواز عمل كل بمذهبه مع ذكر أدلته.



كَمَا أَرَى أَنَّهُ يَجُوزُ لِلْفَقِيهِ الَّذِي تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ التَّرْجِيحِ أَنْ يَقُومَ بِالتَّرْجِيحِ إِذَا كَانَ عَادِلًا مُنْصَفًا غَيْرَ مُتَعَصِّبٍ، ثُمَّ يَعْمَلُ بِتَرْجِيحِهِ وَيُعْلِنُهُ بِاللِّينِ وَالْحِكْمَةِ، حِفَاطًا عَلَى الْمَوَدَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَوْجُودَةً بَيْنَ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَقِهِمْ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

أَمَّا إِذَا كَانَ إِعْلَانُ التَّرْجِيحِ يُسَبِّبُ فِتْنَةً أَوْ تَفْرِيقًا، لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ إِعْلَانُهُ، وَإِنَّمَا يُؤَخَّرُهُ إِلَى وَقْتِ أَمْنِ الْفِتْنَةِ.

أَمَّا إِذَا حَرَّمَ مَذْهَبٌ شَيْئًا وَأَجَازَهُ مَذْهَبٌ آخَرَ، وَكَانَ لِكُلِّ مَذْهَبٍ دَلِيلٌ مَقْبُولٌ شَرْعًا؛ فَإِنِّي لَا أَقُولُ هُوَ حَرَامٌ أَوْ جَائِزٌ، وَلَا أَفَعَلُهُ خُرُوجًا مِنَ الْخِلَافِ إِنْ أَمَكُنْ تَرْكُهُ، لِأَنَّ تَرْكَ الْجَائِزِ وَالْمُسْتَحَبِّ وَفِعْلَ الْمَكْرُوهِ جَائِزٌ وَلَوْ مَعَ الْكِرَاهَةِ، لِأَنَّ الْكِرَاهَةَ لَا تَنَافِي الْجَوَازِ وَإِنَّمَا الْحُرْمَةُ هِيَ الَّتِي تَنَافِي الْجَوَازِ.

أَمَّا تَارِكُ الْوَأَجِبِ الْمُتَّفَقِ عَلَى وُجُوبِهِ، وَفَاعِلُ الْمُحَرَّمَ الْمُتَّفَقِ عَلَى تَحْرِيمِهِ؛ فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؛ لِاسْتِحْقَاقِهِ الْعَذَابَ بِاتِّفَاقِ الْفُقَهَاءِ، وَالْإِتِّفَاقِ لَا يَكُونُ غَالِبًا إِلَّا بِنَصِّ صَرِيحٍ صَحِيحٍ.

وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْفُقَهِيَّةِ: (دَرْءُ الْمَفَاسِدِ أَوْلَى مِنْ جَلْبِ الْمَنَافِعِ) (يُخْتَارُ أَهْوَنُ الضَّرَرَيْنِ)، فَإِنْ تَرَكَ الْمُحَرَّمَ أَوْلَى مِنْ فِعْلِ الْجَائِزِ أَوْ الْمُسْتَحَبِّ، لِأَنَّ تَرْكَهُ يَفُوتُ ثَوَابُهُ، وَلَكِنَّهُ لَا يُوجِبُ عِقَابًا، وَأَمَّا فَاعِلُ الْمُحَرَّمَ وَتَارِكُ الْوَأَجِبِ مِنْ غَيْرِ عُدْرٍ فَإِنَّهُ يَسْتَحِقُّ الْعِقَابَ.

وَقَدْ وَقَعَ فِي هَذَا الْخَطَرِ الَّذِينَ أَثَارُوا الْفِتْنَةَ وَالْخِصَامَ وَالتَّفَرُّقَ بَيْنَ بَعْضِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِسَبَبِ مَسْأَلَةِ الْقَبْضِ وَالْإِرْسَالِ، أَوْ





بَسَبِّ انْكَارِ النَّشْرِ وَالتَّمَائِمِ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ تَكْفِيرِ مُسْتَعْمَلِيهَا، وَنَسَبَتَهُمْ إِلَى الشَّرْكِ، مَعَ الْعِلْمِ أَنَّهَمَا مَسْأَلَتَانِ خِلَافَتَانِ اجْتِهَادِيَّتَانِ حَتَّى عِنْدَ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي (كِتَابِ التَّوْحِيدِ) وَشَرْحِهِ (فَتْحِ الْمَجِيدِ)، فَإِنَّهُ أَفْرَ الْخِلَافِ بَيْنَ السَّلَفِ فِي تَعْلِيْقِ التَّمَائِمِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَكَرَ الْخِلَافَ دَلِيلٌ عَلَى الْجَوَازِ وَنَفْيِ الْحُرْمَةِ.

وَالنُّشْرُ وَالتَّمَائِمُ مِنَ الْقُرْآنِ جَائِزَةٌ عِنْدَ الشَّيْخِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي فَنَائِهِ، وَعِنْدَ الشَّيْخِ ابْنِ قِيَمِ الْجَوْزِيَّةِ فِي كِتَابِهِ (الطَّبِّ النَّبَوِيِّ) وَ(زَادَ الْمَعَادِ)، وَغَيْرَهُمَا، وَإِنَّمَا الْمَحْرَمُ هُوَ تَعْلِيْقُ الرَّلْفِ (الْوَدْعِ)، وَالْحَرَزِ، وَظَفَرِ الطَّيْرِ أَوْ رَأْسِهِ أَوْ رِيشِهِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ مَعَ اعْتِقَادِ تَأْثِيرِهِ مُسْتَقِلًّا، وَكَذَلِكَ غَيْرُهُمَا مِنَ الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ الْآخَرَى.

أَهْلُ السُّنَّةِ أَوْلَا: لِأَنَّهْمُ أَكْثَرُ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَدَدًا.

إِنِّي أَنْصَحُ نَفْسِي وَجَمِيعَ الْإِخْوَانِ فِي الدِّينِ، وَخَاصَّةً إِخْوَانِي أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْحِفَازِ عَلَى تَقْدِيمِ الْأَهْمِّ عَلَى الْمُهْمِّ، وَعَلَى الْأَعْتِنَاءِ بِفِكْرَةِ الْأَوْلَوِيَّةِ لَا سِيَّمَا فِي الْعَقِيدَةِ وَكُتُبِهَا، وَأَهْمُ كُتُبِ التَّوْحِيدِ عِنْدَهُمْ فِي نَظَرِي كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: (الْعَقِيدَةُ الطَّحَاوِيَّةُ)، وَ(لَمَعَةُ الْأَعْتِقَادِ) وَ(نُونِيَّةُ ابْنِ قِيَمِ الْجَوْزِيَّةِ)، وَهِيَ قَصِيدَةٌ رَائِعَةٌ، وَأَمْثَالُهَا، وَكَذَلِكَ كُتُبُ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي التَّوْحِيدِ، مِثْلَ (حَاشِيَةِ الشَّيْخِ زَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيِّ) وَ(جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ)، وَ(الْمَقْدَمَةُ السَّنُوسِيَّةُ) مَعَ شُرُوحِهَا الْمُعْتَمَدَةِ، وَكِتَابِ (الْمَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ وَبَعْضِ خِصَائِصِهِ) مَعَ تَجَنُّبِ الْأَشْعَرِيَّةِ الَّتِي تَوْجَدُ فِي جُلِّ



كُتِبَ الْمَخْلُوقِينَ وَلَا تُوَجَدُ فِي كِتَابِ الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،
لَأَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ تَرْكُزُ عَلَى الْأَسَاسِيَّاتِ فِي التَّوْحِيدِ؛ مِثْلَ مَعْرِفَةِ
اللَّهِ بِوَأَسْطَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ وَكَلِمَاتِهِ، وَعَلَى الْعَقَائِدِ
الْإِجْمَاعِيَّةِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا غَالِبًا، وَلَا تَرْكُزُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ؛
مِثْلَ تَحْرِيمِ التَّمَائِمِ الْمُتَّخَذَةِ مِنَ الْقُرْآنِ، وَإِنْكَارِ التَّوَسُّلِ بِالنَّبِيِّ
بَعْدَ مَوْتِهِ، وَالتَّوَسُّلِ بِالصَّالِحِينَ وَنِسْبَةِ أَهْلِهَا إِلَى الْكُفْرِ وَالشِّرْكَ
مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ غَالِبًا بَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكَ الْعَمَلِيِّينَ وَبَيْنَ الشِّرْكَ
فِي الْعَقِيدَةِ الْقَلْبِيَّةِ أحيانًا، وَإِنْكَارِ الْأَحْتِفَالِ بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ وَلَوْ
كَانَ خَالِيًا مِنَ الْأَخْتِلَاطِ وَالْمَحْرَمَاتِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْمَسَائِلِ
الَّتِي فَرَّقَتْ وَحَدَّةَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ أَهْلَ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ).

تَقْدِيمُ الْعُلَمَاءِ السَّابِقِينَ عَلَى الْعُلَمَاءِ الْمَعَاصِرِينَ

يَنْبَغِي لِأَخْوَانِنَا أَهْلَ السُّنَّةِ التَّمَسُّكُ بِمَنْهَجِ الْعُلَمَاءِ الْكِبَارِ
الْمُعْتَبَرِينَ عِنْدَ جُلِّ عُلَمَاءِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ التَّابِعِينَ لِلسَّلَفِ
الصَّالِحِ بِحَقِّ، الْمَعْرُوفِينَ بِوَأَسْطَةِ تَرَاجُمِهِمُ الْمَكْتُوبَةِ فِي
كُتُبِ التَّرْجَمَةِ، الْجَامِعِينَ بَيْنَ عُلُومِ الشَّرِيعَةِ وَمَقَاصِدِهَا وَبَيْنَ
عُلُومِ مَقَامِ الْإِسْلَامِ وَمَقَامِ الْإِيمَانِ وَمَقَامِ الْإِحْسَانِ؛ مَعَ الْعَمَلِ
وَالْإِخْلَاصِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:5]، قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: (مَنْ كَانَ مُسْتَنَّأً فَلْيَسْتَنَّ
بِمَنْ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ)، يَعْنِي أَنَّ الْاسْتِنَانَ
يَكُونُ بِمَنْ مَاتُوا، أَوْ بِالْأَحْيَاءِ الَّذِينَ اسْتَنَّوْا بِمَنْ مَاتُوا وَنَهَجُوا
مَنْهَجَهُمْ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ جَامِعَةٌ لِلشَّرِيعَةِ وَهِيَ الْإِتِّمَارُ بِالْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ مَعَ





الْعِبَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، وَهِيَ مُخْتَوِيَةٌ عَلَى الْإِيمَانِ، لِأَنَّكَ لَا تَعْبُدُ إِلَّا مَنْ أَمَنْتَ بِأَلُوْهِيَّتِهِ غَالِبًا، وَالْإِخْلَاصُ هُوَ شَرْطُ لِقَبُولِ الْعَمَلِ، وَالْعِلْمُ مُقَدِّمٌ عَلَى الْعَمَلِ.

وَمِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ التَّابِعِينَ لِسَلَفِ الصَّالِحِ الَّذِينَ أَنْصَحَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِسُلُوكِ مَنْهَجِهِمُ الْإِمَامُ ابْنُ قِيَمِ الْجَوْرِيَّةِ وَالْإِمَامُ النَّوَوِيُّ، وَأَمْتَالُهُمَا كَثِيرُونَ، وَلَكِنِّي اخْتَرْتُهُمَا بَعْدَ الدِّرَاسَةِ الطَّوِيلَةِ الْوَاعِيَةِ الْمُنْصَفَةِ، فَيَنْبَغِي اقْتِنَاءَ كُتُبِ ابْنِ قِيَمٍ وَدِرَاسَتِهَا وَالْعَمَلُ بِهَا، إِذْ بِهَا وَبِأَمْتَالِهَا تَظْهَرُ حَقِيقَةُ عُلُومِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْعَامِلِينَ بِمَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ بَيْنَ سَائِرِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ، مِثْلَ كِتَابِهِ (زَادَ الْمَعَادِ)، وَ(الْفَوَائِدِ)، وَ(طَرِيقِ الْهَجْرَتَيْنِ)، وَ(مَدَارِجِ السَّالِكِينَ) وَهُوَ أَهْمُّهَا، فَهُوَ وَالنَّوَوِيُّ وَأَمْتَالُهُمَا لَمْ يَرْكُزُوا عَلَى الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ؛ وَإِنَّمَا رَكَّزُوا عَلَى الْأَسَاسِيَّاتِ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهَا غَالِبًا.

وَلَا يَعْنِي أَنَّ هَذَا الْمَنْهَجَ فَوْقَ النَّقْدِ، أَوْ أَنَّهُ خَالَ مِنَ الْمَأْخَذِ، حَتَّى (صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ) غَيْرُ خَالَ مِنَ الْمَأْخَذِ وَلَكِنَّ الْخَطَأَ أَقَلَّ فِيهِ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ الْحَدِيثِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَشَرْطُ قَبُولِهِ لِلْحَدِيثِ أَقْوَى وَأَصُوبٌ، وَلِذَلِكَ كَانَ أَصَحَّ كُتُبِ الْحَدِيثِ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ ثُمَّ عِنْدَهُمْ، فَهُوَ صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ لَا صَحِيحُ كُلِّ الْعُلَمَاءِ.

وَالأُولَى الْعَمَلُ بِكُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْأَوَائِلِ وَتَقْدِيمِهَا عَلَى كُتُبِ الْمَعَاصِرِينَ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّنا فِي زَمَانِ سَيِّطْرَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الدِّينِ، وَفِي زَمَانِ سَيِّطْرَةِ الْغَزْوِ الْفِكْرِيِّ، وَكَثْرَةِ مَثِيرِي الْفِتَنِ وَالنِّزَاعَاتِ مِنْ غَيْرِ تَحْكِيمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْ أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ



أَهْلُهُ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَمِدِينَ الْمَكْتُوبِ تَرَاجُمَهُمْ فِي كِتَابِ
التَّرْجَمَةِ؛ كَابْنِ حَجْرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، وَالنَّوَوِيِّ، وَالذَّهَبِيِّ، وَابْنِ قَيْمٍ،
وَابْنِ رَجَبٍ، وَالْأَثَمَةَ الْأَرْبَعَةَ؛ فَقَدْ أَصَابَ.

وَالْعَامِلُونَ بِمَنْهَجِ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْأَوَائِلِ التَّابِعِينَ لِمَنْهَجِ
السَّلَفِ الصَّالِحِ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ الْمُعْتَدِلُونَ، مِثْلُ أَتْبَاعِ الْأَثَمَةِ
الْأَرْبَعَةِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ؛ إِذَا تَجَنَّبَ أَتْبَاعُهُمْ
النَّعْصَبَ لِأَرَائِهِمْ وَفَهْوَمِهِمْ وَلَمْ يَقْدِمُوا عَلَى النُّصُوصِ
الصَّحِيحَةِ الصَّرِيحَةِ، وَأَمَّا الْغُلَاةُ مِنْهُمْ فَهُمْ الْمُتَعَصِّبُونَ
وَالْمُتَشَدِّدُونَ وَالْمُنْفِرُونَ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ أحيانًا الْفِرْقَ الْإِسْلَامِيَّةَ
الْأُخْرَى، وَيَقْدِمُونَ الْأَخُوَّةَ الطَّائِفِيَّةَ عَلَى الْأَخُوَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: 10]، وَرَسُولُهُ
يَقُولُ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ)، فَالْإِسْلَامُ هُوَ الْجَامِعُ بَيْنَ الْفِرْقِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالطَّائِفِيَّةِ مَفْرَقَةٌ غَيْرُ جَامِعَةٍ، وَالطَّائِفِيَّةُ مِنْ صَنِيعِ
الْبَشَرِ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ.

وَيَنْبَغِي لَهُمْ مَعَامَلَةُ الْمُعْتَدِلِينَ مِنَ الشَّيْعَةِ مَعَامَلَةَ الْمُسْلِمِ
لِلْمُسْلِمِ، كَمَا عَلَى الْمُعْتَدِلِينَ مِنَ الشَّيْعَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، مَعَ الْحَذَرِ
مِنْ تَكْفِيرِ الْخُلَفَاءِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَثْمَانَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أُمَّةِ أَهْلِ
السُّنَّةِ، وَحَذَرِ أَهْلِ السُّنَّةِ مِنَ الطَّعْنِ فِي أُمَّةِ الشَّيْعَةِ حِفَاظًا عَلَى
الْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لَا سِيَّمَا فِي الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ.

أَمَّا الْغُلَاةُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ؛ فَهُمْ مَوْقِدُو نَارِ الْفِتْنَةِ وَالْبُغْضَاءِ
بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَفِرْقِهِمْ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ الْمُنتَسِبِينَ إِلَى السُّنَّةِ
يُنْكِرُونَ التَّقَارُبَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَبَعْضُ السَّلَفِيَّةِ يَرَوْنَ أَنَّ





التَّقَارُبَ عَيْرِ مُمَكَّنٍ بِحُجَّةِ الْأَخْتِلَافِ فِي بَعْضِ مَا يَرُونَهُ أَصُولًا
وَلَيْسَتْ مِنَ الْأَصُولِ وَالْأَرْكَانِ الَّتِي جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ وَعَلَى
آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهِيَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ الْخُمْسَةَ الْمُجْمَعِ عَلَيْهَا لَا
أَرْكَانَ الْفِرْقِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا وَلَا أَصُولَهُمُ الْمَذْهَبِيَّةَ.

وَالْمَطْلُوبُ شَرْعًا مِنْ جَمِيعِ الشَّيْعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ الْعَمَلُ بِجَمِيعِ
النُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ الصَّحِيحَةِ الْوَارِدَةِ فِي الْوَاجِبَاتِ، وَالْوَارِدَةِ
فِي فُضَائِلِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالْوَارِدَةِ فِي
الْعَقِيدَةِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْمُعَامَلَاتِ الْوَاجِبَةِ؛ عَمَلًا بِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
[الحشر:7]، وَأَنْ يَحْتَرَمَ كُلُّ فَرِيقٍ أُمَّةً وَعُلَمَاءَ الْفَرِيقِ الْآخَرَ، وَلَا
يَذْمُوا إِلَّا مَنْ وَرَدَ النَّصُّ الصَّرِيحُ الصَّحِيحُ فِي ذَمِّهِ، وَكَانَ نَافِعًا عَيْرِ
ضَارًّا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ [الأعلى:9].

التَّقَارُبُ بَيْنَ الشَّيْعَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ

فَلَا يَصِحُّ ادِّعَاءُ اسْتِحَالَةِ التَّقَارُبِ إِلَّا بَعْدَ تَدَاعِي عُلَمَاءِ
الْفَرِيقَيْنِ إِلَى تَطْبِيقِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:59]، وَبَعْدَ تَطْبِيقِهَا نَعْلَمُ هَلْ يُمْكَنُ
التَّقَارُبُ أَمْ هُوَ عَيْرُ مُمَكَّنٍ، فَإِنَّ النَّصَّ مُقَدَّمٌ عَلَى الرَّأْيِ، وَالْقَوْلُ
بِعَدَمِ إِمْكَانِ التَّقَارُبِ رَأْيٌ وَلَيْسَ بِنَصٍّ، وَالنَّصُّ هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى:
(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ الْخ).

وَلَا يَغْنِي تَطْبِيقُ الْبَعْضِ عَن تَطْبِيقِ الْبَعْضِ الْآخَرَ؛ لِأَنَّهَا لَا
نُدْرِي أَيُّ تَطْبِيقٍ يَكُونُ سَبَبًا لِلتَّقَارُبِ، وَفَشَلُ الْمَحَاوَلَاتِ السَّابِقَةِ
لَا يَمْنَعُ نَجَاحَ بَعْضِ الْمَحَاوَلَاتِ الْآخِرَةِ.



وَيُعَلِّمُ أُمَّةَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَعُلَمَاءُوَهُمْ، وَعُلَمَاءُ الشَّيْعَةِ وَأُمَّتَهُمْ،
وَالصُّوفِيِّونَ؛ أَنْ تَفَرَّقَهُمْ مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ ضَعْفِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ أَمَامَ قُوَى أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ الْعَرَبِيِّينَ وَقَادَةَ أَفْرِيْقِيَا
التَّابِعِينَ لَهُمْ، فَمَنْ الْمُتَقَاتِلُونَ فِي الْيَمَنِ وَالْعِرَاقِ الْيَوْمَ غَيْرَ أَهْلِ
(لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)؟! مَعَ عِلْمِهِمْ بِأَنْ مَنْ شَهِدَ أَنْ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) لَا يُقْتَلُ
إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ.

فَلَوْ قَدَّمُوا الْأُخُوَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ عَلَى الْأُخُوَّةِ الطَّائِفِيَّةِ وَحَقَّهَا
عَلَى حَقِّهَا، وَتَقَارَبُوا وَاتَّحَدُوا كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاعْتَصِمُوا
بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:103]، وَتَحَالَفَتِ الْقُوَى
فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، كَمَا تَتَحَالَفُ دَائِمًا الْقُوَى الْمُعَادِيَّةُ
لِلْإِسْلَامِ وَحُكُومَاتُ دَوْلَهَا ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؛ لِعَادِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ قُوَّتَهُمْ وَعِزَّتَهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ فِي عَهْدِ النَّبُوَّةِ
وَالْخِلَافَةِ الرَّاشِدَةِ السَّالِفَةِ ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا
فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:46].

فَالْهُدْمُ مِنَ الدَّخْلِ أخطرُ مِنَ الْهُدْمِ الْخَارِجِيِّ، فَالْفَرِيقَانِ
بِمَثَابَةِ جَنَاحِي الْإِسْلَامِ، وَالطَّائِرُ لَا يَطِيرُ بِجَنَاحٍ وَاحِدٍ بَلْ يَسْقُطُ
إِذَا حَاوَلَ الطَّيْرَانِ بِجَنَاحٍ وَاحِدٍ.
وَمِمَّا قَدْ يَخْفَفُ مِنْ حِدَّةِ الْأَخْتِلَافِ؛ أَنْ يَمْنَعَ عُلَمَاءُ كُلِّ فَرِيقٍ
عَوَامَّهُمْ وَجَهَّالَهُمْ مِنَ التَّدْخُلِ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ الْخَاصَّةِ
بِالْعُلَمَاءِ.





مَحَاوَلَاتٌ لِلتَّقْرِيبِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ بَعْضَ أُمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَبَعْضَ أُمَّةِ الشَّيْعَةِ اجْتَمَعُوا مَرَارًا لِلدَّعْوَةِ إِلَى التَّقَارُبِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ تَقْدِيمًا لِلأُخُوَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَى الأُخُوَّةِ الطَّائِفِيَّةِ، ثُمَّ لَمْ يَنْجَحُوا تَمَامَ النِّجَاحِ، وَلَكِنَّ الكَثِيرَ مِنَ العُلَمَاءِ المَعْتَدِلِينَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ انْتَفَعُوا بِمَوْلَفَاتِهِم الدَّاعِيَةِ إِلَى التَّقْرِيبِ، وَإِنْ كَانَ الكَثِيرُ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ يَرْفُضُونَ فِكْرَةَ التَّقْرِيبِ بِحُجَّةِ كَوْنِ الأَخْتِلَافِ فِي أَصُولِ نَرَاهَا أَصُولًا طَائِفِيَّةً، وَلَيْسَتْ هِيَ أَرْكَانُ الإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ أَصُولُهُ المْتَفَقُ عَلَيْهَا لَدَى كُلِّ الفِرْقِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَهِيَ غَيْرُ الأَصُولِ الطَّائِفِيَّةِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الْفَرِيقَانِ، فَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ مُقَدَّمٌ عَلَى المُخْتَلَفِ فِيهِ.

نَسْتَحْسِنُ اسْتِخْدَامَ مُصْطَلَحِ آخَرَ غَيْرِ التَّقْرِيبِ، لِأَنَّهُ يُوجِبُ إِلَى نَوْعٍ مِنَ التَّخْلِي عَنْ بَعْضِ مَبَادِئِنَا لِإِرْضَاءِ الطَّرْفِ الأَخْرَ، فَالْأَنْسَبُ حَسَبَ رَأْيِنَا أَنْ نَسْتَبْدِلَهُ بِمُصْطَلَحِ الحِوَارِ.

وَالأُولَى أَنْ يَقُومَ إِخْوَانُنَا الشَّيْعَةُ وَالسَّلَفِيَّةُ بِالعَمَلِ بِكُلِّ حَدِيثٍ إِنْ كَانَ صَرِيحًا صَحِيحًا مَرْوِيًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، سِوَاءِ كَانَ رَاوِيَهُ شَيْعِيًّا أَوْ سُنِّيًّا، فَالْمُهْمُ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا مُؤْمِنًا ثِقَةً مَقْبُولَ الرِّوَايَةِ تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ القَبُولِ، لِأَنَّ الأَهْمَ هُوَ المَرْجِعَانِ الأَسَاسِيَانِ (الكتاب والسنة النبوية)، لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59]، وَجَمِيعِ المُسْلِمِينَ وَفَرِيقَهُمْ مَأْمُورُونَ بِالعَمَلِ بِهَذِهِ الآيَةِ القَاطِعَةِ لِلنِّزَاعِ بَيْنَهُمْ.



خَطَأٌ مَنْ ذَمَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ شِيعِيًّا وَلَا سَلَفِيًّا

وَمَنْ خَطَأَ الْفَاحِشَ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَمْ يَنْتَسِبْ إِلَى السَّلَفِيَّةِ
أَوْ إِلَى التَّشْيِيعِ: إِنَّهُ (لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ) [النساء: 143]
عَلَى وَجْهِ الذَّمِّ، فَكَأَنَّهُ يَذَمُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الشَّيْعَةِ وَلَا مِنَ
السَّلَفِيَّةِ، وَنَسِيَ أَنَّهُمَا اثْنَانِ وَالْإِسْلَامُ وَاحِدٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى دَعَا
إِلَى دِينٍ وَاحِدٍ أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَهُوَ (الْإِسْلَامُ)، وَهُوَ وَحْدَهُ
الَّذِي يَتَقَبَّلُهُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
[آل عمران: 85]، وَهُوَ دِينُ جَمِيعِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَلِذَلِكَ سَمِّيَتْ
فِرَقًا إِسْلَامِيَّةً، فَالْإِسْلَامُ هُوَ الْوَاجِبُ لَا إِلَى فِرْقَةٍ
مِنَ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هِيَ مِنْ صَنِيعِ الْبَشَرِ لَمْ يُنَزِّلْهَا اللَّهُ عَلَى
رَسُولِهِ.

وَمَنْ الْغَلَوُ أَنْ يُقَالَ لِلْمُسْلِمِ الَّذِي لَمْ يَنْتَسِبْ إِلَى أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ
بِأَنَّهُ (لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ)، وَلَكِنَّهُ إِلَى دِينِ هَؤُلَاءِ (الْإِسْلَامِ)
لَا إِلَى مَذَاهِبِهِمْ وَمَنَاهِجِهِمْ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]
نَعَمْ الْإِسْلَامُ لَا مَذْهَبَ هَؤُلَاءِ وَلَا مَنَهْجَ هَؤُلَاءِ،
فَالصَّحَابَةُ وَأَهْلُ الْبَيْتِ وَقَرْنُهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ لَمْ يَتَسَمَّوْا بِاسْمِ أَيِّ
مَذْهَبٍ أَوْ مَنَهْجٍ؛ وَإِنَّمَا تَسَمَّوْا بِاسْمِ وَاحِدٍ يَجْمَعُهُمْ جَمِيعًا هُوَ
(الْإِسْلَامُ)، لَكِنْ اتَّخَذَ مَذْهَبٌ أَوْ مَنَهْجٌ جَائِزٌ أَوْ مُسْتَحْسَنٌ إِنْ كَانَ
لِخِدْمَةِ الْأَصْلِ وَهُوَ (الْإِسْلَامُ) الدَّاعِي إِلَى التَّوْحِيدِ وَالْإِتِّحَادِ، وَكَانَ
لِلْإِسْتِعْدَادِ لِإِعَادَةِ الْخُلَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَعَاوُنِ جَمِيعِ الْمَذَاهِبِ
وَالْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِذَلِكَ.





فَالْمَرْجِعُ الْأَسَاسِيُّ لِلْإِسْلَامِ هُوَ بَيِّنَاتُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَيْ
مُحْكَمَاتِهِ، ثُمَّ السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ الصَّرِيحَةُ الصَّحِيحَةُ، ثُمَّ الْإِجْمَاعُ
الْمُعْتَبَرُ، ثُمَّ الْقِيَاسُ الصَّحِيحُ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ.

وَنَرَى أَنَّ مِمَّا يَسَاهِمُ فِي تَخْفِيفِ حِدَّةِ الْأَخْتِلَافِ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ؛
أَنْ يَمْنَعَ كُلُّ مِنْهُمُ سَفَهَاءَهُ مِنَ التَّدْخُلِ فِي بَعْضِ الْمَسَائِلِ
الَّتِي لَا يَنْبَغِي التَّكَلُّمُ فِيهَا إِلَّا لِلْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، لِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: 36].

الاعتدال والوسطية

الاعتدال والوسطية تعني أن يكون المسلم في الوسط، بحيث
يُقدِّم الواجبات ولا يقصر فيها ويعطيها حقها وحكمها، ويعلم
أن تاركها هو الذي يستحق العذاب، ولا يغلو في دينه ولا يشدد
فيه، ويتجنب المحرمات بعزم ويقدمها على المكروهات، ولا يلجأ
إلى تكفير إخوانه المسلمين أو معاداتهم أو الإنكار عليهم على
اختلاف مذاهبهم وفرقهم، لا بسبب أركان الإسلام ولا بسبب
المفروضات المتفق عليها، المستندة إلى النصوص الصحيحة
الصريحة، ولكن بسبب كونه على مذهب يخالف مذهبهم
بسبب المسائل الخلافية الاجتهادية التي لم تكن مستندة إلى
النصوص الصحيحة الصريحة؛ مثل مسألة تحريم اتخاذ التماثيل
والنشر من القرآن أو من أسماء الله، وإنكار الاحتفال بالمولد
النبوي؛ ولو كان خالياً من الاختلاط والإطراء وغيره من المحرمات،
ومسألة القبض والسدل في الصلاة، مع الإنكار والتبديع وتفريق
المسلمين ومساجدهم ومدارسهم بسببهما، والوسطية هي



الْعَدْلُ وَهِيَ التَّوَسُّطُ بَيْنَ طَرَفٍ غَالٍ وَطَرَفٍ مُقَصِّرٍ مِنَ الْفَرْقِ
الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْأَدِلَّةُ عَلَى جَوَازِ ذَلِكَ مَتَوَفِّرَةٌ فِي كِتَابِنَا (ثَلَاثَ
رَسَائِلٍ).

وَمَنْ كَانَتْ الْوَسْطِيَّةُ هِيَ فِكْرَتُهُ فَإِنَّهُ يَتَحَاشَى الْإِنْكَارَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ وَفَرَقَهُمْ، وَتَكْفِيرَهُمْ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ
الْأَجْتِهَادِيَّةِ وَأَمْثَالِهَا، وَيُقَدِّمُ الْأَهَمَّ عَلَى الْمُهْمِّ، وَالْمُهْمَّ عَلَى غَيْرِ
الْمُهْمِّ، وَيُقَدِّمُ الْأَرْكَانَ وَالْفَرَائِضَ عَلَى السُّنَنِ وَالْمُسْتَحَبَّاتِ، وَلَا
يَشْتَغَلُ بِالسُّنَنِ وَيُهْمِلُ الْوَاجِبَاتِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَعْتَنِي بِمَا اعْتَنَى
بِهِ الْقُرْآنَ وَذَكَرَهُ أَوْ أُوجِبَهُ أَوْ أَكَّدَهُ وَيُقَدِّمَهُ عَلَى مَا لَمْ يَذْكُرْهُ وَلَمْ
يَعْتَنِ بِهِ، وَيُقَدِّمُ بَيْنَاتِهِ الْمُحْكَمَاتِ عَلَى الْمُتَشَابِهَاتِ، وَيُقَدِّمُ
الْأَحَادِيثَ الصَّحِيحَةَ الصَّرِيحَةَ عَلَى غَيْرِهَا، وَيَبْتَعدُ عَنِ الْغُلُوِّ
وَالْتَشْدِيدِ، وَلَا يَرْكُزُ عَلَى الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ الَّتِي فَرَّقَتْ وَحَدَّةَ
الْمُسْلِمِينَ.

أَمْثَلَةٌ لِلْمَسَائِلِ الَّتِي فَرَّقَتْ وَحَدَّةَ الْمُسْلِمِينَ

إِنَّ ابْنَ حَنْبَلٍ وَابْنَ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّةَ، وَالنَّوَوِيَّ شَارِحَ صَحِيحِ مُسْلِمٍ،
وَالذَّهَبِيَّ، وَابْنَ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيَّ، وَابْنَ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيَّ شَارِحَ صَحِيحِ
الْبُخَارِيِّ، وَأَمْثَالَهُمْ، إِضَافَةً إِلَى الْأُثْمَةِ الْأَرْبَعَةِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكَ
وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ؛ لَمْ يَبْلُغْنَا أَنَّهُمْ كَفَرُوا أَوْ بَدَعُوا أَحَدًا أَوْ أَنْكَرُوا
عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْأَحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، أَوْ الْقَبْضِ أَوْ السِّدْلِ، أَوْ
اسْتِعْمَالِ النَّشْرِ وَالتَّمَائِمِ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ جُلَّهُمْ لَمْ
يَفْعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَسَائِلَ لَيْسَتْ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَلَا مِنْ
فَرَائِضِهِ بَلْ هِيَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ الْأَجْتِهَادِيَّةِ الَّتِي لَا عِقَابَ





عَلَى تَارِكِهَا، وَلَا تُوَجَدُ فِي صَرِيحِ نَصِّ الْقُرْآنِ، وَلَمْ يَتَّفَقْ عَلَيْهَا
الْفُقَهَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَهُمْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِأَحْكَامِهَا الرَّاسِخُونَ فِي
الْعِلْمِ.

وَأَبْنُ تَيْمِيَّةَ بَدَعَ الْأَحْتِفَالَ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ فِي كِتَابِهِ (اِقْتِضَاءُ
الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ)، وَلَكِنَّهُ عَادَ فَقَالَ بِإِمْكَانِ وُجُودِ الثَّوَابِ
لِلْمُحْتَفَلِ بِهِ بِسَبَبِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ وَتَعْظِيمِهِ، وَأَكْثَرَ مَنْ يُؤَيِّدُونَهُ
فِي بِلَادِنَا لَا يَقُولُونَ مِثْلَ مَا قَالَ فِي الْأَحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ،
فَهَلْ هُمْ مَبْشُرُونَ مَيْسُرُونَ أَمْ هُمْ مَعْسِرُونَ مَنْفِرُونَ مُشَدَّدُونَ؟
قُلْتُ: هَلْ يُوجَدُ الثَّوَابُ فِي فِعْلِ بَدْعَةٍ بِسَبَبِ حُسْنِ النِّيَّةِ أَوْ
لِأَجْلِ مَحَبَّةِ النَّبِيِّ وَتَعْظِيمِهِ؟

وَقَدْ أَجَازَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ كِتَابَةَ الْقُرْآنِ عَلَى اللُّوْحِ وَغَسَلَهُ وَالنَّمْسَجِ
وَالشَّرْبِ مِنْ غَسَالَتِهِ فِي كِتَابِهِ (مَجْمُوعُ الْفَتَاوَى).
وَأَجَازَهَا ابْنُ قَيْمٍ الْجُوزِيَّةَ فِي كِتَابِهِ (الطَّبِّ النَّبَوِيِّ)، وَقَدْ أَجَازَ
ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ قَيْمٍ النُّشْرَةَ مِنَ الْقُرْآنِ وَتَعْلِيْقَ الْقُرْآنِ لِلِاسْتِشْفَاءِ
وَالنَّبْرُكِ بِهِ.

فَقَدْ أَثْبَتَ ابْنُ حَجَرَ الْعَسْقَلَانِيُّ فِي فَتْحِ الْبَارِي شَرْحَ صَحِيحِ
الْبُخَارِيِّ: أَنَّ التَّمَائِمَ مِنَ الْقُرْآنِ لَا تَدْخُلُ فِي التَّمَائِمِ الْمَحْرَمَةِ، فَمَنْ
أَدْخَلَهَا فِيهَا فَقَدْ خَالَفَ كِبَارَ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ. وَأَثْبَتَ مُحَمَّدُ بْنُ
عَبْدِ الْوَهَّابِ فِي كِتَابِ (التَّوْحِيدِ) أَنَّ السَّلَفَ اخْتَلَفُوا فِيهَا، وَأَنَّ
بَعْضَهُمْ رَخَّصُوا فِيهَا، وَبَعْضُهُمْ نَهَوْا عَنْهَا وَلَمْ يَرُخَّصُوا فِيهَا
. وَلَا يُنْكَرُ فِي الْمَسَائِلِ الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا الصَّحَابَةُ.

وَأَبْنُ حَنْبَلٍ أَجَازَهَا كَمَا فِي كِتَابِ (الْأَدَابِ الشَّرْعِيَّةِ)، فَانْظُرْ



التَّفْصِيلَ مَعَ ذِكْرِ الْمَرَاجِعِ فِي كِتَابِنَا (ثَلَاثَ رَسَائِلٍ) وَ(الرَّدَّ بِالْبُرْهَانِ)، فَفِيهِمَا ذِكْرُ أَدَلَّةِ جَوَازِ الْأَسْدَالِ فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ أَهْلِهِ، مَعَ أَدَلَّةِ اسْتِحْبَابِ الْقُبْضِ عِنْدَ أَهْلِهِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَسَائِلِ الْخَلَافِيَّةِ؛ فَلَا دَاعِيَ إِلَى التَّشْدِيدِ أَوْ التَّكْفِيرِ بِسَبَبِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَأَمْثَالِهَا. وَهَذِهِ الْمَسَائِلُ الثَّلَاثُ وَهِيَ: مَسْأَلَةُ الْقُبْضِ وَالسُّدْلِ، وَمَسْأَلَةُ الْأَحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، وَمَسْأَلَةُ اتِّخَاذِ التَّمَائِمِ مِنَ الْقُرْآنِ؛ هِيَ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمَسَائِلِ الَّتِي فَرَّقَتْ وَحَدَّ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِنَا وَغَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ إِفْرِيقِيَا، وَكَانَتْ مِنْ أَسْبَابِ انْقِسَامِهِمْ إِلَى فِرْقٍ مُتَفَرِّقَةٍ مُتَنَازِعَةٍ، وَلِذَلِكَ خَصَّصْتُهَا بِالذِّكْرِ هُنَا.

وَالَّذِي لَا يَجُوزُ تَعْلِيْقُهُ هُوَ (الْوَدْعُ)، أَوْ رَأْسُ الطَّائِرِ أَوْ ظُفْرُهُ أَوْ رِيْشُهُ الْخِ، مِمَّا لَيْسَ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ مَعَ اعْتِقَادِ تَأْثِيرِهِ مُسْتَقْلَلًا.

مُعَامَلَةُ عَلِيِّ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَثْمَانَ كَيْفَ كَانَتْ؟

وَالآنَ يَأْتِي الْكَلَامُ إِلَى دَوْرِ الشَّيْعَةِ، يَنْبَغِي لِإِخْوَانِنَا الشَّيْعَةِ وَعُلَمَائِهِمْ مُعَامَلَةَ الصَّحَابَةِ كَمَا كَانَ يُعَامِلُهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَإِنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَاشَ مَعَ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرٍ وَالْإِمَامِ عُمَرَ وَالْإِمَامِ عَثْمَانَ عَيْشَةَ الْمُسَالَمَةِ، وَلَمْ نَرِ فِي نَصِّ صَحِيحٍ صَرِيحٍ أَنَّهُ كَفَرَ أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ طَعَنَ فِيهِمْ، أَوْ أَمَرَ أَحَدًا بِالطَّعْنِ فِيهِمْ أَوْ بِذِكْرِ عَيْبِهِمْ أَوْ مَسَاوِيهِمْ، بَلْ قَالَ فِي كِتَابِ (نَهْجِ الْبَلَاغَةِ) ص 168: (يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبٍ؛ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ) وَأَسْبَابُ نَيْلِ مَغْفَرَةِ اللَّهِ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ ثَقِيلَةٌ فِي الْمِيزَانِ ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القارعة: 6-7] ﴿إِنَّ





الْحَسَنَاتِ يُذْهِبَنَّ السَّيِّئَاتِ ﴿١﴾، وَهَلْ يُوجَدُ عَبْدٌ صَالِحٌ سَالِمٌ مِنَ
الْوُقُوعِ فِي الْخَطَا؟ وَالرَّسُولُ يَقُولُ: ﴿كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرٌ
الْحَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ﴾ [هود: 114]، فَالْكُلُّ خَطَاوُونَ حَتَّى الَّذِينَ
نَظُنُّ أَنَّهُمْ لَا يَقْعُونَ فِي الْخَطَا.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي الثَّنَاءِ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: (لِلَّهِ
بَلَاءٌ فَلَانٌ، فَلَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدِ، وَدَاوَى الْعَمَدِ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ، وَخَلَفَ
الْفِتْنَةَ، ذَهَبَ نَقِي الثُّوبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ)، فَلَوْ عَمِلَ أَتْبَاعُهُ الْيَوْمَ
بِقَوْلِهِ هَذَا لَحَصَلَ التَّقَارُبُ وَخَفَّ الْخِلَافُ.

وَمِنَ الْمَرَاJِعِ النَّبِيَّ يَرَى الشَّيْعَةَ الْإِمَامِيَّةَ أَنَّهَا الْمَرَاJِعُ
الْمُعْتَمَدَةُ هِيَ: الْكَافِي، وَفَقِيهِ مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهُ، وَالتَّهْذِيبُ،
وَالْأَسْتَبْصَارُ.

فَنَنْصَحُ بِالْعَمَلِ بِصَحَاحِهَا بَعْدَ الْقُرْآنِ، لَكِنْ بَعْدَ قِيَامِ
الْحَفَاطِ وَالْمُحَدَّثِينَ بِدِرَاسَةِ سَنَدِهَا ثُمَّ الْحُكْمَ عَلَيْهَا بِالصَّحَّةِ أَوْ

1 - هود: 114

2 - الجامع الصغير وزيادته، للألباني: حسن.

3 - قَوْمَ الْأَوْدِ: أَي قَوْمَ الْعُوجِ. لِلَّهِ بَلَاءٌ فَلَانٌ: أَي لَلَّهِ مَا صَنَعَ أَي أَتَعَجَّبُ مُقْسِمًا.

4 - دَاوَى الْعَمَدِ: أَي دَاوَى الْمَرَضِ، أَي قَوْمَ عُمَرَ الْعُوجِ وَالْإِنْجِرَافِ، وَدَاوَى
الْمَرَضِ الْمَعْنَوِيَّ الَّذِي أَصَابَ الْبَعْضَ، وَأَقَامَ السُّنَّةَ النَّبَوِيَّةَ، وَخَلَفَ الْفِتْنَةَ وَرَأَاهُ
مُعْرِضًا عَنْهَا، وَذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ طَاهِرَ الثُّوبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ.

5 - نهج البلاغة، خطبة 223، وَالرَّاجِحُ عِنْدَ الْكَثِيرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَعِنْدَ شَارِحِ نَهْجِ

الْبَلَاغَةِ ابْنِ عَبْدِ الْحَدِيدِ.

الراجح أن الذي يعنيه (علي) هو (عمر) وسياق الكلام يشعر بأن المعنى خليفته بيده
القيادة، وعليه جُلُّ شَرَّاحِ (نهج البلاغة)



الحسن؛ بَعْدَ تَوْفُرِ شُرُوطِ الْقَبُولِ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُ عُلَمَاءِ الْفَرِيقَيْنِ
مُخْتَلِفِينَ فِي بَعْضِ شُرُوطِ قَبُولِ الْحَدِيثِ، مِثْلَ مُوَافَقَةِ الْحَدِيثِ
لِلْقُرْآنِ وَعَدَمِ مَخَالَفَتِهِ عِنْدَ الشَّيْعَةِ.

وَكَذَلِكَ الْمُصَالِحَةُ وَالتَّنَازُلُ الَّتِي قَامَ بِهَا الْإِمَامُ الْحَسَنُ بِتَرْكِ
الْخِلاَفَةِ لغيرِهِ حِفَاظًا عَلَى حَقِّ الدِّمَاءِ وَعَلَى وَحْدَةِ الْمُسْلِمِينَ،
وَتَفَادِيًا لَوْقُوعِ الْفِتْنَةِ بَيْنَهُمْ.

وَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ لَمْ يَقْصِدِ الْكُوفَةَ لِلْقِتَالِ بَلْ قَصَدَهَا تَلْبِيَةً
لِدَعْوَةِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ طَلَبُوا مَجِيئَهُ لِيُبَايِعُوهُ عَلَى الْخِلاَفَةِ
الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي هُوَ الْأَوْلَى بِهَا مِنْ يَزِيدَ شَرْعًا، وَلَوْ كَانَ الْحُسَيْنُ
خَلِيفَةً لَكَانَ فِي ذَلِكَ الْمُصْلِحَةُ الْكُبْرَى لِلْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ
سَبَبًا لِتَوْحِيدِهِمْ وَتَوْحِيدِ كَلِمَتِهِمْ، وَكَانَ سَبَبًا لِلْعُودَةِ إِلَى مِنْهَاجِ
النَّبُوَّةِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهِ جَدُّهُ.

وَالْإِمَامُ الْحُسَيْنُ لَمْ يَقُلْ لِأَعْدَائِهِ: أَنْتُمْ كُفَّارٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، بَلْ
فَوَّضَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ أَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ، الَّذِي يَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ، كَمَا فَوَّضَ أَبُوهُ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ فِي كِتَابِ (نَهْجِ الْبَلَاغَةِ)،
وَعَاشَ مَعَ جَمِيعِ الصَّحَابَةِ عَيْشَةَ الْمُسَالَمَةِ وَالْأَحْتِرَامِ.

وَعَلَى جَمِيعِ الْفِرَقِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ كَلِمَةَ (السُّنَّةِ)
تَشْمَلُ جَمِيعَ الْعَامِلِينَ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالشَّيْعَةِ
وغيرِهِمْ، وَالشَّيْعَةُ الْمُعْتَدِلُونَ مُسْلِمُونَ أَوْلًا ثُمَّ عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ
بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ الْمُعْتَدِلُونَ مُسْلِمُونَ

1 - الرَّاجِحُ نِسْبَةُ (نَهْجِ الْبَلَاغَةِ) إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، لِأَنَّ بِلَاغَتَهُ تَنَاسِيَهُ، وَنِسْبَتُهُ
إِلَى بَعْضِ أَحْفَادِهِ نِسْبَةٌ إِلَيْهِ، لِأَنَّهُمْ أَخَذُوا عَنْهُ عُلُومَهُمْ، وَقَدْ أُثْبِتَ جُلُّ شُرَاحِهِ
وَخَاصَّةُ الشَّيْخِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ.





أَوَّلًا ثُمَّ سُنِّيُونَ وَعَلَيْهِمْ مَحَبَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج:78] ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:23]، فَلَا دَاعِيَ إِلَى تَخْصِيسِ السُّنَّةِ بِفَرِيقٍ دُونَ فَرِيقٍ، وَالْوَاجِبُ مَحَبَّةُ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ، وَطَاعَةُ اللَّهِ كَمَا أَطَاعَهُ رَسُولُهُ.

فَالسُّنَّةُ عِلْمٌ وَعَمَلٌ وَلَيْسَ مُجَرَّدَ انْتِسَابٍ ﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:105].

التَّشْيِيعُ مَذْهَبٌ وَالسَّلَفِيَّةُ مَنَهْجٌ وَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ اللَّهِ

وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ التَّشْيِيعَ مَذْهَبٌ وَلَيْسَ هُوَ الدِّينَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ، وَالسَّلَفِيَّةُ مَنَهْجٌ وَلَيْسَتْ هِيَ الدِّينَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:19]، فَإِنَّ الْأُخُوَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ وَالْإِيمَانِيَّةَ وَالْإِنْسَانِيَّةَ مُقَدِّمَةٌ عَلَى الْأُخُوَّةِ الطَّائِفِيَّةِ، وَحَقَّقَهَا مُقَدِّمٌ عَلَى حَقِّهَا، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:10]، وَلِحَدِيثِ (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ الْخ)، وَلَمْ يَقُلْ: السُّنِّيُّ أَخُو السُّنِّيِّ أَوْ الشَّيْعِيُّ أَخُو الشَّيْعِيِّ أَوْ الْأَشْعَرِيُّ أَخُو الْأَشْعَرِيِّ أَوْ الصُّوفِيُّ أَخُو الصُّوفِيِّ. فَإِنَّ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ قَبْلَ الْقُرْآنِ تَكَلَّمَتْ عَلَى أُمُورٍ خَاصَّةٍ بِالْأَنْبِيَاءِ السَّلَافِينَ وَأَدْيَانِهِمْ وَشَرَائِعِهِمْ وَأُمَّمِهِمْ وَتَوَارِيخِهِمْ، وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ عَامٌّ تَكَلَّمَ عَلَى دِينِ عَامٍّ شَامِلٍ يَعْزَمُ النَّاسُ كُلَّهُمْ وَأَجْنَاسَهُمْ، يَعْزَمُ الشَّرْقَ وَالغَرْبَ وَالْعَرَبَ وَالْعَجَمَ، وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي قَالَ تَعَالَى فِيهِ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:19]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:85].



وَمَنْ أَلْمَهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ ذَكَرُ مَوْقِفِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُ مَعَ الْخَوَارِجِ حَيْثُ قَالَ لَهُمْ: (لَا نَبْدُوكُمْ بِالْقِتَالِ مَا لَمْ
تُقَاتِلُونَا، وَلَا نَمْنَعُهُمْ مَسَاجِدَ اللَّهِ وَلَا نَمْنَعُهُمْ مِنَ الْفِيءِ).

وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْصَافِ مُعَامَلَةُ السُّنِّيِّ الَّذِي أَحَبَّ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَاعْتَرَفَ بِفَضَائِلِهِمْ وَاحْتَرَمَهُمْ مُعَامَلَةً مِّنْ عَادُوهُمْ وَإِذْوِهِمْ
وِظْلَمُوهُمْ مِنْ أَيِّ فِرْقَةٍ أَوْ فِئَةٍ كَانُوا، مِثْلَ حُبِّ الْأُمَّةِ الْأَرْبَعَةِ
أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكَ وَالشَّافِعِيَّ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالنَّابِعِينَ
لَهُمْ بِحَقٍّ، وَمِثْلَ الْجُنَيْدِ وَالْغَزَالِيِّ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أُمَّةِ النَّصُوفِ
الْمَشْرُوعِ وَأُمَّتِهِمْ، فَكُلُّهُمْ كَانُوا مُحِبِّينَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ مُعْتَرِفِينَ
بِفَضَائِلِهِمْ الْمَذْكُورَةِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَلَمْ يَنْسَمُوا
(السُّيِّعَةَ)، فَمَنْ تَعَلَّمَ بَيِّنَاتِ الْقُرْآنِ، وَالصَّرِيحِ الصَّحِيحِ مِنَ السُّنَّةِ
النَّبَوِيَّةِ عِنْدَ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ، وَعَمَلَ بِهِمَا مِنْ غَيْرِ انْتِسَابٍ
إِلَى فِرْقَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ لَا يُقَالُ: إِنَّهُ غَيْرُ مُتَمَسِّكٍ بِمَا عِنْدَ أَهْلِ الْبَيْتِ
الْأَطْهَارِ وَالصَّحَابَةِ الْأَبْرَارِ أَوْ غَيْرِ تَابِعٍ لَهُمْ، لِأَنَّ اتِّبَاعَ مَا بَلَغُوهُ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ اتِّبَاعٌ لَهُ وَلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ الْأَوَائِلُ الْمُنْتَبِعُونَ لَهُ، مَعَ الْعِلْمِ
أَنَّ الْفِرَائِضَ هِيَ أَهْمُ مَا بَلَغُوهُ، ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ دَوْرُ السُّنَنِ
النَّبَوِيَّةِ الْمَوْكَّدَةِ، ثُمَّ السُّنَنِ غَيْرِ الْمَوْكَّدَةِ (الْمُسْتَحَبَّاتِ).

مَنْ هُمُ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَّةُ؟

وَالْجُمْهُورُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ يَرَوْنَ أَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَّةَ مِنَ الْفِرْقِ الـ
73 هِيَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى (مَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ)، وَأَصْحَابُهُ هُمْ

1- مَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ خِلَاصَةِ وَظِيْفَةِ السُّنَّةِ؛ فَلْيُرَاجِعْ كِتَابَنَا (نظرات في كتاب الفتاوى الطوبية).





السَّلَفُ الصَّالِحُ فِي خَيْرِ الْقُرُونِ وَلِذَلِكَ انْتَسَبُوا إِلَيْهِمْ وَتَسَمَّوْا بِهِ
(السَّلَفِيَّةَ)، وَالشَّيْعَةُ يَرَوْنَ أَنَّهُمُ النَّاجُونَ لِأَنَّهُمْ التَّابِعُونَ لِسُفْنِ
النَّجَاةِ الَّذِينَ هُمْ ثَانِي الثَّقَلَيْنِ كَمَا فِي حَدِيثِ الثَّقَلَيْنِ وَهُمْ أَهْلُ
الْبَيْتِ.

حَدِيثُ الْفُرْقَةِ النَّاجِيَةِ لَمْ يَتَّفِقْ جَمِيعُ الْعُلَمَاءِ عَلَى صِحَّتِهِ،
فَهَذَاكَ مَنْ طَعَنَ فِي صِحَّتِهِ مِثْلَ ابْنِ الْوَزِيرِ.

وَ(الْفُرْقَةُ النَّاجِيَةُ) فِي رَأْيِي هُمْ أَهْلُ قَوْلِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، وَهُوَ
أَصْلُ الدِّينِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ وَأَصْحَابُهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ، وَهُوَ الَّذِي
مَكَثَ النَّبِيُّ نَحْوَ عَشْرِ سَنَوَاتٍ فَأَكْثَرَ يَقُولُ فِيهَا: (أَيُّهَا النَّاسُ
قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا!) وَالرَّسُولُ هُوَ الْمَعْصُومُ فِي تَبْلِيغِ
مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، أَمَّا أَصْحَابُهُ فَعَبْرٌ مَعْصُومِينَ، وَالنَّجَاةُ فِي اتِّبَاعِ
الْمَعْصُومِ لَا فِي اتِّبَاعِ غَيْرِهِ.

وَبَعْدَ نَحْوِ عَشْرِ سِنِينَ تَبَعْتَهُ بَقِيَّةُ الْفَرَائِضِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ
تَارِكُهَا الْعُقَابَ ثُمَّ السُّنُنُ، وَقَدْ ذَكَرْتُ نَحْوَ خَمْسَةِ عَشْرِ حَدِيثًا مِنْ
الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ فِي كِتَابِ (رُدُودٍ عَلَى شُبُهَاتٍ) كَأَدَلَّةٍ عَلَى أَنَّ
النَّاجِينَ هُمْ أَهْلُ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) عَلَى اخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ وَفِرَقِهِمْ
وَمَشَارِبِهِمْ، وَسَوَاءٌ كَانُوا شِيعِيَّينَ أَوْ سَلَفِيَّينَ.

وَقَائِلُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الْمُؤْمِنُ بِهَا هُوَ النَّاجِي إِنْ
غَفَرَ اللَّهُ لَهُ، فَإِنْ لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ ثُمَّ لَا يَخْلُدُ فِيهَا بَلْ
يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الْجَنَّةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ
بِهِ)

1 - صحيح، قاله الألباني في (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان).



بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)) [النساء: 48]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ الذُّنُوبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ دُونَ الشِّرْكِ، وَالشِّرْكَ أَكْبَرُ الْكِبَائِرِ، وَالشِّرْكَ مُنَافٍ لِكَلِمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)، فَالَى كَلِمَةِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) الْجَامِعَةَ لِكُلِّ الْفِرْقِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَا إِلَى الطَّائِفِيَّةِ الْمَفْرَقَةِ، وَإِلَى الْمُعْتَدِلِينَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لَا إِلَى الْغُلَاةِ مِنْهُمْ، وَإِلَى الَّذِينَ يَسْخَرُونَ طَائِفِيَّتَهُمْ لِلأَصْلِ وَهُوَ (الإِسْلَامُ) وَلِخِدْمَتِهِ، وَيَقْدِّمُونَ أُخُوَّتَهُ عَلَى الأَخُوَّةِ الطَّائِفِيَّةِ، لَا إِلَى غَيْرِهِمْ.

فَلَا يَجِبُ اتِّبَاعُ غَيْرِ رَسُولِ اللَّهِ - عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَلَكِنْ يَنْبَغِي اتِّبَاعُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَاتِّبَاعُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ لَا سِيَّمَا الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدُونَ فِيمَا هُوَ تَبْلِيغٌ وَبَيَانٌ لِمَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ غُلُوٍّ وَلَا تَشْدِيدٍ، وَالرَّسُولُ نَفْسُهُ مَبْلَغٌ لِكَلَامِ اللَّهِ وَمَبِينٌ لَمْ، وَالتَّحْلِيلُ وَالتَّحْرِيمُ حَقٌّ لِلَّهِ وَحْدَهُ ثُمَّ لِرَسُولِهِ فِيمَا أَمَرَهُ بِهِ أَوْ أَجَازَهُ لَمْ.

تَسْأُولُ مَهُمُّ

هَلْ يَجِبُ التَّشْيِيعُ أَوْ الأَنْتِسَابُ إِلَى السَّلَفِيَّةِ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ النَّبِيَّ فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ بَعْدَ تَعَلُّمِهِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ الْمُخْلِصِينَ مِنْ غَيْرِ ائْتِسَابِ إِلَى فِرْقَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ؟

أَلَيْسَ مُتَّبِعُ النَّبِيِّ مُتَّبِعًا لِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِصَحَابَتِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَعَنِ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَهُمْ الَّذِينَ قَضَوْا حَيَاتَهُمْ مُتَّبِعِينَ لِلنَّبِيِّ فِي عَهْدِ النَّبُوَّةِ؟ وَلَمْ تَكُنْ كَلِمَةُ (السُّيُعَةَ) أَوْ (السَّلَفِيَّةِ) أَوْ (أَهْلِ السُّنَّةِ) اسْمًا عَلِمَ لَهُمْ، وَكَذَلِكَ الْكَثِيرُ مِنْ





التَّابِعِينَ.

مَعَ الْعُلَمِ أَنْ الْوُظَيْفَةَ الْأَسَاسِيَّةَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ وَالصَّحَابَةِ هِيَ
النَّبْلِيغُ وَالنَّبْيِينَ لَا التَّشْرِيحُ، وَكَلِمَةُ (الصَّحَابَةِ) تَشْمَلُ أَهْلَ الْبَيْتِ
عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، لَكِنَّ صُحْبَةَ جُلِّ الصَّحَابَةِ صُحْبَةَ خَارِجِ الْبَيْتِ، وَأَمَّا
أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِي بَيْتِهِ أَي دَارِهِ فَهُمُ أَهْلُ الصُّحْبَةِ
فِي الْبَيْتِ وَخَارِجِ الْبَيْتِ إِلَّا النِّسَاءَ فَهِنَّ مُسْتَقْرَّاتٌ فِي الْبَيْتِ غَالِبًا.
الانْتِسَابُ إِلَى الشِّيْعَةِ أَوْ السُّنَّةِ لَيْسَ وَاجِبًا، إِذْ نُسِئَ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ (مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ)؟ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُ عَامِيًّا
فَمَذْهَبُهُ مَذْهَبٌ مَنْ يَفْتِيهِ أَي إِمَامُهُ.

وَأَخِيرًا: أَلْتَمَسُ مِنَ الْجَمِيعِ الْعَفْوَ وَإِصْلَاحَ الْخَطَا إِنْ وَجِدَ، ﴿إِنْ
أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: 88]، وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ.







الحوارات والمصالحات وتعزيز السلم الاجتماعي





المصالحة والحوار في الكتاب والسنة - حاجة المنطقة إلى المصالحة والحوار - تجربتنا الشخصية في المصالحة والحوار

تقديم الشيخ الإمام الدكتور محمود ديكو
رئيس المجلس الإسلامي الأعلى بمالي سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على الرسول الكريم وعلى آله وصحبه
أجمعين

للمصالحة والحوار أهمية قصوى في حياة الأمم، فلا أمن ولا
سلام ولا اطمئنان دون المصالحة والحوار بين البشر. وسنتناول
في هذا العرض عناصر ثلاثة:

العنصر الأول: المصالحة والحوار في الكتاب والسنة

العنصر الثاني: حاجة المنطقة إلى المصالحة والحوار

العنصر الثالث: تجربتنا الشخصية في المصالحة والحوار

العنصر الأول: المصالحة والحوار في الكتاب والسنة

قد دل الكتاب والسنة على أهمية المصالحة والحوار، وسنعرض
بعضاً منها على سبيل المثال في هذين المصدرين العظيمين:

المصالحة في القرآن الكريم

قال تعالى في سورة الحجرات ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
اقْتَتَلُوا فَأْضَلِحُوا بَيْنَهُمَا فإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا





الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿9﴾ [الحجرات: 9].

وقال سبحانه في سورة النساء ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خافتَ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ مُحْسِنًا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 128].

وقال تعالى في النساء: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نُّجُوهُمْ إِلَّا مَنَ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 114].

وقال تعالى في سورة آل عمران ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

المصالحة في السنة المطهرة

روى الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة".¹

قال الإمام النووي: قوله صلى الله عليه وسلم تعدل بين

1 - صحيح البخاري، الحديث رقم: 2989، صحيح مسلم، الحديث رقم: 1009.



الاثنين صدقة "أي تصلح بينهما بالعدل".¹
روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: "ألا أخبركم بأفضل من
درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال:
إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة".²

في هذا الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب
الإفساد فيها، لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله وعدم
التفريق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلثة في الدين، فمن
تعاطى إصلاحها ورفع فسادها، نال درجة فوق ما يناله الصائم
القائم، المشتغل بخويصة نفسه.³

جواز الأخذ من الزكاة للصالح بين الناس:

مما يدل على عناية الشريعة الإسلامية بالصالح بين الناس أنه
يجوز للمصلح بين المتخاصمين أن يُعطى من الزكاة أو من بيت
المال لأداء ما تحمله من ديون في سبيل الإصلاح بين الناس.
إن الصلح من أهم الوسائل الشرعية في الفقه الإسلامي، فهو
يحتل مكان الصدارة، ويعود ذلك إلى النتيجة التي تتمخض
عنه، فالغرض من الصلح هو التوفيق بين الناس وإزالة ما
بينهم من خصام وحقد، بالإضافة إلى كونه يعيد على أصحابه
الحقوق برضا الطرفين فيحل بين الناس الحب والود ويسود
الأمن والاطمئنان، وتنتهي أسباب الظلم والانتقام، فالصلح إذاً

1 - المنهاج للنووي، ج 4، ص 103.

2 - حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني.

3 - عون المعبود، شرح سنن أبي داود، ج 13، ص 178.





ليس رابطة قانونية فقط، إنما مقاصده روابط اجتماعية أساسية ودية متينة، لأنه ليس من مقاصد الشرع بقاء الحقوق دون حسم، وبقاء روح المقاصة والانتقام في النفوس، وهذا ما نبه إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رد الخصوم إلى المصالحة لأنه يعلم أن حكم القضاء وإن فصل بين المتخاصمين مادياً، إلا أنه يورث بينهم الضغينة ويزرع في نفوسهم الكراهية وحب الانتقام.

ولذا كان من القواعد الشرعية في الفقه الإسلامي «جلب المصلحة ودرء المفسدة»، فمن جلب المصلحة «تشریح الصلح»، ومن درء المفسدة «إنهاء الخصومة»، ويتضح هذا المقصد - في الاستثناء البين - من القاعدة الأساسية للحق في الفقه الإسلامي، إذ القاعدة أن كل صاحب حق له أن يأخذ حقه كاملاً غير منقوص في الصفة والمقدار.

وإذا كان الشارع الحكيم في مقاصده الشرعية قد حافظ على الضروريات، فإن الصلح ألصق بالمال والمحافظة عليه، فتضييع المال مفسدة وحفظه على ممتلكيه مصلحة فردية وجماعية. ولأهمية الصلح نجد أن الشريعة الإسلامية وضعت له أحكاماً خاصة ومنها:

1 - جواز الكذب من أجل الصلح:

فقد رخصت الشريعة الإسلامية الترخص في الكذب من أجل الصلح، وذلك لأن الساعي في الصلح يسعى في الخير والإصلاح لا في الشر والفساد، ولأن المصلح يريد أن تكون أحوال





العباد مؤتلفة ومتففة، وهذا من أعظم ما يحبه الله، فهو كذب لا يسقط به حق، ولا يثبت به باطل ولذا فقد جاء عن ابن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط - وكانت من المهاجرات الأول اللاتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيئمي خيراً أو يقول خيراً). قال ابن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها).

قال النووي في المنهاج: «والظاهر إباحة حقيقة نفس الكذب لكن الاقتصار على التعريض أفضل والله أعلم»¹.

2 - تأخير الصلاة عن أول وقتها وجمعها من أجل المصلحة:

لقد أكد القرآن الكريم على المحافظة على الصلاة في وقتها وعدم تأخيرها قال تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: 238]، وقد جاء عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل؟ قال الصلاة لوقتها...)².

وقد أجاز الشرع تأخير الصلاة عن أول وقتها إلى آخره إذا اقترن بذلك كمال أو مصلحة راجحة كإكمال اتفاق الصلح الذي قد يضر القطع بإكماله، ولو أدى ذلك للتأخر عن صلاة الجماعة

1 - المنهاج في شرح صحيح مسلم، للنووي، ج 16، ص 157 - 158.

2 - صحيح مسلم، الحديث رقم: 85.





كما جاء في حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرٍو بَن عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنَاسٍ مَعَهُ، فَحَبَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: (يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَبَسَ وَقَدْ حَانَتْ الصَّلَاةُ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَوَمَّ النَّاسَ، قَالَ: نَعَمْ إِنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلَالٌ وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَكَبَّرَ لِلنَّاسِ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ...)¹.

وقال النووي: «وفيه احتمال تأخير الصلاة عن وقتها وترك فضيلة أول الوقت لمصلحة راجحة»².

وخلاصة القول إنه يجوز تأخير الصلاة عن أول وقتها وجمعها إذا ترتب على ذلك مصلحة يخشى فواتها كالصلح وغيره والله أعلم.

العنصر الثاني: حاجة المنطقة إلى المصالحة والحوار

مما لا يُرتاب فيه أن منطقتنا بحاجة ماسة إلى المصالحة وفتح الحوار مع جميع أطراف النزاع لاستتباب الأمن الشامل في المنطقة.

تتجلى حاجة المنطقة إلى المصالحة والحوار للمتأمل إلى ما صارت إليه البلاد من تدهور الأمن وانتشار الفوضى وكثرة

1 - صحيح البخاري، الحديث رقم: 1234.

2 - المنهاج للنووي، ج 5، ص 114.



اللاجئين والمنكوبين من الأطفال والنساء وتزايد أعداد الأيتام والأرامل.

وقد كانت لأسلافنا تجربة مشكورة في فض الخلاف وحل النزاع وإحلال الصلح والوفاق والوئام بين سكان المنطقة، فلنا فيهم أسوة حسنة.

وقد سجّل التاريخ جهود العلامة سيدي المختار الكبير في هذا المجال. والمخطوطات القديمة خير شاهد على ذلك، فقد ورد فيها أن الشيخ سيدي المختار الكبير قام بعملية المصالحة بين قبائل الطوارق وقبائل أرما التي احتدّ بينها النزاع واستعرّ بينها القتال، فقد تمكّن الشيخ بتوفيق الله وحكمته وحنكته بإخماد نار الفتنة وإحلال السلام والوئام بين الإخوة المتناحرين¹.

العنصر الثالث: تجربتنا الشخصية في المصالحة والحوار هذا، وقد عشنا تجارب كثيرة في مجال المصالحة والحوار، ومن أبرزها:

- قيامنا بالمصالحة والحوار لإنقاذ مئات الجنود المالبين
- دعوتنا المتكررة إلى المصالحة وفتح باب الحوار مع جميع أطراف النزاع
- اعتراضنا على كل من يدعو إلى عدم الحوار مع بعض الأطراف وقصتي معروفة مع السفارة الفرنسية في اعتراضها على تعييني لهذه المهمة الجلل.

1 - انظر المخطوط رقم 14 في مكتبة أحمد بابا بتمبكتو.





وصلى الله وسلم على الرسول الكريم وعلى آله وصحبه
أجمعين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- صحيح أبي داود - الأم، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين،
بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى:
1420هـ)، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت، عدد
الأجزاء: 7 أجزاء، الطبعة الأولى 1423هـ - 2002م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي
الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، الناشر: دار
إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية 1392.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد أشرف بن أمير بن
علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم
آبادي (المتوفى: 1329هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،
الطبعة الثانية 1415هـ.
- المخطوط رقم 14 في مكتبة أحمد بابا بتمبكتو.



حاجة الأفراد والمجتمعات إلى الحوارات والمصالحات للتعيش السلمي

أبو بكر يعقوب دوكوري
المستشار الديني لرئيس بوركينا فاسو.

بسم الله والحمد لله وصلاة رب العالمين وسلامه على المبعوث
رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

نظرا إلى ما يسود العالم اليوم من حروب وفتن وأزمات وعدم
استقرار وفوضى وعدم التفاهم بين أتباع الأديان السماوية،
وحتى بين الأتباع داخل الدين الواحد، وبعد عن التفاهم بين
الثقافات والحضارات البشرية المتنوعة؛ فإننا حاولنا أن نبحث
عن مخرج وحلّ يمكننا من خلاله إحلال التلاقي محل التباعد،
واستبدال التفاهم بالعداء، وإرساء المحبة والسلام محل البغض
والحروب.

كما يمكن أيضا من خلاله الوصول إلى عالم تسوده المحبة،
ويعمه الأمن والسلام خاصة بعد أن جرّبت البشرية الكثير
من جولات الصراع والحروب، وسارت كثير في طريق الكراهية
والبغضاء، والتطرف، والتعصّب الديني والعنقي، ولم نجد لهذه
الأزمات والمآزق مخرجا إلا النظرية القرآنية، والحكمة الإلهية في
اختلاف الشعوب والقبائل، واختلاف الألسنة والألوان، وهي
نظرية التعارف المنصوص عليها في كتاب الله تبارك وتعالى
حيث يقول:





﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

فيطيب لي أن أسهم بهذا البحث المتواضع للمشاركة فكريا في المؤتمر الثاني الذي ينظمه المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم بنواكشوط عاصمة الجمهورية الإسلامية الموريتانية تحت عنوان: "بذل السلام للعالم" من 08 إلى 10/02/2022م بالتعاون مع الحكومة الموريتانية، وتحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية السيد محمد ولد الغزواني حفظه الله ورعاه.

دعوة الإسلام إلى التعارف

لقد دعا القرآن الكريم إلى الألفة العامة بين الشعوب، لا فرق بين أبعدها وأقربها، وبين أسودها وأبيضها، مقررا أن مدار الكرامة ليست بالانتماء إلى هذه الأمة أو تلك، ولا بالانتساب لهذا البيت أو ذلك، ولكن بالميزات الأدبية، والمزايا النفسية.

ويتمثل هذا في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13]

إنها دعوة مفتوحة للتعارف بين أبناء البشرية جميعا، دون النظر إلى الجنس، أو اللون، أو العقيدة الدينية. وكذلك حين يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، لا فضل لعربي على عجمي



إلا بالتقوى»¹، وهذا يدلّ على أن الناس سواء كأسنان المشط، وأن اختلافهم في الألوان والألسنة، واختلافهم شعوبا وقبائل هي التي تدعوهم إلى التعايش مع حضارات وثقافات مختلفة، وبذلك يعيش الناس حياة مختلفة كاختلاف الحضارات والثقافات.

لا يعيش الناس حياة كريمة إلا بالتعارف فيما بينهم، واطلاع الآخر على ما عند غيره من ثقافة وحضارة وعلم؛ فبهذا تجلب الحكمة الإلهية مقاصدها من التعارف بين الإنسانية جمعاء.

كانت تلك النصوص دستورا علميا وجد تطبيقه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم حينما أصبح العربي والفارسي والأبيض والأسود في مستوى واحد في الحقوق والواجبات، لا فرق بين أحد وأحد إلا بتقوى الله والإخلاص في عبادته.

التعارف سنة كونية في الإسلام

إن الإسلام ينظر إلى الإنسان على أنه خليفة في الأرض، ومكلف بعمارتها على الوجه المطلوب، وهو مقتضى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61].

وقوله تعالى أيضا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 29].

وقوله أيضا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ

1 - انظر: كتب الأحاديث (حجة الوداع).





خَلِيفَةً ﴿البقرة: 30﴾.

فإذا كان من واجبات الإنسان في الأرض عمارتها والقيام بأعباء هذه العمارة، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولهذا فإن تعاون الناس وتعارفهم حتى يتكاملوا في هذا البناء العالمي أمر مطلوب من وجهة النظر الإسلامية.

وهناك قاعدة مكملة لهذه النظرية، ألا وهي (قبول وجود الآخر، وقبول وجود الاختلاف معه)، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119].

ولقد قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ إن معناها: وللاختلاف خلقهم، ففي الاختلاف والتمايز: التنوع والغنى والتنافس في استباق الخيرات؛ وهكذا يقرر الإسلام مبدأ التعددية الحضارية والثقافية بين الناس، والناظر في السيرة النبوية العطرة يلفي من هذا ما يدلّ تصرّيحاً وتلميحا على ذلك التعارف المقصود.

نحو ثقافة التعارف

يصعب في عالم اليوم الذي يعجّ بالتطورات التكنولوجية إقامة الحواجز؛ ولذلك فإن الدعوة إلى التعارف الصحيح هي دعوة إلى الاستنارة، ومن وراء الدعوة إلى الاستنارة دعوة إلى السلم والتعايش، وهنا نشير إلى بعض القواعد التي يمكن أن

1- انظر تفسير الآية في: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

2- أزمة الفكر الإسلامي الحديث، ص 56.





يقوم عليها التعارف الراشد.

أولاً: الاعتراف بالفروق الثقافية

فلا يجوز لنا أن ننكر الآخر؛ لأن ثقافته تختلف عن ثقافتنا، كما لا يجوز للحضارة الغربية أن تنكر وجود حضارات أخرى تختلف في قيمها وأساليب حياتها عنها، فإن ذلك الإنكار يفضي إلى دعوات العولمة الثقافية، أي الصيرورة إلى ثقافة واحدة عالمية.

ثانياً: التأسيس على القيم المشتركة

وذلك أنه مهما اختلفت الحضارات، وتباين نظام القيم؛ فإن بينها أصولاً مشتركة، منها الأصل الواحد للأديان الكتابية، ومنها القيم المشتركة الإنسانية العليا: كالعدل، والصدق، والشجاعة، والكرم، والأمانة، فهذه قيم قد يضعف وجودها في حضارة ويقوى في حضارة أخرى. كما من شأن هذا أن يسهم في تحقيق الإنصاف المتبادل بين الأمم والشعوب.

ثالثاً: ليسوا سواء

من الإنصاف أن نذكر أن الغرب ليس كله على وزان واحد، فقد وجدنا فيهم مفكرين منصفين، ووجدنا فيهم مدافعين، أقوىاء عن حقوق الضعفاء، وقد كان من هؤلاء المدافعين عن قيم العدل والتوازن مفكرون منهم نعوم تشومسكي ونومان فينكلشتان وآخرون؛ حيث يبرز من كتاباتهم عنصر الإنصاف والاعتراف للآخر، وهذه قيمة كبرى وفضيلة خلقية في الإنسانية.

التعارف سبيل لتجنب الصراع بين الحضارات

يمكن أن نتساءل عن طبيعة العلاقة التي بإمكانها أن تحكم





التفاعل الحضاري عبر التعارف؟

ولن أكون مبالغا إذا قلت: إن التعارف هو السبيل الذي لا يتم تجنب الصراع إلا به. وفي السيرة النبوية مثال حيّ على ذلك، تمثل في قصة ثمامة بن أثال الحنفي، الذي تحوّل بعد معرفته وإدراكه بحقيقة الإسلام من عدو النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته إلى أحد أهم أتباعه ومناصريه، فقال: "يا محمدا! والله ما كان على ظهر الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، وقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليّ، والله ما كان دين أبغض إليّ من دينك؛ فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان بلد أبغض إليّ من بلدك؛ فأصبح أحب البلاد إليّ ...".¹

أما إن كان الطرف الآخر ممن لا يرضى إقرارا بالحق الذي يراه، فالعلاقة معه تبقى ذات أهمية أيضا، سواء أكان محايدا أم معاديا؛ لأن في إقامة هذه العلاقة إيجاد طريقة للتعامل معه من خلال نهج أقل إثارة للصراع، ويشهد على ذلك المعاهدات التي كان يعقدها النبي صلى الله عليه وسلم خلال مدة إقامته بالمدينة المنورة بمن فيهم قبائل اليهود؛ إلى آخر معاهدات حياته، حتى لقد قال يوم الحديبية: «لا يدعونني اليوم إلى رشد إلا أحببتهم إليه»؛ وهكذا فإن الإسلام لا يسعى للصراع، وإنما يسعى لإرساء السلام والتسامح بين الناس، بغض النظر عن الجنس واللون والمعتقدات.

ولذلك فإن الإسلام لم يستخدم مصطلح الصراع، وإنما

1- أخرجه البخاري في المغازي، ومسلم في صحيحه 1764.



استخدم مصطلح الدفع في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: 251] إذ كان الصراع عبارة عن إغناء الآخر، عن طريق التفرد والهيمنة والسيطرة، وهو ما ينبذه الإسلام نبذاً.

"ولأن هذه هي فلسفة الإسلام في العلاقة بالآخر؛ كان استخدام القرآن الكريم لمصطلح الدفع عندما تدعو الحاجة إليه؛ بسبب اختلال توازن العلاقات مع الآخرين، وحلول الخلل محل التوازن وسيادة الظلم بدلا من العدل، وقيام التطرف بدلا من الوسطية، هنا يكون الدفع، أي: الحركة التي تنبغي إعادة العلاقات إلى مستوى ولحظة ومقام التوازن ثابتة، مع الاحتفاظ بالتعددية والتمايز للفرقاء المختلفين هنا يكون الدفع ولا يكون الصراع؛ لأن الصراع يقتضي نفي الآخر بصرعه، وإنهاء وجوده، والانفراد والواحدية".

الاتصال والتعارف بين الحضارة العربية الإسلامية وبين الحضارة الغربية

حاول بعض غير المنصفين أن يغتنموا فرصة الإقبال على معرفة الإسلام من غير المسلمين بسبب هجمات سبتمبر فروجوا لنظرية موهومة عن الحضارة الإسلامية؛ حيث وصفوها بأنها حضارة تقوم على كراهية الآخر، وإنكار وجوده، وأن العنف فيها شريعة لا يمكن الفكك منها، بل إن شريعة العنف موجودة جذورها في القرآن الكريم الذي هو مصدرها، وأنه ما دام عند

1 - أزمة الفكر الإسلامي، ص 63.





المسلمين مقدسا فسيبقى العنف كذلك عندهم.

وهنا يجب أن نذكر منذ البداية أن تاريخ الاتصال بين المسلمين وبين الغرب متمثلا في أوروبا هو اتصال قديم، وأن العلاقة بين الحضارتين علاقة معقدة وفيها عوامل متشابكة، ولم تخل هذه العلاقة في تاريخها الطويل من توتر وتجاذب وغزو وعنف، كما أنها لم تخل من مصالح متبادلة، وصلات تجارية وعلمية وهجرات سكانية ومبادلات ثقافية.

وخلاصة القول في هذه العلاقة، أننا لا نستطيع أن نتصور أوروبا كيف تكون لو نزعنا آثار الحضارة الإسلامية عنها، ولا نتصور قوانينها ولا تكوين أجناسها ولا فكرها الكنسي الإصلاحى ولا لغاتها بدون تلك الآثار، سواء بالتأثر المباشر أو ببردود الأفعال، وقد أثبت الباحثون أن قوانين أوروبا فيها اقتباس كثيف من الفقه الإسلامى سيما الفقه المالكي الذي ساد في المغرب العربى، وأن فكر أوروبا الإصلاحى والفلسفى معظمه كان صدى للاتصال الثقافى بين جنوب أوروبا والأندلس، وأن التكنولوجيا فى أوروبا تأسست على اقتباس العلوم الرياضى والطبيعية التى ترجمت عن العربية إلى لغات أوروبية، وهذا مبحث يصعب اختصاره لكثرة ما تناوله الباحثون بتفصيل وتعمق، وفى هذا المقام من النقول شىء لا بأس به وبمختلف اللغات!

لقد نشأت من هذه الصلاة التاريخية القديمة والوثيقة علاقة

1 - انظر على سبيل المثال: مجلة جمعية الدعوة الإسلامىة، بعنوان: أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. وانظر أيضا: شمس العرب تسطع على الغرب، للمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه.



معقدة بين الحضارتين، اختلط فيها شعور الإعجاب بمشاعر الخوف، وتجادبت فيها عواطف الحب مع عواطف النفور، ولم يكن ذلك قاصرا على طرف دون الآخر، بل كانت هذه المشاعر المعقدة معروفة في أوروبا تجاه العالم الإسلامي، وأصبحت ملموسة في العالم الإسلامي تجاه الغرب عموما.

لقد كان لحملات الفتح الإسلامي على أوروبا أثر في بعث مشاعر الخوف والكراهية سيما حصار " فيينا " المشهور، وكان للحروب الصليبية على العالم الإسلامي أثر مشابه في تعميق الخوف والكراهية تجاه الإفرنج في العالم الإسلامي وخاصة العربي منه.

أهم ملامح ثقافة التعارف

يمكن إيجاز هذه الملامح فيما يأتي:

أولا: أن تكون هناك أسس فكرية مشتركة تبدأ بالإيمان بأننا أبناء لرجل واحد وامرأة واحدة هما آدم وحواء، وأننا نعيش على كوكب واحد هو كوكب الأرض، وأن لهذا الكون خالقا واحدا، وأن هذا الخالق لم يخلق الإنسان عبثا، بل لغاية عظمى.

ثانيا: أن جوهر الشرائع السماوية جوهر واحد، حيث تعمل جميعها على تعريف الخالق وعبادته، وعلى إصلاح الإنسان؛ لذلك يجب ألا يكون هناك صراع بين الأديان؛ لأنها لا تتناقض، ويصدق بعضها بعضا، ويقرّها ولا ينكرها.

ثالثا: أن كل مولود من بني البشر يولد على الفطرة، وأبواه ينقشان في لا وعيه معتقدات دينهم فيكسب الطفل لذلك





دين والديه.

رابعاً: لا يمكن أن تنعم البشرية بالسلام والمحبة إلا إذا تمت تنشئة الأجيال الجديدة على تقبل الآخر، مع الاختلاف معه في الجنس واللون والثقافة والحضارة والمعتقدة.

وهنا أوجه دعوة عامة إلى جميع الدعاة والعلماء ورجال الدين، مفادها أن نتعاقد ونتكاتف، وأن نضع أيدينا في أيدي بعض، هدفنا هو تحقيق السلم، وترسيخ ثقافة التعايش والتسامح، وتوطين النفس على قبول الاختلاف المحمود، والإسهام في بناء مجتمع متسامح متعايش متعارف فيما بينه تعارفاً راشداً، يسعد البشرية، وتحقق من خلاله رقياً في القيم والأخلاق.

خاتمة البحث

بعد أن وضع لنا أن الاختلاف بين البشر هو إرادة الله، اقتضتها الحكمة الإلهية للاختيار والابتلاء، وذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: 48].

وأن الاختلاف بين الناس سنة كونية، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: 118-119].

فإنه يجدر بنا أن نسجل في هذا المقام أن الإسلام قد وضع ضوابط تحكم هذا الاختلاف بين الناس، وأرسى مبادئ أساسية عامة تحكم العلاقات بين البشر جميعاً، دون النظر إلى الاختلاف



الواقع بين الناس في الجنس، أو اللون، أو العقائد الدينية، أو غيرها.

كما أن الإسلام نادى بالتآخي والتآلف والتعارف بين الناس، ودعا إلى أن تسود المحبة والألفة بين الناس جميعا، ولا مكان لنظرية صدام الحضارات في ميزان الإسلام؛ إذ يرى أن الحضارات الإنسانية دوائر متصلة ببعضها البعض.

ومن المعلوم كذلك أن الإنسان محدود، إذ لا يستطيع أن يكتفي بنفسه، من هنا كان مضطرا بحكم هذه المحدودية أن يكون علاقة مع الآخر.

إن ما أريد أن أصل إليه هو أن نفهم جميعا أن الاختلاف ليس يعني الندية أو الصراع، بل يؤكد الوحدة والخصوصية، بينما الضدية تقرر النفي بالمطلق.

من هنا أدعو جميع علماء الأديان، وقادة الفكر، ورجال الإعلام في العالم، ببذل جهودهم لتعميم التعارف والتآلف والإخاء بين البشر، وتصحيح المفاهيم المخطئة عن الأديان، والدخول في حوار حضاري جاد يعمل على حل الصراعات القائمة بين أتباع الأديان الكتابية، وكذا بين الأتباع داخل الدين الواحد؛ وذلك لتعميم السلام والتسامح بين الناس في أرجاء المعمورة.

وبالله التوفيق









الدين حافظ على المواطنة





"المصالحة بين الهوية الدينية والهوية الوطنية ورفع التعارض بينهما ودور العلماء في بناء الثقة بين المواطنين ودولهم وتعزيز شعورهم بالانتماء"

البرفيسور الخضر عبد الباقي محمد

مدير المركز النيجيري للبحوث العربية-نيجيريا

مداخلة مقدمة للمؤتمر الدولي الإفريقي لتعزيز السلم الثاني " بذل السلام للعالم " 8-9-10 فبراير 2022م نواكشوط- موريتانيا.

"ملخص"

يمثل موضوع الهوية الدينية وعلاقتها بالهوية الوطنية واحدا من القضايا الأكثر إثارة للجدل وللنقاش المجتمعي الحاد، وذلك للتداعيات الخطيرة المترتبة عليه سواء على مستوى النقاشات النظرية أو على مستوى انعكاساته على الاستقرار وحالة الوئام الوطني بين مكونات المجتمع، وبناء الدولة الحديثة بمقوماتها الديمقراطية المتمثلة في سيادة القانون والحرية والمساواة واحترام حقوق الإنسان، والفصل بين الدين والسياسة والمواطنة الشاملة، واعتماد ذلك كله معياراً للتنمية. وقد استجبت تحولات جذرية فرضت على الدول إعادة ترتيب أوضاعها الداخلية، ليحتل موضوع المواطنة أولوية اهتمامها لتأمين الجبهة الداخلية كشرط أساسي لمواجهة المخاطر والتهديدات





الخارجية. وفي ظل التأثيرات المتسارعة والتداعيات المعقدة للسياسة العالمية الراهنة، باتت الهويات العرقية والطائفية والدينية والوطنية أدوات تركز إليها السياسة الدولية. وفي المقابل، هناك تداخلات كثيرة ليس من الهين أن نفهم ما هي الهوية، وكيف تبني الهوية الوطنية في الظروف الاجتماعية-السياسية المختلفة ووفقاً لمقتضياتها، الأمر الذي يؤكد الحاجة إلى رؤى وآليات نظرية وعملية للانتقال من الهويات الفرعية إلى الهوية الوطنية.

وأمام الظرف الذي تشهده بعض البلدان العربية والأفريقية بات على الجميع الوقوف لحظة للمراجعة وإعادة النظر، لأنّ الهويات أصبحت أداة للصراع، وهدفاً رئيساً له في الوقت نفسه. وكثرت حالات اختزال الهوية في انتماء واحد متحيز ومذهبي ومتعصب وإقصائي وعنيف، الأمر الذي يهدد بمزيد من التنازم الاجتماعي، ومزيد من التدخلات الخارجية، فسياسات الهوية كانت ولا تزال بوابة للتدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول والمجتمعات.

لذلك أحسن المنظمون لهذا المؤتمر الدولي في منتدى أبوظبي للسلم بقيادة العلامة الشيخ عبد الله بن بيه -متعه الله بموفور الصحة والعافية- ل طرح موضوع المصالحة بين الهوية الدينية والهوية الوطنية ودور العلماء في تعزيز الانتماء كمحاولة لإطلاق شرارة التفكير في موضوع الهوية الوطنية، وافتتاح النقاش حوله، من باب الاستجابة الثقافية والفكرية لما يراه





مؤتمر بئذ السلام للعالم .

ونظراً لما تتسم به الهوية الدينية من الحدية وطبيعتها الحاسمة بالإضافة لخبرات بعض الدول للاستخدامات السيئة وغير المنضبطة لشعارات الهوية الدينية تحديداً الإسلامية- في مواجهة الدول ومشروعاتها الوطنية بدعوى الاعتداد بالهوية الوطنية، الشيء الذي تزايد معه القلق من تنامي حالات الاشتباك بين الهويتين، ومن واجب العلماء فض هذا الاشتباك بالدراسات ولو نظرياً وبالبيان وتوضيح حقيقة القطيعة وحالات الصدام بين الهويتين ، وانطلاقاً من ذلك تتناول هذه المداخلة موضوع "المصالحة بين الهوية الدينية والهوية الوطنية ورفع التعارض بينهما ودور العلماء في بناء الثقة بين المواطنين ودولهم وتعزيز شعورهم بالانتماء " وتكونت الورقة من مقدمة ومحورين وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية الحثيات والإكراهات الدولية والمحلية لموضوع الهوية وقضايا المواطنة، وتناول المحور الأول المفاهيم الأساسية عن الهوية الدينية والهوية الوطنية وعناصر المكونات الأساسية لهما وخصائص كل منهما وجوانب التعارض بينهما، واستعرض المحور الثاني لأبرز المقترحات لما يمكن أن يقوم به العلماء لبناء ثقة المواطنين مع دولهم وتعزيز الشعور بالانتماء لديهم، وفي الخاتمة أهم النتائج والمقترحات.

المحور الأول: الهوية - مدخل مفاهيمي

حظي مصطلح الهوية بتعريفات كثيرة ولعل ذلك الكثرة





دلالة على تربعها على خارطة الاهتمامات البحثية والعلمية في الحقول المعرفية المختلفة، فهناك تعريفات للهوية في الحقل الاجتماعي وكذلك الحقل الانتروبولوجي وكذلك الحقول القانونية ناهيك عن المجال الثقافي، ومن أبرز التعريفات الحديثة للهوية تعريف المفكر صومائيل هنتكتون للهوية "إحساس فرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات، بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم. فالطفل الجديد قد يمتلك عناصر هوية ما عند ولادته بعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوته وأمومته ومواطنيتها".¹

وعند النظرة السيكولوجية التركيبية تُعرّف الهوية بأنّها مزيج من الخصائص الاجتماعية والثقافية التي يتقاسمها الأفراد ويُمكن على أساسها التمييز بين مجموعة وأخرى، كما تُعرّف على أنّها مجموعة الانتماءات التي ينتمي إليها الفرد وتُحدّد سلوكه، أو كيفية إدراكه لنفسه.²

وتتأثر الهوية بمتغيرات كثيرة وبخصائص خارجة عن سيطرة أصحابها مثل الملامح الديمغرافية والجغرافية وطبيعة الفيسيولوجية والانتروبولوجية للإنسان كالطول، والعرق، والطبقة الاجتماعية والاقتصادية، والآراء السياسية، والمواقف الأخلاقية، والمعتقدات الدينية وتلعب المعرفة الشخصية في زيادة وعي

1- صومائيل هنتكتون، (2005) من نحن - التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية: 37، ترجمة حسام الدين خضور، ط1، دار الحصاد، دمشق.

2- ناصر بن سعيد سيف السيف (2016) الهوية والثقافة ط1 الجيزة: دار الأمل ص 17.





الفرد لهويته من احترامه وفهمه لذاته، وتشهد الهوية تحولات متواصلة حيث تتغيّر وتتطوّر مع الزمن. ومن الثابت في موضوع الهوية أنها قضية جماعية واجتماعية، تشمل الاختلافات والشعور بالانتماء بين الأشخاص والمجموعات.

مفهوم الهوية:

وبكل بساطة يمكن القول بأنّ الهوية هو ما تسبب في التشخّص والتعرف على الفرد، إذًا، الهوية مجموعة خصائص ومعرفات وأنماط سلوكية تميز جماعة أو شعب أو حضارة من غيرها. وبناء على ذلك فتكوينات الهوية هي: المكان والزمان والثقافة والدين.

مفهوم الهوية الوطنية:

هي الخصائص والسمات التي يتميز بها المواطنون داخل كل دولة عن غيرها وتترجم تلك الخصائص روح الانتماء لديهم وتستخدم في رفع شأن معنوياتهم لغرض تقديم مجتمعاتهم وازدهارها.

عناصر الهوية الوطنية:

وتتوفر الهوية الوطنيّة على عناصر أساسية بعضها مادي والآخر معنوي منها:

1. الموقع الجغرافي
2. التاريخ المشترك
3. الاقتصاد





4. العلم

5. الحقوق المشتركة حيث يتمتع أبناء الهوية الوطنية الواحدة بالحقوق ذاتها، كحق التعليم، وحق التعبير عن الرأي، وحق الحياة بكرامة وعزة على أرضهم، وحق الملكية، وحق البناء فوق أرضهم، وحق العمل، وغير ذلك من الحقوق التي تجسد معاني الهوية الوطنية. الواجبات، وهي الواجبات الفرديّة، والجماعية، التي يتعين على المجموع الوطني القيام بها، إمّا بصفة الفردية، كالأفراد كل في مجال عمله وتخصصه ونشاطه، وإمّا بصفتهم الجماعية، وذلك مثل ما يتعين على المؤسسات القيام به نحو مواطنيها، وفق آليات محددة، كمؤسسات التربية والتعليم، ومؤسسات الصحة والبيئة، والاقتصاد، والبنى التحتيّة، كسلطة المياه، ووزارة العمل، والدفاع، وسلطة المواصلات، والسلطة الحاكمة بكل مؤسساتها التشريعيّة والتنفيذية، وغير ذلك من مسميات وطنية تحمل روح العمل الجماعي لخدمة الوطن والمواطن، فهذه كلها بعمليها والتزامه بها على خير وجه تعبر عن الهوية الوطنيّة¹. وتتجلى أهمية الوعي بالهوية الوطنية والالتزام بها في آثارها العظيمة، وتنعكس على الفرد والمجتمع والوطن بشكل عام، ولا سيّما متى قام الكل بواجباته خير قيام وتتمثل ذلك في متانة القوة في النسيج الاجتماعي، والتي تعجز عن اختراقه التهديدات الخارجية.

1 - هذه خلاصة قراءات في فلسفة الهوية الوطنية وقضاياها المتشعبة والمعقدة في ظل الانعكاسات المتفاقمة للعولمة ولتداعياتها على الثقافة والمجتمع.





مفهوم الهوية الدينية:

يمكن تعريف الهوية الدينية أنها الشعور بعضوية الرابطة في المجموعة الإيمانية الواحدة ويتم ترجمة هذا الشعور بالوحدة الاندماجية الروحانية وفي الواقع السلوكي للممارسات. ومما يعطي الهوية الدينية تمايزاً أقوى هو البناء الشمولي والأفقي لتأثيراتها متجاوزة جميع التحديات الفرعية الأخرى مثل العرق واللون والقومية والجنس والمحلية وغيرها من الدوائر المحددة للانتماء لدى الفرد.

إشكالات الهوية الدينية والهوية الوطنية:

تعود نشأة حالة التصادم بين الهوية الإسلامية والهوية الوطنية إلى بعض الممارسات التي شهدتها البلدان العربية بين التيار الإسلامي الذي يقوم على أساس أطروحاته الفكرية والسياسية من منظر تمثل الهوية الإسلامية الشاملة عبر نموذج يعتمد الشريعة الإسلامية، وفي مقابل هذا التيار هناك تيارات فكرية سياسية أخرى مثل التيار القومي والليبرالي وغيرهما ينادون باعتماد نموذج الدولة المدنية بمرجعية المواطنة بعيدة عن سيطرة الهوية الدينية الإسلامية تحديداً على الهوية العامة للدولة وعلى هذا الأساس نشأت أزمة الهوية داخل الدول العربية والإسلامية المعاصرة لتحديد طبيعة العلاقة بين النظام السياسي والمنظومات السياسية للمجتمع وعلى مستوى التنظيمات والتيارات الحزبية والسياسية والنخب الفكرية الثقافية وتنامت هذه الأزمة وحالة الصدام بين الهويات





الفرعية والهوية الإسلامية والمدنية وعدم قدرة الدولة الحديثة عن تكوين هوية وطنية واحدة، وقد عنيت الدراسات الاجتماعية بهذه الظاهرة من خلال نظرية الهوية الاجتماعية التي تهتم بدراسة طبيعة التفاعل بين الهويات الشخصية والاجتماعية والتصورات المتبادلة بين المكونات المختلفة للهوية الواحدة والبحث الدقيق في درجة القبول والعداء بين تلك الهويات وكذلك العواطف الإيجابية والسلبية بينها ومدى التعبير عن الانتماء للهوية العامة.¹

وقد مثل مفهوم الهوية الإسلامية وطبيعتها الشمولية الحادة حاجزاً بينها وبين الانتماءات الأخرى للأفراد الأمر الذي كان محل تخوف وانتقاد لدى التيارات الأخرى. وبمنظرة سريعة لخصائص الهوية الإسلامية حسب توصيف مفكرها وأصحابها نجدها تتميز، وفق الحركات الإسلامية محل انتقاد شديد، بكونها "هوية ربّانية" الأمر الذي جعل الهوية الإسلامية في التعريف غارقاً في العمومية والضبابية ومُتلبساً في كثير من الإشكاليات التي جعلت البيئة الإسلامية بيئة طاردة لاحتضان الدولة وحمايتها من السقوط. ولذلك يُطلب إعادة تعريف "الهوية" عند التيار الإسلامي، لأن ذلك من شأنه تفكيك جزء من الأيديولوجيات الطاردة للدولة الحديثة.

وتنظر التيارات الإسلامية لفكرة الهوية الوطنية الجامعة في الموروث الجمعي مجرد منتج غربي زرع في المجتمعات المسلمة

1- نارت فاحور (2017) الهُويّات "الدّينيّة" و"القوميّة" و"الوطنيّة" وجدل الضمائر في: <https://alghad.com/>



لتمزيقها وإبعادها عن وحدتها وكينونتها الطبيعية التي عرّفها القرآن بـ "الأمة" في قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس". فالمؤمنون أو المسلمون هم أمة واحدة من دون الناس. وتقسيمهم إلى أمم على أسس جغرافية أو عرقية أو لغوية، هو أمر ينقض أسس البناء القرآني للأمة، ويفتتها إلى كيانات متناحرة. وقد فهم هذا التيار أن الانتماء للإسلام يزيل بالضرورة الانتماء لأية هوية أخرى. فالإسلام هو "صبغة الله". ولا تتحقق في الهويات المنتشرة بين أبناء الأمة الإسلامية إلا في هوية واحدة؛ هي الهوية الإسلامية¹.

فالهوية وفق هذا المفهوم مرادفة للدين، ولا يمكن الفصل بينهما إلا أنهم انقسموا إلى تيارين: تيار رافض مطلقاً الحديث عن هوية أخرى غير إسلامية، معتبراً الدعوة إلى الهوية القومية مثل "الفرعونية" أو "الفينيقية" هي دعوة مضادة للإسلام ومناقية له. وتيار آخر أقر بوجود هويات فرعية، لكنه دعا في المقابل إلى عدم التعصّب لها على حساب الهوية الأم أي الإسلام. فالإسلام أذاب الفروقات بين الشعوب وربط بينهم على أساس واحد وهو التقوى، حينما اعتبر أن الجميع ينحدرون من أصل واحد وأنه لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.

ومن الملحوظات على هذا الفهم للهوية هو أنّ هذا التوصيف، تبدو معطى جاهزاً قائماً داخل زمنية مقدّسة لا مجال لمساءلتها، متخذة طابع القدسية والتسامي، لأن تعاريفها تُبنى على

1- الشبكة الإسلامية، صراع الهويات وخصائص الهوية الإسلامية.
في www.islamweb.com





الطابع العفوي والعاطفي، وثنائية الأنا والآخر، والرفض أو القبول المطلقين. وتعريف الهوية القائم على الثبات والمطلق يؤسس لأوهام "الحقيقة المطلقة" خارج مفاهيم التعدد والمغايرة. والهوية الوطنية كما يرى المدافعون عنها أنها "وعي متحرك وحيوي بالضرورة وبالمغايرة والاختلاف، وهي إدراك نقدي متفتح على الآخر"، فهي تتشكل في إطار من صيرورة وبناء متواصل ومتجدد للذات. واعتبر آخرون أن الهوية الإسلامية بهذا المفهوم للتيار الإسلامي أقرب لأن تكون مجرد هوية ميتافيزيقية لاهوتية، إذ "لا يمكن للهوية الأصلية التي تقوم على الأصول اللغوية والدينية والأبوية أن تُحدّد وحدها العالم العربي. فهذه الهوية قد تصدّعت وتمزّقت بفعل الصراعات والتناقضات الداخلية. ثم إنها مرّعمة على التكيف مع مقتضيات الحياة العصرية والتفتّح على العالم".

جدول جوانب الفروق بين الهوية الإسلامية والهوية الوطنية

في محاولة لتوضيح أهم الفروق وجوانب الاختلاف بين الهوية الدينية الإسلامية والهوية الوطنية بشكل عام يمكن بيان ذلك عبر الجدول التالي:

1- نارت فاحور (2017) الهُويّات "الدّينيّة" و"القوميّة" و"الوطنية" وجدل الضمائر مرجع سابق



م	الهوية الإسلامية	الهوية الوطنية
1	هوية ماضوية ثابتة	متحركة متحولة في حالة السيورة
2	ذات مرجعية ربانية	ذات مرجعية بشرية وضعية
3	ذات مرجعية عليا واحدة	ذات مرجعيات متعددة
4	ذات مكون رئيس حاسم (الإيمان)	ذات مكونات متعددة نسبية
5	ذات رابطة أممية (عابرة للحدود الجغرافية)	ذات رابطة وطنية (تقتصر على الحدود الجغرافية)
6	ذات سيطرة كاملة (لا تقبل الانتماءات الأخرى)	ذات سيطرة محددة تقبل الانتماءات الأخرى

وبهذا الجدول تتبين الفروق الجوهرية بين الهويتين ونعلم أنّ الهوية الوطنية مفهوم مرن، بسيط ومعقد في آن. ويمكن تصوّر الهوية على أنها دوائر متعدّدة متداخلة ومتوالية الحجم، ويتضمّن الأكبر منها الأصغر. فالدائرة الإسلامية هي الوعاء الأكبر للمسلمين، وتضم داخلها دوائر فرعية غير متقاطعة مثل الدائرة العربية أو الأفريقية، وداخل الدائرة الأفريقية هناك دوائر أصغر متباينة مثل الدائرة النيجيرية وهكذا دواليك. فكلما تحدّثنا عن محدّد جديد مثل العرق أو الجغرافية أو





اللغة أو القبيلة تظهر دائرة جديدة ضمن الكيان العام المشكّل لهوية الفرد. وعند الحديث عن الهوية بمفهومها السياسي فلا يفترض بحال أن تتعارض مع الإسلام طالما أن الهوية وفق تعريفها الإسلامي هي ذات نزعة إنسانية وكونية، أي أنها فضاء تتّسع لما دونها من هويات فرعية شرط ألا تتحوّل إلى تعصّب، وطالما أن الدولة الحديثة أصبحت أمراً واقعاً وتكرّست ثقافةً ومجتمعاً وتاريخاً مشتركاً ونظاماً سياسياً.

ومن خلال سبر التاريخ نلحظ أنّ الهوية الدينية المحددة الواحدة والمفروضة على باقي الهويات الأخرى كانت سبباً للحروب، وكان الوعي بضرورة إقامة دولة حديثة، تجمع أبناء الوطن كلهم على هوية جامعة، هو الذي أنهى تلك الحروب الهوياتية كما هو حالة مسيرة النهضة الأوروبية، وتؤكد التعريفات الواردة في تحديد مفهوم الوطن والشعب فليس منها المعتقد والدين والسياسة لأنها لا علاقة لها في اكتساب الهوية الوطنية فالإنسان ينتسب إلى شعبه ووطنه من خلال تلك الروابط الجامعة له مع غيره من بني قومه والتي نشأت في الغالب منذ ولادته. وتلك الروابط مع شعبه ووطنه.

ومما يبدو من ظاهر جملة من الآيات القرآنية ومن السنة النبوية الشريفة وسيرتها أنّ بناء المجتمعات والأوطان يعتمد على الأمور التي تشترك فيها جميع المكونات في المجتمع والوطن وهي التي تكون منشأً لحقوق الأفراد والجماعات المتواجدة فيه وهذا ما ينسجم مع اعتماد الهوية الوطنية التي





يحملها الفرد بصفته مواطناً يشترك معه في هذه الصفة كلُّ الأفراد والجماعات وهي التي تكون منشأً لثبوت الواجبات عليه وعليهم تجاه الوطن والمجتمع. ولا نرى في الإسلام ما يتنافى مع اعتماد المواطنة قاعدة في نظام الحكم والإدارة وتوزيع الحقوق والواجبات بعدالة ومساواة بين المواطنين مع اختلاف هويّاتهم الدينيّة والثقافية، بل يعدُّ اعتماد هذا الأمر موافقاً لقاعدة العدل والإنصاف المستفادة من آيات عديدة منها قوله تعالى: (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) [النساء: 85] وقوله تعالى: (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) [المائدة: 8]

ولا شك بأن العدالة المأمور بها في الآيات القرآنية منبثقة عن المساواة التي ينظر إليها القرآن الكريم على أنها موجودة بين جميع بني البشر الذين كرّمهم الله تعالى بقوله: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلاً) [الإسراء: 70]، وعبر عن المساواة فيما بينهم بقوله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات: 13]، وقوله تعالى: (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) [النساء: 1]. ويبدو أيضاً أن هذه المساواة في منشأ الخلق كانت مصدراً للمساواة في الحقوق الإنسانية التي ارتكزت عليها أحكام العدالة.





وثيقة المدينة مرجعية للهوية الوطنية:

أكدت التجربة التاريخية في سيرة المصطفى اعتماد المواطنة أساساً لمعايير العيش المشترك بين مكونات المجتمع، وذلك من خلال المساواة بين المواطنين في اكتساب الهوية الوطنية التي كانت مصدراً للحقوق الوطنية، فهي تقع مورداً لتطبيق الآيات عليها، وهذا ما ظهرت من وثيقة المدينة المنورة التي عقدها النبي مع مكونات المجتمع المتعددة فيها في بداية العهد الجديد وإقامة الدولة وتنظيم الشؤون فيها، وقد كانت موطناً للأوس والخزرج واليهود والمهاجرين والأنصار، وقد كانت الهوية الدينية مختلفة بين هؤلاء ولكن الهوية الوطنية كانت الجامع المشترك فيما بينهم. وقد نظرت هذه الوثيقة إلى الجميع على أنهم متساوون بما في ذلك اليهود وقد تضمنت وثيقة العهد الجديد عقداً اجتماعياً أرسى قواعد الأخوة بين المهاجرين والأنصار وحافظ على العيش المشترك مع غير المسلمين من اليهود وغيرهم من العرب الذين لم يؤمنوا بالرسالة بعد. وأعطتهم الوثيقة المساواة مع المسلمين في المصالح العامة، وكفلت لهم حقوقهم على قاعدة التعايش مع الشريك في الوطن، وتلك الحقوق المستفادة من قوله تعالى: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين) [الممتحنة: 8]. فعندما تقول (الآخر) أو (الغير) أو (غيري) فهذا يعني وجود المختلف عنك وهو ليس بالضرورة المختلف معك وإن اختلفت الآراء والأفكار والمعتقدات، فأحدكما يساويه الآخر في الإنسانية



التي كانت مصدرًا للمساواة في الحقوق وقاعدة للعدالة كما تقدم ذلك من الآيات السابقة الذكر. ويؤيد هذا المعنى الذي تقدم من المساواة ما ورد في السنة النبوية الشريفة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: (الناس سواسية كأسنان المشط) و (الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله) و (لا فضل لأحمر على أصفر ولا لأبيض على أسود ولا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى). فإن المواطنين قد يختلفون في أصول أعراقهم وأديانهم وانتماءاتهم لكن المشترك بينهم في الوطن الواحد هي المواطنة وهم فيها على حدٍ سواء.

دور العلماء في تعزيز الشعور بالانتماء للوطن:

لا شك أن دور العلماء ضروري ومحور في تعزيز الثقة بدور الدولة وبالانتماء للوطن نظراً للمكانة والتقدير اللذين يحظون بهما في المجتمع ولكننا نود التنبيه في هذا الصدد إلى أهمية إدراك العلماء لدورهم في المجتمع، خاصة ضرورة فهم مكانتهم وسط المنظومات المجتمعية المختلفة فهماً دقيقاً موضوعياً، وهي "المرجعية" و"الخيطة الناظم" المسؤول عن مراقبة وضعية حالات المنظومات والمكونات المختلفة داخل المجتمع والذي يحاول التنبيه والتصحيح لتلك المكونات، وهذا يتطلب اعتماد منهجية وسطية معتدلة في التعاطي والتعامل مع تلك المكونات، وحتى يحافظ العلماء على هذا الدور المؤثر له في المجتمع فمثلاً في إطار حث الناس وتعزيز قيمة الانتماء للوطن يجب أن يوازن مطالبات للدولة بالقيام بمسؤولياتها.





وللانتماء للهوية الوطنية تجليات على السلوك بشكل واضح، لأن الانتماء هو العمود الفقري للهوية الوطنية، ويقود إلى تجسيد الفكر الوطني كسلوك يومي في الفرد يحقق الأمن النفسي والتربوي، ويعلي شأن المسؤولية الاجتماعية، وثقافة المؤسسات ويمكن قياس سلوك المواطنة والانتماء عبر مكوناته الثلاث: المكوّن الوجداني القيمي، والمكون العقلي المعرفي، والمكون السلوكي العملي، ويجب أن تتناسق هذه المكونات معاً، وتتجسد في الممارسة الوطنية بعدها تعبيراً عن الهوية الوطنية، إذ توجد علاقة موجبة بين الانتماء الوطني والأمن النفسي والتربوي، وعلاقة سلبية بين الانتماء الوطني وكل من الاغتراب النفسي والتعصب والجمود الفكري والسلوك اللااجتماعي (عنف وعدوان وانحرافات). وهذه المعاني نجد لها تجليات وتطبيقات في سيرة حبيبنا وقدوتنا المصطفى صلى الله عليه وسلم عندما قال عن مكة المكرمة وهو يخرج منها مضطراً للهجرة مخاطباً لمكة " أن من أحب البقاع إليّ، ولولا أن قومك أخرجوني ما خرجت منك "

ويمكن أن يقوم العلماء في هذا المجال بدور رئيسي في زرع أو تغذية اتجاهات الناس الاجتماعية والدينية والأخلاقية، وفي بناء منظومة القيم التي ترشد سلوكهم وتعزز من قناعتهم في هذا المجال.

خاتمة البحث:

في البداية أودّ الإشادة بأهمية طرح موضوع الهوية الوطنية





والدينية على أجندة مؤتمر للعلماء وللمسؤولين عن الخطاب الديني في أفريقيا وجعله مادة للتفكير والكتابة والتداول، بصفته من الموضوعات الرئيسية والمسؤولة والمرتبطة بالأمن وباستقرار المجتمعات الأفريقية شئنا أم أبينا وبمستقبلنا، باعتبار الهوية وعياً للذات، سواءً أكانت فردية أم جمعية، بنفسها وبوجودها.

ومما توصلت الورقة إليه بعد عرض ومناقشة لفكرتها الرئيسية وموضوعاتها الفرعية ما يلي:

أولاً: عن المصالحة بين الهوية الدينية والهوية الوطنية:

من الملاحظ من واقع الممارسات في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية أنّ هناك عدم الوفاق بين أنصار الهوية الإسلامية ودعاة الهوية الوطنية الجامعة بسبب وجود نقاط خلاف في المنطلقات الفكرية لكل منهما وهذا بطبيعة الحال له انعكاساته السلبية على الأوطان ومجالات النهضة والتقدم للبلاد مما يؤكد ضرورة الحاجة إلى مصالحة حقيقية تفضي لمعادلة توافقية، ومن وجهة نظرنا نعتقد أنّ هذه المصالحة يجب أن تكون لها منطلقات صلبة تتضمن الآتي:

1. الاعتراف بكيان الدولة والوطن، فهو المفتاح لهذه المصالحة فالحديث عن المصالحة لا يكون إلا مع من يؤمن بوجود وطن قابل للانتماء إليه.
2. اعتماد المقاربة المعرفية مدخلاً لهذه المصالحة وتهدف تلك المعرفة للانفتاح على الوطن والتعرف على جميع مكوناته





دون استثناء.

3. القبول والاعتراف بالواقع بجميع أطيافه باعتبارها شركاء أساسيين في بناء الوطن.
4. التأكيد على حرية الاختلاف والإقرار بمبدأ الحريات العامة والشخصية
5. تحرير مفهوم الوطن بشكل محدد الدلالة وتحديد الموقف من محاولات اختزال الوطن في أشخاص.
6. الابتعاد عن خطاب التخوين وعمليات الإقصاء والإرهاب للشركاء المختلفين مع أو عن الذات.

ثانياً: بشأن إشكالات الهوية الوطنية والدينية الإسلامية

1. شمولية مفهوم الهوية الوطنية واحتوائها لكل الهويات والانتماءات الأخرى لأنها ركيزة أساسية للبنية المجتمعية السليمة وهي مفتاح القوة الداخلية للمجتمع ومفهوم الوطن لا يتعارض مع الفهم الصحيح للدين ولجوهر الإسلام ومقاصده العليا.
2. أن الحقوق المنبثقة عن الشراكة في العيش والوطن لا يتم توزيعها على أساس ديني وطائفي وإنما على أساس من الإنسانية التي يتساوى فيها الجميع وعلى أساس من الشراكة الوطنية التي جعلت منهم رعية واحدة يستحقون الرعاية والحماية بلا تفاوت وهذا ما يجب أن يقوم عليها النظام السياسي الذي يساوي في تشريعاته وأحكامه وقوانينه بين المواطنين مع حق احتفاظ كل فرد أو جماعة بالخصوصيات الدينية والسياسية





والثقافية ولا تتنافى مع العقد الاجتماعي الذي قامت عليه قواعد النظام.

3. بناء ثقافة مستدامة في مجال المواطنة والتعايش السلمي يحتاج إلى جهد كبير ومتواصل ويتكامل معه الإطار القانوني والسياسي والمجتمعي والتربوي لتحقيق تغيير أبعاد أثرا في الانتماء الوطني

4. التأكيد على دور حيوي لمؤسسات التنشئة الاجتماعية (مؤسسة الأسرة/مؤسسة التعليم/مؤسسات دينية/ مؤسسات الإعلام) في زرع وتغذية اتجاهات الناس الاجتماعية والدينية والأخلاقية لبناء منظومة القيم التي ترشد سلوكهم وتعزز من قناعتهم وثقتهم في أوطانهم.

5. الهوية الوطنية ليست تصورا منتهيا ومكتملا، بل هي مفهوم مركب ومتنوع ومتعدد المكونات والعناصر إثنيا ولغويا وقوميا وإنسانيا، وأن المشكلة ليست في التنوع بحد ذاته، بل في كفايات التعاطي معه ومقارباتها السياسية، لتتحول من مشكلة إلى ميزة.

ثالثا: بشأن دور العلماء في تعزيز الانتماء والثقة في الوطن

1. نوصي بضرورة قيام العلماء بواجبهم لرفع الالتباس بين الهوية الإسلامية والهوية الوطنية بتناول هذا الموضوع على ضوء مجموعة مقاربات فقهية ناقدة(فقه الواقع/فقه الأولويات/فقه الإنكار وضوابطه)

2. نوصي بأهمية مراجعة التقسيمات الواردة للأماكن





والأوطان في كتب التراث القديمة "دار الإيمان/دار الكفر/دار الهجرة..."

3. مما ينبغي علينا فعله كعلماء ومثقفين العمل على نشر الوعي الوطني والهوية عبر الارتقاء بما قبل الوطني، وضبط ما فوق الوطني ليكون الوطني أولاً، فمن الإشكالات الرئيسة في بلداننا الأفريقية أننا لا نعرف بعضنا على نحو عميق ولا نحسن الحوار، ونخاف الإقدام عليه، لوجود شكوك في داخل كل منا.

4. دور العلماء مهم في مجال بناء الثقة وتعزيز انتماء الناس لدولهم باستخدام مكانتهم الاجتماعية من خلال الحديث ونشر الوعي بين الجماهير وعبر المنابر لدعم ونشر ثقافة الهوية الوطنية وتقديم النماذج الإيجابية الهادفة في هذا الاتجاه.

5. بناء ثقافة مستدامة في مجال المواطنة والتعايش السلمي يحتاج إلى جهد كبير ومتواصل ويتكامل معه الإطار القانوني والسياسي والمجتمعي والتربوي لتحقيق تغيير أبعث أثراً في الانتماء الوطني

6. التأكيد على دور رئيسي للعلماء والمفكرين في زرع وتغذية اتجاهات الناس الاجتماعية والدينية والأخلاقية لبناء منظومة القيم التي ترشد سلوكهم وتعزز من قناعتهم وثقتهم في أوطانهم.

7. إدراك العلماء لدورهم في المجتمع، خاصة ضرورة فهم مكانتهم وسط المنظومات المجتمعية المختلفة فهماً دقيقاً





موضوعيا

8. محافظة العلماء على دورهم ومكانتهم "المرجعية" بوصفه "الخييط الناظم" المسؤول عن مراقبة وضعية حالات المنظومات والمكونات المختلفة داخل المجتمع والتزام منهجية وسطية معتدلة في الخطاب وفي التعاطي والتعامل مع تلك المكونات.

خلاصة:

عرضت هذه الورقة لموضوع "المصالحة بين الهوية الدينية والهوية الوطنية ورفع التعارض بينهما ودور العلماء في بناء الثقة بين المواطنين ودولهم وتعزيز شعورهم بالانتماء" وتكونت الورقة من مقدمة ومحورين وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية الحيثيات والإكراهات الدولية والمحلية لموضوع الهوية وقضايا المواطنة، وتناول المحور الأول المفاهيم الأساسية عن الهوية الدينية والهوية الوطنية وعناصر المكونات الأساسية لهما وخصائص كل منهما وجوانب التعارض بينهما، واستعرض المحور الثاني لأبرز المقترحات لما يمكن أن تقوم المصالحة بين الهويتين بالإضافة للحديث عن ما يمكن أن يقوم به العلماء لبناء الثقة لدى المواطنين مع دولهم وتعزيز الشعور بالانتماء لديهم، وفي الخاتمة أهم النتائج والمقترحات.









التراث الإفريقي رافد للسلام





السّلم والتّعايش في التراث الإفريقيّ - قراءة في ذاكرة الإمبراطوريات الكبرى - والأديان التقليدية والتراث المخطوط

الدّكتور/ يونس سعيد

باحث وأستاذ جامعيّ بمعهد أحمد بابا -

للدراسات العليا والبحوث الإسلاميّة بتنكوتو

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

يحتلّ التّعايش السّلميّ في الثقافة الإفريقيّة مكانة كبرى. وقد ضربت إمبراطوريّة غانة، ومالي، وسنغي أمثلة رائعة في هذا الميدان؛ فعاش المواطنون المسلمون والوثنيّون جنبا إلى جنب في أمن وسكينة واستقرار. وتفيد المصادر بأنّ مترجمي ملك غانة في عهدها الوثنيّ كانوا مسلمين، وكذا صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه وجنوده. بالإضافة إلى سيادة العدل، وكره الظلم وانتشار الأمن في مملكة مالي، فضلا عن سكنى المواطنين الأصليين مع الأجانب، وترك الوثنيّين على دياناتهم التّقليديّة والعيش معهم في حسن الجوار.

بلغ الاندماج الاجتماعيّ أوجّه في إمبراطوريّة (سنغي) وتحديدًا في عهد (سني علي) حين اتّحدت أعراف الإسلام بالوثنيّة، ما يؤكّد الترابط الوثيق بين مختلف المعتقدات. كما





تظهر أدبيات التّعایش في هذه الإمبراطورية في حادثة مقتل ابن الإمام (المغيلي) على يد يهود (توات) عند إقامته في (غاو Gao) وطلبه من الإمبراطور سجن التّواتيين القاطنين في غاو؛ ولكنه أعرض عن تنفيذ المضايقة بسبب تدخل العلماء والأعيان. ونجد لونا آخر من التّعایش في معاملة (سني علي) للمشركين مثل المسلمين، بالإضافة إلى التّعديّة، التي ظهرت في قيادة الدولة؛ إذ ثبت أنّ الأيادي التي كانت تدير إمبراطورية (سُنغِي)، تتمثّل في الحكّام والمديرين والقادة العسكريين والتّجّار والكهنة والعلماء المسلمين، ما جعل مساواة المسلمين مع الأديان الأخرى في هذا المجتمع؛ لدرجة أنّه لا يمكن تحقيق أيّ مكسب سياسيّ من دون استمالة أحد الحزبين: حزب التّجار المسلمين، وحزب الوثنيين.

وقد شهدت مملكتا (مقرة) و(علوة) المسيحيّتان، في بلاد (النّوبة) هجراتٍ عربيّة إسلاميّة، تسرّبت إليها بأسلوبٍ سلميٍّ، حتّى إنّ العرب كانوا يتصرّفون في تلك المنطقة تصرّف الملاك وأصحاب البلاد، لا تصرّف المهاجرين اللّاجئين، وأنّ المسلمين تمتعوا فيها بكامل الاستقلال، واندمجوا في حياة النّاس، وتعلّموا لغتهم.

ومن ناحية أخرى نرى أنّ الإفريقيّ جدّ حريص على الانسجام مع محيطه المرئيّ، وغير المرئيّ، مؤمنا بأنّ كلّ تصرّف يزعج هذا النّظام المودع في الكون، يعدّ حياذا عن مسار التّعایش، يتحمّل الإنسان تبعاته.





ويتأكد انتفاء الصّراع بين الأديان التّقليديّة نتيجة عدم معرفة الأفارقة التّعصّب الدينيّ؛ بل كثيرا ما يقوم الشّخص الذي يدين بالدين التّقليديّ بإدماج بعض نواحي التّعاليم الإسلاميّة أو المسيحيّة في تعاليم أجداده، فضلا عن وجود منتمين لديانات وعبادات مختلفة في الأسرة الواحدة، بدون وجود مشاكل.

وقد لعبت الطّرق الصّوفيّة والرّأوية القادريّة بوجه خاصّ دورا محورياً في ترسيخ دعائم السّلام عبر تأمين الرّحالة الأروبيّين، وفي هذا الصّد استضاف الشّيخ محمّد الخليفة بن المختار الكنتيّ الكبير الألمانيّ (ألكسندر غوردون لينغ A.G. Laing)، واستقبل الشّيخ (أحمد البكاي الكنتيّ) الرّحالة البريطانيّ (هاينريش بارث Heinrich Barth) سنة 1853م، فاختصّه بالحفاوة، وحسن الاستقبال، وفي ذات النّسق، قدّم ابن عمّ البكاي عام 1861م أثمن الخدمات لـ (دوفريي) خلال إقامته بين (توات) (Touat)، و(غدامس Ghadamès)، و(غات Ghat). كما سار على هذا النّهج شيخ زاوية كنتة بـ (توات) إسماعيل الكنتيّ، الذي استضاف -بدوره- الألمانيّ (غير هارد رولفس Gerhard Rohlfs) عام 1864م.

وقام الشّيخ أحمد البكاي الكنتيّ بأفضل نماذج التعايش السلميّ، تمثّل في: خطابه إلى (يوسف بن سيد) زعيم قبيلة (هغار) الطّارقيّة للمصالحة بينه وبين بعض كنتة، وتدخّله في اختيار خليفة لـ (آغ ماما أمينو غال) قبيلة (تينوق) الطّارقيّة، ومفاوضاته بين القبائل؛ وقد كان طوال حياة أخيه الأكبر الشّيخ





المختار الصّغير مفاوضا في الشّؤون العامّة، ففي عام 1846م كان مندوب أخيه للتّفاوض وعقد اتّفاقيّة سلام مع قبيلة الفلّان وسكّان تنبكتو، وكذا صلحه مع الأمير أحمد الثالث عقب توتّر العلاقة بينهما في شأن الضّيف النّصرانيّ (بارث).

ونقرأ في التّعایش السّلميّ إبان الاستعمار الأوروبيّ في مساقه الدّوليّ: رسالة الشّيخ أحمد البكاي الكنتيّ إلى (أليزابيت الأولى) ملكة إنغلترا، وردّها إليه، وخطاب (أحمد بن باب بن محمّد بن حمد الحاجي) إلى الدّولة العثمانيّة، ناصحا إيّاهم بالإعراض عن المشاركة في الحرب الأوروبيّة.

وأما ما يخصّ التّعایش إبان الاستعمار الأوروبيّ في مساقه الوطنيّ المحليّ، كفتوى الشّيخ محمود بن محمّد بن أبي بكر بن أحمد أعاد المشهور بـ (لموض) في حكم الإقامة مع المستعمرين تطرّق خلاله إلى عصمة الدّماء والأموال إلا بحق شرعيّ، والجهاد وما يتعلّق به، وحكم بذل المال الذي فرضه المستعمرون، وسبب عدم هجرتهم من تنبكتو بعد استيلاء الأوربيّين على المنطقة.

أسباب اختيار الموضوع:

يتلخّص أبرز أسباب اختيار الموضوع في الآتي:

1 - المشاركة في أعمال الملتقى الثّاني للمؤتمر الإفريقيّ لتعزيز السّلم، المنعقد بنواكشوط عاصمة الجمهوريّة الإسلاميّة الموريتانيّة، تحت عنوان: (بذل السّلام للعالم) في الفترة: 08-10 فبراير 2022م.

2 - الرّغبة الشّخصيّة في دراسة قضايا السّلم والاستقرار



الاجتماعي على الصعيد الإفريقي، الذي بات مرتعا للحركات والجماعات المتطرّفة التي تسعى حثيثا إلى تكوين جبهات جديدة يوما بعد آخر في أجزاء القارة الإفريقية التي تعاني في الأساس من أزمات بعضها فوق بعض، أضيفت إليها ظاهرة الإرهاب الدولي العابر للحدود، ما دفعني إلى مزيد من الجهود في هذا الميدان؛ للإسهام في التّحصين من أيديولوجيات التّطرّف العنيف، واستعادة الاستقرار في مجتمعاتنا.

أهمية الورقة:

تكمن أهمية الموضوع في كونه استعراضا لمبادئ السلم والتّعايش في التّراث الإفريقي، كما وجد لدى الشّعوب القاطنة جنوب الصّحراء الكبرى من العهد الإمبراطوريّ إلى فترة الاستعمار الأوروبيّ لإفريقيا.

إنّها مساهمة متواضعة في الكشف عن الرّؤية الإفريقية الأصيلة نحو العيش مع الآخر، ومحاولة استعادة ثقافة السلم والاستقرار والطّمانينة في المجتمعات التي تضرّرت بالنزاعات والصّراعات المختلفة.

أهداف الورقة:

- 1 - عرض مظاهر التّعايش السلميّ في المجتمع الإفريقيّ عبر التّاريخ وأهمّ العوامل المساعدة على ذيوعتها.
- 2 - كشف وقائع التّعايش السلميّ بين الأفارقة باختلافاتهم العرقية والانتمائية والقبلية والجهوية، والوسائل التي ساعدت على الاندماج الاجتماعيّ في وئام وأمان.





3 - استعراض نماذج من التّراث المخطوط التي دوّنتها أقلام جنوب الصّحراء في إطار تحقيق السّلام والاستقرار الاجتماعيّ بين الأفارقة، وبين غيرهم من المستعمرين الأوروبيّين إثر احتلال القارة.

4 - الإسهام في دفع عجلة السّلم والتّعايش في العالم بعامة والمجتمع الإفريقيّ بخاصّة والسّاحل بوجه أخصّ وفق الوسطيّة الإسلاميّة والتّقاليد الإفريقيّة المحضة.

حدود الورقة:

يقتصر هذا الموضوع على دراسة السّلم في التّراث الإفريقيّ، وذلك باسنعراض ما يتّصل بالتّعايش من شواهد ووقائع تاريخيّة وكتابات تراثيّة مخطوطة.

منهج البحث:

تفرض طبيعة الورقة أن يتمّ تناولها من خلال المنهج: التّاريخي، والوصفيّ والتّحليلي؛ باعتبارها أهمّ المناهج المناسبة له.

الإشكالية:

نظرا إلى مجريات الأحداث في إفريقيا منذ عقود من انفلات أمنيّ وحروب وتمردات تشهدها أجزاء من القارة، أغرقتها في أحوال الفقر والفاقة على الرّغم من إمكانيّاتها ومواردها الطبيعيّة، وما تبع ذلك من ولوج الجماعات المتطرّفة في أعماق المجتمعات الإفريقية لإثارة الفوضى واللاّ استقرار، واستقطاب متعاطفين معهم من الفئات الضّعيفة واجتذابهم إلى صفّها.



فما سبق يوصل إلى استنتاج من شأنه نعت القارة بانعدام الأمن والسلام عبر التاريخ، وكأنها لم تعرف يوما الطمأنينة والسكينة والاستقرار الاجتماعي، الأمر الذي يخالف الحقيقة والواقع والشواهد التاريخية.

وبناء عليه يمكن طرح التساؤلات الآتية: ما أسس التعايش في الإمبراطوريات والممالك المتعاقبة على حكم إفريقيا؟ وكيف عاش المواطنون المنتمون إلى معتقدات مختلفة في ظل التعددية الدينية التي عرفتها المجتمعات الإفريقية؟ وما سبل تعامل سكان جنوب الصحراء مع طلائع المستكشفين والمستعمرين الأوربيين الذين جابوا أعماق القارة؟ وكيف أسهم التراث المخطوط في ترسيخ ثقافة السلام في إفريقيا؟ وما النماذج التي يمكن الاستئناس بها في هذا الخصوص؟
هذه الأسئلة وغيرها هي التي تحاول الورقة الحالية الإجابة عنها عبر مباحثها الثلاثة.

هيكل البحث:

يتضمن البحث مقدمة، تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومشكلته، وحدود البحث، ومنهجه، وهيكله مقسما على ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعايش السلمي في إمبراطورية غانة ومالي وسنغي والنوبة والأديان التقليدية، ويحتوي على مطلبين:
المطلب الأول: التعايش السلمي في ظل إمبراطورية غانة ومالي وسنغي والنوبة.





المطلب الثاني: التعايش السلمي في ظل الأديان الإفريقية التقليدية.

المبحث الثاني: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستكشافات الأوروبية، ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستكشاف الأوروبي ودور القارية في تعزيزه.

المطلب الثاني: إسهام الشيخ أحمد البكاي الكنتي في ترسيخ ثقافة السلم من خلال التراث المخطوط.

المبحث الثالث: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستعمار الأوروبي، ويشمل المطلبين:

المطلب الأول: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستعمار الأوروبي في السياق الدولي.

المطلب الثاني: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستعمار الأوروبي في السياق الوطني المحلي.

وخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج، موشحة بفهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعايش السلمي في إمبراطورية

غانة ومالي وسنغي والنوبة والأديان التقليدية

يتناول هذا المبحث السلم والتعايش في إمبراطوريات غرب إفريقيا بدءاً من غانة ومالي وسنغي بالإضافة إلى بلاد النوبة ممثلة في مملكتي: (مقرة) و(علوة) المسيحيتين والأديان



الإفريقيّة التقليديّة ودورها في تعزيز ثقافة الاستقرار بين الأطياف الاجتماعيّة المختلفة، وذلك على ضوء المطالبين الآتيين:

المطلب الأول: التعايش السلمي في ظل إمبراطورية غانة ومالي وسنغي والنّوبة

يحتلّ السّلم والتّعايش مكانة عظيمة في الثّقافة الإفريقيّة باعتبارهما إحدى دعائم الاجتماع البشريّ؛ ولذا نجد فيما خلفته لنا الإمبراطوريّات المتعاقبة على أجزاء واسعة من غرب إفريقيا نماذج اندماجية اجتماعيّة رائعة بين الشّعوب القاطنة على هذا القطر القاريّ، وذلك وفق النّقاط الآتية: -

أولاً- التّعايش السّلمي في إمبراطوريّة غانة (Ghana): ضربت إمبراطوريّة (غانة) - في العهد الوثنيّ- أروع نظام تعايش اجتماعيّ وإداريّ، واقتصاديّ، فكان المسلمون مع كثرتهم وأهميّتهم وثقافتهم ونشاطهم، سواء أكانوا من السّوننكي، أم العرب، أم البربر، قد تمتّعوا بالاحترام والتّقدير في ظلّ الحكم الوثنيّ، وقد ذكر البكريّ أنّ «تراجمة الملك من المسلمين، وكذلك صاحب بيت ماله، وأكثر وزرائه»⁽¹⁾، وكان أكثر جنوده منهم⁽²⁾ وقامت التّجارة بدور قويّ في تبليغ الدّعوة إلى الطّبقة الحاكمة، وأسهم ذلك في وجود مستشارين مسلمين

1 - المسالك والممالك، البكري، دار الغرب الإسلامي، 1992م، د.ط، د.ب، ج 2، ص 872.

2 - المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل علي باري، وسعيد إبراهيم، كريدية، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 2007م، ص 73.





في البلاط الملكي، وساعد ذلك على توطيد دعائم النعائش، وتقليل بؤر الصراع الاجتماعي والخلاف الديني في تلك الحقبة^(١)

ثانيا- النعائش السلمي في إمبراطورية مالي (L'empire du Mali)

لقد أثنى الرحالة العربي (ابن بطوطة) -الذي تنقل في أرجاء إمبراطورية مالي - على النظام السياسي القائم وقتئذ، مشيراً في سجلاته إلى أن الأفارقة يميلون إلى العدل، ويكرهون الظلم؛ ولذلك انتشر الأمن في ربوع البلاد، فلا يوجد مسافر، أو مواطن، يخشى اللصوص، أو قطاع الطرق داخل الإمبراطورية، فقال: «فمن أفعالهم الحسنة قلة الظلم، فهم أبعد الناس عنه، وسلطانهم لا يسمح أحدا في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان، ولو كان القناطير المقنطرة، إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان، حتى يأخذه مستحقه»^(٢). وأضاف قائلاً: إن «قرية (زاعري)^(٣)، يسكنها تجار السودان، ويسكن معهم جماعة من البيضان، يذهبون مذهب الإباضية من الخوارج، ويسمّون (صغَنغُو)^(٤)»^(٥).

1- ينظر: المسلمون في غرب إفريقيا، ص 40.

2- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ، د.ط، ج 4، ص 265.

3- قال ابن بطوطة: «وضبطها بفتح الزاي والغين المعجمة وكسر الراء، وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان». تحفة النظار، ابن بطوطة، ج 4، ص 249.

4- بفتح المهمل والغين المعجمة الاولى والنون وضم الغين الثانية وواو. تحفة النظار، ابن بطوطة، ج 4، ص 250.

5- ينظر: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)،



وفضّل ملوك مالي ترك الوثنيين على ديانتهم التقليدية، والعيش معهم في حسن الجيرة، وتؤكد الأخبار بقاء علاقاتها السياسية والاقتصادية حتى في حالة التآزم مع الجيران، قال الباحث (محمد فاضل علي باري) في هذا الخصوص: «وبالرغم من توتر العلاقة مع الجنوب الوثني، فإن التجارة، كانت ناشطة معه، ووصلت إلى مستوى الوفود والسفارات؛ بل إن بعض الوثنيين، كانوا يقيمون في مملكة مالي، يمتهنون التجارة، ويعيشون في وئام مع المسلمين»⁽¹⁾.

فإلى جانب اعتناق القادة الإسلام، كان للشعب كلمته في اختيار ما شاء من المعتقدات، وفي هذا المساق، يذكر أن أول حاكم (ماندى Manden)، اعتنق الإسلام -هو(بَرْمَنْدَان)⁽²⁾، كما أسماه ابن خلدون⁽³⁾ - وقد تعرّضت مملكته لجفاف استمرّ بضع سنوات، فأصدر مرسومًا، يقضي بتحطيم أصنام البلاط، فأصبح هو وخلفاؤه مسلمين صالحين؛ ولكن أهل مملكته، ظلوا على الوثنية⁽⁴⁾. وعن حرية مزاولة شعائر الدين، واعتناق الأمراء

ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ، د.ط، ج 4، ص 249.

1- المسلمون في غرب إفريقيا، ص 82.

2 - وقيل: إنه يسمى «سرمندانة». ينظر: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقق: د. جمال الدين الشيبان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1955م، د.ط، ص 110.

3- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، تحقق: خليل شحادة، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1988م، ج 6، ص 266.

4- ينظر: الوثنية والإسلام- تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ك. مادهو بانيكار، تر: أحمد فؤاد بلبع، ط 2، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م،





الإسلام من دون إجبار عامّة الشعب على الدّخول فيه، أو فرضه عليهم، يقول (دنييس بولوم): «ولقد استطاع الدّين الإسلاميّ بقوة السّياسة أن يصل إلى صفوف الأمراء، بينما بقيت الكتل السّعبيّة محافظة في طقوسها القديمة»⁽¹⁾. ويرى (توماس أرنولد): أن بقاء جموع كبيرة من عبدة الأوثان، يعيشون في الأقاليم التي مرّت عليها قرون تحت الحكم الإسلاميّ؛ لدليل على أن نفوذ الإسلام محصور في المدن طويلا، ولم يتّخذ طريقه نحو الوثنيين إلاّ تدريجيّا، وأنّ الإسلام، لم يصادف مقاومة عنيدة، ما جعل وثنيي (البمبارا Bambara)، يحتفظون بعقائدهم، مع أنّهم كانوا محاطين عدّة قرون بالمسلمين.⁽²⁾

ثالثا - التّعایش السّلميّ في إمبراطوريّة (سنغي Soray): بلغ الاندماج الاجتماعيّ أوجّه في عهد (سني علي) إذ اتّحدت أعراف الإسلام والوثنيّة، ومضت متلازمة؛ إذ كانت أمّه وثنيّة، في حين كان أبوه مسلما⁽³⁾، وفي ذلك إشارة واضحة إلى مدى الترابط الوثيق بين المعتقدات السّودانيّة في هذا المجتمع.

وتتّضح مظاهر التّعایش السّلميّ -أيضا- في حادثة مقتل ابن الإمام (المغيلي)، ففي أثناء إقامته عند (الحاج أسكيا محمّد)

د.ب، ص 90.

1- الحضارات الإفريقية، دنييس بولوم، تر: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974م، د.ط، ص 50.

2- ينظر: الدعوة إلى الإسلام، سير توماس. و. أرنولد، تر: د. حسن إبراهيم حسن، وآخران، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م. د.ط، ص 358.

3- ينظر: الإسلام في نيجيريا، آدم عبد الله الإلوري، ص 40، ط 1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1435هـ 2014م. والوثنية والإسلام، ص 123.



(¹) في (غاو Gao)؛ إذ سمع بمقتل ابنه على يد يهود (توات)، وفي ثورة من الغضب، طلب من الإمبراطور إلقاء القبض على أهل (توات) القاطنين بـ(غاو Gao)، فقبض عليهم الملك أسكيا؛ ولكنه أفرج عنهم بعد أن تدخل الفقيه القاضي (محمود بن عمر أقيت)، الذي أقنعه بأنهم لم يجنوا أيّ ذنب، يتسبب في أن يرسفوا في الأغلال، وأن أهل (توات) القاطنين في غاو، لا علاقة لهم بالجريمة، ولم يشاركوا فيها؛ لعدم وجودهم هناك أثناء تنفيذها، وعليه يكون قتلهم، أو حبسهم ظلماً، لا يقرّه الإسلام، ولا يرضاه الشرع، وقد اقتنع السلطان برأيه، فأفرج عنهم. (²) وتفيد بعض الروايات أن الحاج أسكيا، تربّث بعض الشيء، لمّا طلب منه (المغيلي) ذلك، فلمّا ألقى القبض عليهم، تدخل أعيان وعلماء أهل (سُنغِي Sonjay) مباشرة، فلم ينفذ المضايقة على التواتيين المقيمين في البلاد. (³)

1- وتجدر الإشارة هاهنا إلى ورود هذا الاسم في تاريخ الفتاش في عهد (شي)، ما يدل علي أنه ظهر مبكراً، حيث قال المؤلف عند حديثه عن (شِي عَلِي بن سوني محمّد مَادُغ) ما نصه: "ثم خرج أسكيا (بَنُكْ Bagna) وأرسله إلى تُسُكْ، وهزم تسك جيش أسكيا بنك"، وسنة غزوة هذه البلدة هي: 885هـ / 1484م. وهذا على خلاف ما هو شائع بأن أسكيا محمد هو أول من لقب به. تاريخ الفتاش، محمود كعت بن المختار القنبيلي، تحق: عبد الرؤوف أحمد ميغا وآخرون، منشورات معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتبكتو مالي، ط1، 2014م، ص 97.

2- ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد التنبكتي، تحق: مجموعة من طلاب كلية الدعوة الإسلامية، إشراف: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس- ليبيا، 1989م، ص 577.

3- ينظر: مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: 07، 1992م، دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن





وتتجلى روائع التعايش في إمبراطورية (سُنغِي Sonjay) في جواب الإمام المغيلي عن أسئلة (الحاج أسكيا محمّد)، والتي تضمّنت سؤالاً عن حكم أحوال المشركين الذين عاملهم (سني علي) معاملة المسلمين، فقال: «(سني علي)، قطّ ما طلب منهم إسلاماً، ولا غيره، وإنّما يأخذهم، كما يأخذ المسلمين»⁽¹⁾، وهذا يدل -بلا شكّ- على أنّ (سني علي)، «لم يكن مستعدّاً لاضطهاد الوثنيين، ومكافأة المسلمين بصرف النظر عن أهليّتهم»⁽²⁾، وأنّ إرهابات نزع الدولة المدنيّة، كانت في أعماق الفكر السياسيّ الإفريقي -آنذاك- يعامل الجميع على أساسها.

وكذا نجد قمّة التعايش السلميّ في هذه الإمبراطورية عبر التّعديّة، التي برزت بقوة في قيادة الدولة؛ إذ ثبت أنّ «الأيدي التي تدير إمبراطورية (سُنغِي Sonjay)، تتمثّل في الحكّام، والمديرين، والقادة العسكريين، والتّجار، والكهنة، والعلماء»⁽³⁾ المسلمين، ما أمكنا القول: إنّ معالم انعدام إشكاليّة النزاع العقديّ في إمبراطورية (سُنغِي Sonjay) مساواة المسلمين مع ذوي الأديان التّقليديّة في الثّقل السياسيّ والاجتماعيّ؛ لأنّه لا يمكن تحقيق مكسب سياسيّ من دون استمالة أحد الحزبين: **حزب التّجار المسلمين، الذين انتشروا في أنحاء الإمبراطورية من**

التاسع وأوائل العاشر الهجريين وأثرها في الرعاة والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة، د. أبو بكر إسماعيل ميغا، ص 254.

1- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، أ.د. أبو بكر إسماعيل ميغا، ط 1، مكتبة التوبة، الرياض، 1997م، ص 152.

2- الوثنية والإسلام، ص 125.

3- تاريخ غرب إفريقيا، فيج. جي. دي، ص 661.





المدن الكبيرة والصغيرة. وحزب الوثنيين، الذين تركّزوا في القرى على جانبي انحناءة نهر النيجر في قلب الإمبراطورية؛ ولذا نرى عندما حدثت الثورة بين أبناء أسكيا محمّد وأبناء أشقائه وأحفاده - فعندما تقع أزمة بسبب هذا الميراث- كان على الشخص الذي يريد تولّي الحكم أن يتصارع مع الحاكم؛ للحصول على المساندة من أحد القسمين، الذين تتكوّن الدولة منهما.^(١)

ويتبيّن من الوقائع السالفة أنّ «تاريخ شعوب غربي إفريقيا، هو تاريخ اندماج عبر الأجيال، ممّا له أثر في قيام حضارات وحكومات وطنية، لها سماتها ومميّزاتها الحضارية في مكانها وزمانها»^(٢)؛ وذلك، لأنّ «الإسلام في كلّ مراحلها التاريخية، لم يتعصّب يوما من الأيام ضدّ رعاياه من أهل الذّمة من اليهود والنّصارى؛ بل أوجب احترام حقوقهم في العبادة والعيش بأمان، وسائر الحقوق من المعاملات وغيرها جنبا إلى جنب في بلاد المسلمين»^(٣)؛ وتبعاً لذلك «لاقى اليهود بعد سقوط دولة الإسلام في الأندلس أشدّ أنواع الاضطهاد والتّعذيب على أيدي النّصارى، كما لاقاه المسلمون، فلمّا لجؤوا إلى بلاد السودان فرارا من اضطهاد النّصارى لهم، وجدوا الحرّية التّامة في جميع مرافق الحياة، وتمتّعوا إلى جانب الحرّية التّامة في الاقتصاد بالحرّية الدينيّة -أيضا-»^(٤).

1- ينظر: المصدر نفسه، ص 112.

2- الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ص 9.

3- المصدر نفسه، ص 179.

4- المصدر نفسه، ص 179.





رابعا - التّعايش السّلمي في بلاد النّوبة: شهدت مملكة (مقرة)^(١) المسيحيّة، التي تشمل الجزء الشمالي من بلاد النّوبة، ومملكة (علوة)^(٢) المسيحيّة، الواقعة في الجزء الجنوبي من بلاد (النّوبة)^(٣) هجراتٍ عربيّة إسلاميّة، وإن كان لـ(مقرة) النّصيب الأوفى من هذه الهجرات، منذ معاهدة القبط، التي أدت إلى فتح هذه البلاد أمام التّجار العرب، وأدت -أيضا- إلى ضرورة محافظة النّوبيين على المسجد الذي بناه العرب في (دُمقلة)^(٤) عاصمة البلاد وقتئذ، ما يدلّ على وجود المسلمين فيها منذ ذلك الحين، وقد تسرّبوا إليها بأسلوب سلمي، حتّى نسمع -في القرن الثّالث الهجريّ التّاسع الميلاديّ، وفي عصر المأمون العبّاسيّ- أنّ كثيرا منهم امتلكوا ضيّعا كثيرة بأرض النّوبة، يؤدّون خراجها لملكها.^(٥) ويفيد (ابن سليم الأسواني)، الذي تجوّل في بلاد (النّوبة) أواخر

1 - سقطت مقرة النوبية المسيحية حوالي القرن الثامن الهجري، الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي. ينظر: العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، د. رجب محمد عبد الحلّيم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د. ط، د. ت، ص 65.

2 - امتدت مملكة (علوة) المسيحية، التي استمرت في الوجود حتى عام (910هـ/1504م). ينظر: العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، د. رجب محمد عبد الحلّيم، ص 63.

3 - «نوبة: بضم أوله، وسكون ثانيه، وباء موحدة... النوبة بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر وهم نصارى أهل شدة في العيش، أول بلادهم بعد أسوان». معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ج5، ص 309.

4 - «بضم أوله، وسكون ثانيه، وضم قافه، ويروى بفتح أوله وثالثه أيضا: مدينة كبيرة في بلاد النوبة، وإذا استقبلت الغرب كانت على يسارك في الجنوب، وهي منزلة ملك النوبة على شاطئ النيل». معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2، ص 470.

5 - ينظر: العروبة والإسلام، د. رجب محمد عبد الحلّيم، ص 72 - 73.



القرن العاشر الميلاديّ بأنّ الهجرة العربيّة الإسلاميّة، اشتدّت في هذه البلاد قبل عصر (المستنصر بالله) الفاطميّ؛ وكان العرب يتصرّفون في المنطقة الممتدّة من (أسوان)¹ إلى (الشلال الثالث)²، تصرّف الملاك وأصحاب البلاد، لا تصرّف المهاجرين اللّاجئين، وأنّ المسلمين، كانوا يتمتّعون فيها بكامل الاستقلال، واندمجوا في حياة النّاس، وتعلّموا لغتهم، وفهموا عاداتهم وتقاليدهم³.

المطلب الثاني: التعايش السلمي في ظل الأديان الإفريقية التقليدية

عرفت إفريقيا عبر تاريخها ديانات تقليديّة، تعبد القوى الطّبيعيّة باعتبارها أرواحاً إلهيّة، وغيرها، لاجئة في إرضائها إلى بعض الطّقوس من: احتفالات، ومواسم، ورقص، وتقديم القرابين، وكانت هذه الدّيانات -مع تعدّد معبوداتها- تؤمن بالله أعلى واحد فوق الجميع.

على أنّ الشّموليّة هي التي تميّز الرّؤية الإفريقيّة من النّاحية الاجتماعيّة؛ إذ لا يعني التّعايش في المنظور الإفريقيّ انتفاء الصّراع في المجتمع؛ بل يتعدّاه إلى احتواء جميع المبادئ، التي تحقّق الوئام، والانسجام، مع الكون الفسيح بكائناته المرئيّة من

1 - «بالضم ثم السكون، وواو، وألف، ونون، ووجدته بخطّ أبي سعيد السّكريّ سوان بغير الهمزة: وهي مدينة كبيرة وكورة في آخر صعيد مصر وأول بلاد النوبة على النيل في شقيه». معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج 1، ص 191.

2 - «الشلال الثالث أو الجندل الثالث، هو أحد الشلالات الستة لنهر النيل وكان يسمى قديماً (tombos)، يوجد على نهر النيل بالولاية الشماليّة بالسودان منطقة ثراث قرب مدينة دلفو (دلقو)».

3 - ينظر: العروبة والإسلام، د. رجب محمد عبد الحليم، ص 54.





بشر، وحيوان، وجماد، وبكائناته الخفية من آلهة، وأرواح مختلفة مما يؤمن به الإفريقي. فهذه الرؤية، هي ما أسماه الباحث الأنثروبولوجي (هارولدت) مفهوم (رؤية النسب مع الكون)، ومفادها: أن الإفريقي جد حريص على الانسجام التام مع محيطه من العالم المرئي، وغير المرئي، ساعيا إلى قيام التوازن بين الأنا والآخر، وبين الباطن والظاهر، مؤمنا بأن كل تصرف، يزعج هذا النظام والانسجام المودع في الكون، يعدّ -وفق نظره- حيادا عن مسار التعايش، أي حربا بمعنى آخر، يتحمّل الإنسان تبعاته. وعليه تقتصر مهمة الفرد في المجتمع على الانسجام التام، والعمل على ما يحققه هذا الانسجام، ويجنبه نقمة الآلهة والأرواح الساهرة على توافق مكونات الكون وتناغمها، وإلا عدّ الفرد عضوا غير صالح لمجتمعه، وعدواً للتعايش الاجتماعي.⁽¹⁾

وبالمقابل يظهر -في المنظور التقليدي- أن للحفاظ على التعايش مردودا نفعيا مباشرا في نيل رضا الآلهة ومكافأتهم، وهذا ما نبّه إليه الباحث (تيلور) عند تناوله تعالق الانسجام الاجتماعي بالانسجام الروحي والكوني في الحياة الإفريقية، فقال: «إن عافية الفرد الجيدة، تقوم على حفاظه على انسجام تام مع الكون بكيّته»⁽²⁾، وفي كثير من الحالات، تسري هذه الرؤية في حياة الفرد، كما تسري في حياة الجماعة، فقبائل

1- ينظر: النزاعات الأهلية في أفريقيا قراءة في الموروث السلمي الإسلامي، د. آدم بمبا، سلسلة دعوة الحق الشهرية، الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي، د. ط، د. ب، د. ت، ص 35.

2- النزاعات الأهلية في أفريقيا، ص 37.





(دوغون Dogon)⁽¹⁾ في مالي -مثلا- تعتقد أنّ السحب الماطرة، تنفّش عن المواضيع التي يسود فيها الخلاف، وتهرب منها إلى غيرها، حيث الوئام والتسامح؛ وعليه فإنّ مسؤوليّة المصالحة لدى (دوغون Dogon)، تقع على كلا المتخاصمين، والمخطئ هو من يتوانى في تحقيق المصالحة.⁽¹⁾

وكذا تمثّل جريمة القتل لدى قبائل (فون Fon) في (توغو) انتهاكا خطيرا للسّلام، وخرقا للأحلاف المبرمة بين القبائل والمجموعات، وعليه لابدّ من تجديد الحلف، وإرضاء الآلهة. بينما تستلزم لدى قبائل (أينغ Anyanga) في (توغو) عقوبة محدّدة في استبعاد سبعة أحرار من عشيرة القاتل.⁽²⁾ كما نرى السّحر وإيذاء الآخرين ملحقا بالقتل؛ «إذ يعدّ ذلك تهديدا للوئام الاجتماعيّ، يعاقب المجتمع عليه، ويضع إجراءات؛ لتعقب السّحرة الأشرار وتحديدهم، وإثبات التّهم ضدّهم، وبثبوت تهمة القتل ضدّ السّاحر لدى (الإيوي Ewe)⁽³⁾، ينفي نفيا مؤبّدا من المجموعة، حفاظا على المجتمع من شرّه، ودرءا للمواقف

1- قبيلة تقطن وسط جمهورية مالي في منطقة (بندياغارا) وما والاها من قرى حتى (همبوري) وأماكن أخرى.

2- النزاعات الأهلية في أفريقيا، ص 38.

3- المصدر نفسه، ص 46.

4- إحدى القبائل الإفريقية، تتوزع بين جمهورية (غانة)، و(توغو)، و(بنين)، وتشاطر قبيلة (الأشانتية) الغانية في الثقافة، والأعراف، والطقوس الدينية، كما تشكل (الإيوي) الغالبية العظمى من سكان جنوب (توغو)، وتشتغل بالزراعة والتجارة. ينظر: الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا، ص 46.





الانتقامية المحتملة ضده ... لأنّ السّاحر ديدنه الشّر، والهدم، وعداوة المجتمع، والخفاء والانغلاق على نفسه»^(١).

ولا يخفى على الباحث في الثقافة الإفريقية انعدام الصّراع بين أتباع الديانات التّقليدية، والسّبب يعود إلى «أنّ الإفريقيين أصلا- لا يعرفون التّعصب الديني؛ بل كثيرا ما يقوم الشّخص الذي ما يزال يدين بالدين التّقليديّ بإدماج بعض نواحي التّعاليم الإسلاميّة، أو المسيحيّة، في تعاليم أجداده، كما أنّ العائلة الواحدة، قد يوجد بها منتمون لديانات، وعبادات مختلفة، بدون وجود مشاكل تذكر»^(٢)؛ لأنّهم لا يعرفون حرب الأديان.^(٣)

وقد صرّح الباحث النيجيريّ (آدم الإلوري) بانفتاح ذوي الأديان الإفريقية التّقليدية على الآخر، فقال: «تعوّد الوثنيون أن يستشيروا كاهنهم؛ لمعرفة ما يصلح من الأديان لكلّ مولود لهم جديد، فكثيرا ما يتنبأ الكهنة بصلاحيّة الإسلام لكثير من الأطفال، فيعمل الآباء بما يشير لهم الكهنة، فيرسلون الأبناء إلى الأئمّة والعلماء؛ ليعرّفوهم على التّعاليم الإسلاميّة من الصّغر»^(٤).

1- النزاعات الأهلية في أفريقيا، ص 47 - 48.

2- إفريقيا قارة الإسلام - انتشار الإسلام في أفريقيا في القرن العشرين، د. حورية توفيق مجاهد، ص 53-54.

3- محاضرة بعنوان: انتشار الإسلام في إفريقيا، د. حورية مجاهد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 19/02/2002م.

4- الإسلام في نيجيريا، آدم الإلوري، ص 57.



وفي ذات الاتجاه وجدنا التّجّار المسلمين قد جمعوا بين الاقتصاد والتّربية والدّعوة، وبلغ الأمر ببعضهم إلى تحويل متجره في الليل إلى مكتب لتعليم أطفال المسلمين والوثنيين معاً؛ بل كان هؤلاء التّجار، يقدّمون أنفسهم لبلاط الملوك الوثنيين، فيلاقون التّرحاب، ويصبحون مستشارين لهم، وكان ذلك سببا في إسلام الملوك وحاشيتهم، فعلى هذا المنوال، منح الملك (أميتسا) أحد ملوك (أوغندا) التّجار المسلمين حرية الاستيطان في مملكته بصفتهم علماء وأساتذة للدين، فاستطاع التّجار المسلمون أن يلعبوا دورا عظيما في نشر الإسلام بالطّرق السّلمية، وأن يندمجوا مع المجتمعات المحليّة.^(١)

وأدى التّعاشيش في أفريقيا -أحيانا- بذوي الأديان التّقليديّة إلى الالتجاء إلى الشيوخ المسلمين في بعض الأمور إلى جانب كهنتهم الوثنيين، كما لا يتردّدون في حضور الجناز والاحتفال بالأعياد والمناسبات الإسلاميّة؛ بل جرت عادة بعضهم بإخفاء وثنيّتهم؛ ليظهروا بمظهر الرّقيّ والتّقدّم؛ لأنّ المجتمع الوثنيّ، قد تعارف على أنّ الإسلام صنو له، أخلاقيا، واجتماعيا، ونفسيا^(٢)؛ وعلى ضوء ذلك حظي الدّعاة بالتّقدير والاحترام في المجتمعات الوثنيّة، وكان السّلاطين والملوك، يزورونهم في

1- ينظر: انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، أ. عبد الله سالم بازينة، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراتة - الجماهيرية العظمى، 2010م، ص 153.

2- ينظر: الملتقى الدولي: (الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا)، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ربيع الأول 1439هـ، ديسمبر 2017م، أثر الوسطية في نشر الطوارق للإسلام في غرب إفريقيا، د. محمد أحمد إسماعيل، ص 339 - 340.





بيوتهم، ويستفتونهم، ويشاورونهم في شؤون الدولة، وما تتعرض له من أخطار، ويأتمرون بأوامرهم^(١)؛ وقد علل (مولين) نجاح الإسلام بـ«الحصانة التي تجعل شخص الداعية المسلم مقدّساً عند الأمراء الوثنيين، مثل ما هو محترم لدى المسلمين، مما يساعد على انتشار الإسلام عند هذه الشعوب»^(٢).

ومن مظاهر التعايش الوثني الإسلامي في شمال نيجيريا، كما تفيد الأخبار، أنّ وزير ملك قبيلة (جوكون Jukun) الوثنية في ولاية (موري Muri) النيجيرية، كان يختار دائماً من المسلمين، وكانت جاليات مسلمة من قبيلة (الحوس)، وغيرها، تستقرّ بين ظهرانيهم في سكينه ووثام^(٣).

أشار (آدم الإلوري) في حديثه عن الإسلام ببلاد اليوربا أثناء تعليقه على قول (أحمد بابا التنبكتي): «إنّ جميع البلاد الواقعة جنوباً من بلاد هوسا، كبلاد (يوربا)، و(غرما)، و(كتكل)، و(برغو) كلّها بلاد كفر» إلى أنّه بنى حكمه على عدم كون سلاطينها مسلمين؛ إذ الناس على دين ملوكهم، وذلك لا يمنع وجود المسلمين بها إطلاقاً، وإنّما ضعف شأن الإسلام في بلاد (يوربا)؛ لكون ملوكها وأمراءها كفّاراً؛ بل كان الإسلام فيها غالباً دين الأجانب من الملائيين، والهوساويين، والبرناويين، وكانوا إلى الطّرق السّلمية أميل في دعوتهم إلى الإسلام من الطّرق الحربيّة^(٤).

1- ينظر: المصدر نفسه، ص 340.

2- المصدر نفسه، ص 340.

3- ينظر: الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص 374.

4- ينظر: الإسلام في نيجيريا، آدم الإلوري، ص 50-51.





واسترسل (الإلوري) حول التّعايش في مجتمع اليوربا، فقال: «وإنّ القرية المسمّاة (ربوة السنّة) قرب (إلورن)، قد تأسّست منذ حوالي 1700م، وكان جميع سكانها من المسلمين النّازحين إليها من البلاد المجاورة. وكذلك قرية المسلمين البرناويين المسمّاة (أيج)، تأسّست في القرن السّابع عشر. وأنّ الإسلام، كان معروفا في بلاد(كيتو) على يد عالم بربري، يدعى (مالم سؤفو) منذ 1760م، وبلاد (كيتو) من أكبر بلاد يوربا القديمة».⁽¹⁾

ولم يصلنا نزاع بين الأقلية المسلمة والأكثرية الوثنية في بلاد اليوربا آنذاك، علما بأنّ الدّعاة في هذه البلاد -كما يقول الإلوري- «كانوا يستعملون التّيسير والتّدرّج في دعوتهم إلى الإسلام؛ لذلك ظلّ فيها غريبا، أو ضعيفا، أو محصورا في بعض الجهات».⁽²⁾

ويبيّن الباحث (عبد القادر زبادية) ملامح التّعايش السّائدة في إفريقيا قبيل الاستعمار، فيقول: «كانت تنقلات أفرادها بين النّواحي في سبيل التّجارة، وتربية المواشي، وما تتطلّبه من بحث عن المراعي والكلاّ لا تنقطع، سواء أكانت تلك النواحي تحت حكم الأمراء الوثنيين، أم المسلمين، حيث كان الجميع يعيشون في وئام وسلام، ولا يعكّر صفو أيّة مدينة في كامل المنطقة، أو قرية إلاّ الهجومات المفاجئة، التي ترتبها وتقوم بها آنذاك العصابات الإفريقيّة؛ لاختطاف الناس، وبيعهم عبيدا للمراكز

1- الإسلام في نيجيريا، آدم الإلوري، ص 51-52.

2- المصدر نفسه، ص 52.





التجارية الأوروبية المتمركزة على شواطئ المحيط الأطلسي»⁽¹⁾. هكذا كانت -إذا- طبيعة الشعوب الإفريقية -قبل الاستعمار- حياة قبلية مترابطة، كان المعتقد أو اللغة هي الموحد للقبائل، الأمر الذي كان يشكل في حد ذاته مصدر قوة، ومقدرة على التكيف، والتعاون، والانسجام بين مختلف القبائل؛ ومن ثم كان للآثار السلبية الناتجة عن التوزيع الجغرافي العشوائي للقبائل الناطقة باللغة الواحدة، وتجزئة الممالك، والإمبراطوريات الكبرى، وتشيتها، والاستيطان العشوائي للجماعات القبلية المختلفة جنسا ولغة ودينا في بقاع متعددة، من المحتلين الأوروبيين، أن جعل القارة في دوامة صراعات وأزمات متتالية، يصعب معها التفكير في البناء الحضاري المنشود.⁽²⁾

والعرض السابق يدل على تجذر ثقافة السلم والتعايش في أفريقيا؛ إذ لم يكن الدين، والمذهب، واللون، والقبيلة -يوما- عائقا في الاندماج الاجتماعي، فكانت الطمأنينة والأمان السائد في جميع الأحوال، والتي أسهمت بصورة لافتة في دفع الحراك المجتمعي إلى أعلى المستويات الحضارية. وكانت العادات التي تأثروا بها من حسن العشرة، وإيثار الغير، ولو كان بهم خصاصة، وكرمهم مع الغرباء، وغيرها من العادات الحسنة

1- دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، عبد القادر زبادية، ديوان المطبوعات الجامعية، د.ط، د.ب، د.ت، ص 56.

2- ينظر: النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا- قراءة في البديل الحضاري، د.قطب مصطفى سانو، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة- قطر، 1998م، ص 78.



عاملا رئيسا في ذلك⁽¹⁾، إلى جانب عوامل أخرى ساعدت في إذاعة السلم والتعايش بالمنطقة، كالأخلاق الكريمة، والامتزاج الاجتماعي، والمصاهرة، وحرية الاعتقاد، وتحقيق العدالة، والمواطنة الصالحة، والتوافق الثلاثي بين: السلطة، والمال، والعلم، وحركة المثاقفة إلى جانب المواصفات الشعبوية، التي يتميز بها سكان المنطقة، من سلامة الصدر، وخلوه من الغش، والمكر، والخداع، والميل الشديد إلى الدين، والسلم، وكرهية الحرب.

المبحث الثاني: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستكشافات الأوروبية

تكمن أهمية الفترة الاستكشافية التي نتناولها هنا بالبحث في وجود تعايش سلمي منقطع النظير، كان سبب نجاح كثير من المستكشفين والرحالة الأوروبيين الذين قدموا إلى إفريقيا، فلاقوا الاحترام والتقدير من الأعيان والعلماء مدة إقامتهم بين ظهرانيهم، وحتى في عهد الاستعمار الأوروبي ثمة دعوات إلى السلم والعيش المشترك، وبخاصة بعدما تمكنوا من بسط النفوذ على مقاليد الأمور، وهذا الرأي على خلاف من يرى ضرورة التمرد على القوى الاستعمارية مهما كلفتهم الحرب؛ زادوا على ذلك قتال كل من سكن مع المستعمرين بغض النظر عن الدواعي والأسباب.

1- ينظر: مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد: 36، 2015م، أثر الإسلام على المجتمع الإفريقي خلال القرن 10هـ/16م مملكة سنغاي نموذجا، أ. عبد الله عيسى، ص: 287.





المطلب الأول: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستكشاف الأوروبي ودور القادرية في تعزيزه

يبحث هذا المطلب في الرّحلات الاستكشافية التي قام بها ليف من الأوروبيين للقارة، وبخاصة ممّن نجحوا في تلك المهام بفضل الحفاوة والإكرام والاهتمام والرّعاية، التي أولو بها من الأمراء والأعيان أثناء ترحالهم في تلك الأرجاء، وذلك على ضوء النّماذج المعروضة أدناه.

ومن الجدير بالإشارة في هذا المساق أنّه وبناء على الأخلاق الإسلاميّة الحاتّة على حبّ الآخر، والتّسامح العقديّ ونشاطات الطّرق الصّوفيّة بعامّة والقادرية بوجه خاصّ في السّودان الغربيّ، والتي تعتمد أساسا في الدّعوة إلى الله على السّلم والإقناع والحكمة والتّأثير في المجتمعات الوثنيّة، فإنّ ذلك كان سببا للنّهوض الإسلاميّ في هذه البلاد.⁽¹⁾ وقد أشاد المستشرق (توماس أرنولد) بالتّسامح العقديّ في ظلّ القادرية في إفريقيا، فقال: وكان معظم المعلّمين، قد تربّوا في كنف الطّريقة القادرية ونظامهم الذي أقاموه على طريقة منظمة في دعوة القبائل الوثنيّة. وكان نشاطهم في الدّعوة ذا طابع سلميّ للغاية، معتمدا على الإرشاد، ولا نجد في كتاباتهم أيّ عدا،

1- ينظر: الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية (ما بين القرنين 9-13هـ / 15م-19م)، إعداد: قحام عمار، وابن شعبان سلمى، إشراف: خالد مسعودي، جامعة 8 ماي - 1945 قالم، الجمهورية الجزائرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، تخصص تاريخ عام، العام الجامعي: 2016-2017م، ص 25.



أو سوء نية نحو المسيحيين⁽¹⁾؛ ووفقا لذلك، ضربت القادريّة في غرب إفريقيا أروع الأمثلة في التعايش السلمي من خلال تأمين واستضافة الرّحالة الأوروبيين الذين جابوا المنطقة، فاستضاف الشيخ محمد الخليفة بن المختار الكنتي الكبير الألماني (ألكسندر غوردون لينغ A.G. Laing)، «الذي تعرّض لهجوم طوارق (الهغار) في يناير 1826م، وأصيب من جرّاء ذلك بجروح، فلبّأ إلى (أزواد) لأكثر من ستّة أشهر، وأوصله الشيخ (محمد الخليفة) إلى جماعة الموسي، ورجع (لينغ) إلى تنبكتو في أغسطس 1826م، وغادرها بعد ذلك إلى أن سقط في يد البرابيش، الذين اغتالوه في 28 سبتمبر 1826م»⁽²⁾.

وفي ذات المنوال، استقبل الشيخ (أحمد البكاي الكنتي) البريطاني (هاينريش بارث Heinrich Barth) سنة 1853م، فاختصّه بالحفاوة، وحسن الاستقبال، ووفّر له إمكانية إقامة سبعة أو ثمانية أشهر في تنبكتو، وحماه بكلّ ما يملك من هجمات ابن أخيه (حمادي) -زعيم حزب المعارضة آنذاك-، كما حماه من تهديدات إمارة (ماسينا Massena)، وصدّ نوبات حمم التزمّت التي تبديها مجموعة من الدّهماء، واضطرّ مرّات إلى ضمّه إلى معسكره خارج المدينة، والدّفاع عنه بالسّلاح. وعند انقضاء رحلته، رافقه إلى ما وراء (غاو Gao)، وأعطاه جواز مرور

1 - الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ص 366.

2 - أعضاء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، حسن الصادقي، ط 1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط - المملكة المغربية، 2012م، ص 24.





كثير الإطراء.⁽¹⁾ واستنادا إلى تقارير (بارث)، الذي لازم الشيخ أحمد البكاي، وتحدّث معه، فإنّه كان متسامحا بدرجة عالية لا نجدها في كثير من الحالات لدى كبار رجال الدين آنذاك.⁽²⁾

وفي عين النّسق، قدّم ابن عمّ البكاي عام 1861م أثنى الخدمات لـ (دوفريي) خلال إقامته بين (توات (Touat)، و(غدامس (Ghadamès)، و(غات (Ghat).⁽³⁾ وقد سار على هذا النهج شيخ زاوية كنتة بـ (توات) إسماعيل الكنتي الذي استضاف -بدوره- الألماني (غير هارد رولفس (Gerhard Rohlfs عام 1864م، ولقيه سنة 1865م في (مرزق (Mourzouq) في طريقه إلى الحج.⁽⁴⁾

وفي رحلة (بارث) إلى (غات)، وما وراءها، وفي وقت كان متعبا وناقد الصّبر، انطلق بمفرده؛ لتسلّق صخرة عالية، فضلّ الطّريق في أراضي رملية صحراوية، وظلّ بمفرده في تلك الأنحاء ما يزيد عن 24 ساعة، عانى خلالها العطش حتى أوشك على الهلاك؛ فعثر عليه أحد الطّوارق الذي -بدافع إنسانيّ- حمله إلى المعسكر.⁽⁵⁾

1 - ينظر: كتّبة الشّرقيون، بول مارتى، تر: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ط، ص 100.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 100.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص 101.

4 - ينظر: أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، حسن الصادقي، ط1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط - المملكة المغربية، 2012م، ص 32.

5 - ينظر: المستكشفون في إفريقيا، جوزفين كام، تر: د. السيد يوسف نصر، دار المعارف، كورنيش النيل - القاهرة، 1983م، د.ط، ص 177.



وحيثما أنهى (بارث)، فحسه لمدينة (كانو) النيجيرية، أكرمه الأمير بهدية، قدرها (60.000 كوزير⁽¹⁾)، وتمكّن بهذه النقود أن يشتري جمالا ثقله إلى (بورنو)، ثم إلى (سكتو)؛ حيث تقابل مع ابن السلطان (محمد بللو).⁽¹⁾

وعندما وصل الهولنديون في نهاية القرن السابع عشر للميلادي إلى (رأس الرجاء الصالح)، ترتب على مجيئهم هنالك تشتت سكان المنطقة، وكان عدد منهم من (البوشمن Boshmen)، و(الهوتنتوت Hottentots)، وهم شعوب لا يحبون الحرب ولا يميلون إليها، فهرب (البوشمن) في هذه الأثناء إلى صحراء (كالاهري). كما أن معظم القبائل التي تتحدث لغة (البانتو)⁽²⁾ المنتشرة في وسط أفريقيا باتجاه الجنوب، قبائل هادئة الطبع ومسالمة⁽³⁾، ويذكر أن (البانتو) خليط من: المسلمين، والمسيحيين، والوثنيين، عاشوا جنبا إلى جنب في هذه الأثناء في أمن وسلام.⁽⁴⁾

1- الكاوريز: عملة مستعملة في المنطقة في تلك الفترة. ينظر: المصدر نفسه، ص 177.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص 178، و181.

3- البانتو: «كلمة أفريقية، ويستخدمها الأوروبيون في وصف جماعة ضخمة من القبائل». المصدر نفسه، ص 240.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص 213 - 214.

5- ينظر: المصدر نفسه، ص 240.





المطلب الثاني: إسهام الشيخ أحمد البكاي الكنتي في ترسيخ ثقافة السلم من خلال التراث المخطوط

فمن نماذج إسهام الشيخ أحمد البكاي الكنتي في ترسيخ ثقافة السلم والتعايش، نعرض العناصر الآتية:

1 - خطابه إلى (يوسف بن سيد) (زعيم قبيلة (هغار) الطارقية، ومن معه؛ للمصالحة بينه وبين بعض كتنة، بما فحواه: «من عبّيد ربّه الغنيّ به الفقير إليه (أحمد البكاي بن محمّد بن المختار بن أحمد) إلى رئيس (هكار) وزعيمهم (يوسف بن سيد)، ثمّ إلى ابنه، ابن أخته (عبد السلام)، ثمّ إلى ابن عمّهما وأخيها (اماستان بن أوترك التايتوقي)، ثمّ إلى جميع (هكار) من صغير وكبير وحرّ وعبد، وخصوصا من قدّمنا ذكره، وهو (يونس)، و(بش)، و(اماسان)، وبعد: يا (يونس)، فقد أمرني أخي (سيدي المختار)، و(امحمّد)، وعمّنا (سيدي أعمار)، و(باب بن باب أحمد)، و(خطار بن سيد امحمّد)، وجميع الجماعات، أن أكتب إليك، أو أن أسير إليك في الصلح والخير، فامتثلت بالكتاب الآن، ومنعني من المسير شيئان: أحدهما: الصّيف وشدة الحرّ. ثانيهما: أنّي اعتقدت في نفسي من قديم أن لا أتبع لها على شيء لي إلا على شيء لمسلم غيري، وأمّا الذي هو لي، فإنّي أكتفي بالله فيه، وهو الكافي، فلو أنّي جئت اليوم، أو قبل اليوم لـ(هكار)، ظنّ (هكار) وغيرهم أنّي إنّما جئتهم، وإنّما سرت لطلب الذي لي، وهذا الكتاب والرّسل، يقوم مقام الأقدام والتّلاقي، وممّا نعلمك به بادئاً أنّه لا لرغبة في حربك يا (يونس)، ولا كراهية لسلمك، ولا للتّسارع إلى مساءلتك عما وقع من كلّ ما وقع؛ ولكن فاجأت (هكار) كنانة



هذا العام بشيء لم يُعهد، ففاجأ النَّاسَ ما لم يعهد؛ إذ عمد هذا الحيّ الغربيّ من كنانة إلى (هكار)، فقتلوا منهم بخلاف ما يفعل مع الحيّ الشرقيّ من كنانة، فلمّا لم يتّفق النَّاسُ، أي كنانة على حرب (هكار)، أي أبي حرب (هكار) من أباه مناولا، فجميع النَّاسِ قد جمع الرّأي، وقطع الطّمع من استقامة من رئيسهم ومرؤوسهم، من متبوعين وتابعهم، فحينئذ اجتمع الغربيّ من كنانة ... يبدأ (عمر)، وطاحوا عليه أن يدبّر عليهم بخير، أو حرب، أو خروج من الأرض فيما هو فيه من خير وحرب وخروج من الأرض ومقام فيها، فلم يكن لنا»⁽¹⁾.

2 - تدخله في اختيار خليفة لـ (آغ ماما أمينو غال) قبيلة (تينوق)

الطارقية: ينوّه (ديفيري) بأنّ هذا الاختيار الذي أمّلته الطّروف، لم يكن مقبولا إلاّ بحكمة من الشّيخ سيدي أحمد البكاي، الذي اضطرّ لإيفاد أحد إخوته للحضور⁽²⁾؛ وتلبيةً لندائه، أقبل رجال قبيلة (كل أولى)، الذين سبق لهم أن ساروا في خدمة جدّه المختار الكنتي الكبير ضدّ قبيلة (كل انتصر) للدّفاع عنه ضدّ الفولبي⁽³⁾، وقد كان الشّيخ أحمد البكاي صديقا لأكثرية أفخاذ (المدن)، التي كانت تحترب فيما بينها، وأدّى تدخله مرّات عديدة إلى نتائج سعيدة

1- رسالة من أحمد البكاي الكنتي إلى أحد زعماء هكار في شأن الصلح، أحمد البكاي، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم: 3699. (وقد أورده صاحب الورقة بهذه الصيغة التي هو عليها = الناشر)

2- ينظر: كتنة الشريقون، ص 106.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص 107.





وإيقاف نزييف الحرب.⁽¹⁾

3 - **مفاوضاته بين القبائل:** كان الشيخ أحمد البكاي طوال حياة أخيه الأكبر الشيخ المختار الصغير، زعيماً مساعداً، وأحياناً وفي فترات عديدة- يبعثه مفاوضاً في الشؤون العامة⁽²⁾، وخلال عام 1846م كان مندوب أخيه المريض؛ للتفاوض وعقد اتفاقية سلام مع قبيلة الفلان من جهة⁽³⁾، ومع سكان مدينة تنبكتو، الذين انقطعت مواصلاتهم مع عالية النهر، المعانين من المجاعة، والتعرض لتنكيد الطوارق، حلفاؤهم بالأمس، الذين لا يمكن إشباع أطماعهم من جهة أخرى.⁽⁴⁾

4 - **صلحه بين أعلي بن المختار وأمير ماسينا:** ومن جهود الشيخ (أحمد البكاي)؛ لإطفاء فتيل النزاع بين القيادات المتصارعة، نقراً توسطه بين (أعلى بن المختار) وأمير ماسينا (أحمد بن أحمد)؛ إذ يقول في الرسالة التي بعث بها إليه: «إلى الرئيس الزعيم ابن الرئيس الزعيم (أعلى بن المختار بن أعمر بن أعلى)، وبعد: فإنني

1- المصدر نفسه، ص 107.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص 99.

3- وقد تم عقد هذه المعاهدة على: أن تحكم تنبكتو نفسها بنفسها وبكل حرية تحت حماية الفلان، وعليه يكون زعيم المدينة وكل الموظفين من السنغي، ولا تظهر صلة التبعية إلا بإتاوة تدفعها المدينة إلى أمير ما سينا. فعلى هذا الأساس يمكث في المدينة قاض وجاب من الفلان، وهما وحدهما يمثلان السلطة المسيطرة، وزيادة على ذلك لا يجوز أن تقيم فيها أية حامية من عساكر الفلان. وشهد بارث سريان هذا النظام في تنبكتو في 1853 - 1854م، ويعتقد أنه استمر مع تعديلات حتى سقوط المدينة بأيدي الفوتونكي وتلاشي حكم الفلان. ينظر: المصدر نفسه، ص 100.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص 100-99.



قد وفدت في قرية (حمد الله) على الإمام ابن الإمام الشيخ أحمد بن الشيخ أحمد، طالبا الصلح ما بينك وبينه على قانون السنة المحمدية، فأجابني واستجاب لي -أيده الله بنصره-، وعمم في ذلك كل من دخل تحت حكمك من بيضاني وسوداني، من زاوي ومن عربي، فافعل أنت ما يفعل مثلك والرجال أبناء الرجال الكرام أبناء الكرام. فإن الإمام -نصره الله- قد صالحك، وصالح من كان معك ... وسيأتيك منه -إن شاء الله- مزيد بيان مع رسول ... فإن الإمام، أدخل فيه كل من أدخلته، ودخل معك فيه»⁽¹⁾.

5 - نصحه لبعض الإخوان بعدم التنازع مع الأرحام: وهكذا جاء في رسالة وجهها الشيخ أحمد البكاي «رداً على (الكلسوكي محمد بن يحيى بن أغلاد)، تحدت فيها الأخير عن أهل السوق، وقد لامه البكاي في هذه الرسالة على انشاقه عن أهله، ونعته بأن من ينشق عن أهله، فهو كمن كفر، وقد سطر له النصائح والإرشادات في قصيدة من مئتي بيت»⁽²⁾.

6 - توسطه بين مظلومين وأمير ماسينا: قام الشيخ أحمد البكاي بالوساطة بين مظلومين، وبين الأمير (أحمد الثالث)، للمصالحة بينهم، وفي هذا راسل الأمير واليه (غورو به سعيد)،

1- رسالة من أحمد البكاي إلى الرئيس أعلى بن المختار بن أعلى في شأن الوفد المرسل إلى أمير المؤمنين الشيخ أحمد بن أحمد في حمد الله وطلب منه الصلح، مخطوطة بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتبكتو، رقم: 4043.

2- إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، أحمد بلعراف التكني، تحق: د. الهادي المبروك الدال، د. ط، د. ن، د. ب، ص 91.





يخبره بقدوم (البكاي)، وبالمطالب التي جاء من أجلها⁽¹⁾.

7 - نصيحته للمغاربة وحضه على الائتلاف والتوافق: ففي رسالته إلى المراكشيين، ما يؤكد عناية الشيخ أحمد البكاي بالعلاقات الطيبة بين الناس ونبذ الفرقة والتناحر، والامتثال بأخلاق السلم، فيقول: «وإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأوصيكم ونفسي بتقواه، والالتفات إليه عما سواه، وأحضكم على الائتلاف، ونبذ الاختلاف، وعلى الاتفاق، وطرح الافتراق، فإن طريقنا مبنية على السنة، طريق أهل الجنة، وهم لا شحنة بينهم في دنياهم، ولا غل في صدورهم في عقابهم، وقد بلغكم عن ربكم في كتابه، وعن نبيكم في سنته، ما قال في النَّاحِي والنَّالِف، وما ذم من التنافر والتحالف، يكفي من الجميع لذي اللب السميع قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: 35]...»².

8 - صلحه مع الأمير أحمد الثالث: ويصحح الشيخ أحمد البكاي عقب الأزمة بينه وبين الأمير الماسني بأنه لم يرم من وراء ما قام به إلا الإصلاح والتوافق بين المتنازعين، ولم يفعل ذلك طمعا في مردود دنيوي زائل، فيقول مخاطبا أحمد الثالث:

1- يراجع: التعايش السلمي عند أحمد البكاي من خلال جوابه للأمير أحمد الثالث في شأن ضيفه النصراني، دراسة وتحقيق: يونس سعيد، ط1، دار القلم للنشر والترجمة والتدريب، بماكو- مالي، 1439هـ/2019م- ص: 42.
2- رسالة أحمد البكاي إلى أهل مراكش وجوابهم له، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتبكتو مالي، رقم: 805، ق: 1.



«وقد بلغني أنّ بعض الناس ينمّ إليك فيّ، أنّي من ابن أخيك، وبعضهم ينمّ لابن أخيك أنّي منك، وأنت تعرفني، ولا تجهل أمرا إن جهله غيرك، فإنّي لست من الفلّان أصلا ولا فرعا، إلا أنّي أخوهم ودّا وشرعا، ثمّ لا أرضى لنفسي طبعاً أن أكون معك، أو مع ابن أخيك، ككون الفلّان والتّوارق والرّماة والسّودان، فلست لكم بنسب، فتميلني حمية، ولا بجماعة، فتحيلني بيعة، ولا برعيّة، فتحملني خشية، ولا بطامع، فتجلبني رغبة، ولا بخائف، فتصدرني رهبة»⁽¹⁾.

والشيخ أحمد البكاي بقدر ما كان داعياً إلى الصّح بين النّاس، كان -في الوقت ذاته- أوّل المطبّقين لما يدعو إليه، ولم يصالح بين القبائل والعشائر والأفراد المتنازعين -فحسب- بل كان قدوة يحتذى، ونجد ذلك واضحاً في خطابه الموجه إلى الأمير (أحمد الثالث) في شأن الضيف النّصرانيّ، والذي أوضح فيه قبول الوفاق، بعد تدخل القاضي (محمّد علي فريج) للوفاق بينهما، فقال: «وقد جاءني (محمّد بن علي) ... أكبر منك سناً، وعقلاً، فما صدق وعده، ولا دقّ رعه، على أنّي لا أبى عن صلح، ولا أميل على قبح؛ بل لا أمتنع من وفاق، ولا أجمع إلى شقاق، ولا ثقة إلا بثقة ... أمّا النّصرانيّ، فقد كان على المسير في أوّل الشهر، سيرته أم لم أسيره؛ لأنّه لا يبالي هلّك أو ملّك، فلم يفارق أهله بنية الرّجوع إليهم؛ ليأسه من السّلامة في أرض الجهل والسّيبة والفوضى، فأنا اليوم في تسييره بالعجل ما أمكن، حتّى أحمل

1 - التعايش السلمي عند أحمد البكاي، ص 183.





نفسى فيه، وأكلفها ما لا يستطاع، إجلالا لك وتكريما لرسولك حبيبي، وقاضيك الفقيه (محمد بن علي فريج) - وفقنا الله وإياه - لما يحبّه ويرضاه، وقد علمنا أنّا، وتعلم أنت، أنّ ربنا - تعالى - وصانا في كتابه، فقال لنبيه: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾⁽¹⁾، وإني أسمع، وأطيع لله - تعالى - وأرغب في إخاء إخواني، وإخوان آبائي الفلآن - وفقهم الله الصواب والإحسان - فكيف لا أرغب في إخاء أميرهم؟ ولكني لا أطمع فيه، إلا من جهة صنع الله - تعالى - فإن الشيطان شيطان الإنس والجن، قد نزع بيني وبينهم، فأصغوا إليه بالأذان، حتى وصل إلى الأذهان؛ ولكن قلوب الكل بيد الرحمن»⁽¹⁾.

واعتذر البكاي للأمير الماسني عن كل ما بدر منه تجاهه من قول أو فعل إبان توتر العلاقة بينهما، داعيا إلى فتح عهد جديد، وتجاوز حالة الصراع، فقال: «من عبد ربّه أحمد البكاي بن محمد بن المختار بن أحمد، بالسلام المحفوف بالتكريم والإكرام المصحوب بالتعظيم إلى حبيبه، وابنه، ابن حبيبه، وأخيه، أمير المؤمنين أحمد بن أمير المؤمنين أحمد بن محمد -رحم الله السلف- وبارك في الخلف، ووقاهم التلف، وبعد: أيها الأمير والقمر المنير، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشكر لك حلمك وصفحك عني، وعن كلامي ... فلما أحسنت، حسنت السابق واللاحق، ومحوت ما كان في النفوس والقلوب

1 - سورة الإسراء، الآية: 53.

2 - التعايش السلمي عند أحمد البكاي، ص: 106.



من الحزازة، فأنت الحلال الحلو والبارد العذب، فبارك الله فيك لنا وللإسلام، والله يجازيك عنا وعن الإسلام بجزائه الأحسن الكريم الأعظم.

ثم إنني أعتذر إليك أيها الأمير الرشيد، فاعذرنِي، فإنَّ قبول العذر من أخلاق الكرام، فإنَّ القلب الحرير يقول ما لا يقال، وعنده أنه لا بدَّ من قوله، فاعف لي عن قولي ... وإن كنت أعلم أنك لم تحضره، فقد تركت لك ما أخذوا لي، وما صنعوا، فاترك لي ما قلت فيهم، وقلت لك بسببهم، ومن تاب من الذنب محاه ... فاشهد أيها الأمير، وليشهد من حولك من المسلمين أنني تائب مما يسوؤكم، وراجع إلى ما (يسركم). وفقني الله وإياكم إلى ما يوافق بيني وبينكم مما يحبه الله ورسوله ثمَّ أحبّه. فكلَّ ما طلبتم مني فإنني راض به، ما لم يخالف شرعا، أو يهتك عرضا، وأعاذكم (الله) أن تطلبوا مكروها، وأعاذني الله أن أفعل لكم، أو معكم مكروها. فإنني اليوم قد (أيقنت) بحبكم لي، وعرفت فضلكم وصحة محبتي لكم، وتمحضتم نصيحتي فيكم ... ثمَّ أطلب منك ومن جميع الفلآن المسامحة والعفو والصفح، وما أحببتكم مني لكم مبذول، وما طلبتم عنه مقبول. فإن فعلتم لي ما أحبَّ فهو ما أحب، وإلا فإنني تارك ما أهواه في مجازاة ما مضى من عفوكم عني وإغضائكم عن قولي. فالله يجازيكم عني ... والحاصل: أنني على محبتكم حريص، وأنا لكم أخ محب، فإن شئتم الآن وفاقي، فإنني به راض، وإن شئتم ففراقي لكم به قاض، فليكن ما يكون من الأمرين على حسن وإحسان بطريق أمن وإيمان، إلا أن الأصلح للدين والدنيا أن تنتفعوا بي، وأنتفع





بكم، وتستنعينوا بي، وأستعين بكم، متحابين في الله مجتمعين على ذلك، أو مفترقين عليه. وكلما فعلتم معي، فافعلوه لقومي أهل (توات) معي، كما فعل لي ولأبي ولأخي أبواك -رحمهما الله تعالى- ورضي عنهما. والسلام عليك»⁽¹⁾.

وبهذه الكلمات الصادقة المعبرة عن الرغبة في المصالحة، دفن الشيخ أحمد البكاي -رحمه الله تعالى- شحن الخلاف الذي كان بينه وبين الأمير أحمد الثالث؛ ليفتح مرحلة جديدة ترجع العلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية إلى سابق عهدها وفق ما كان بين الكنتيين والفلايينين.

وقد رسم الشيخ أحمد البكاي في الخطاب الذي بعثه إلى الأمير أحمد الثالث في شأن الضيف النصراني (بارث) أحكام التعايش مع المخالفين، متناولاً الجهاد، فقال: «فاعلم أنني ما كنت أظن أن مثلك لا يعلم أحكام الجهاد والمجاهد، أو أنه يخفى على مسلم ما، بل ولا على كافر، أنه لا يجوز ظلم كافر أي كافر من محارب أو غير محارب، دخل أرض المسلمين بأمانهم»⁽²⁾، مضيفاً بـ«أن هذا الإنغليزي، وحيد فريد، جاء بالأمان من أهل الأمان، لا جهاد فيه ولا معه.. والحاصل: أن هذا النصراني غير محارب، وأهله غير حربيين، فلا جهاد فيه»⁽³⁾، ويستطرد في بيان

1 - رسالة إلى أمير ماسنة أحمد بن أحمد بن أحمد الفلاني الماسني في الصلح، أحمد البكاي بن محمد بن المختار الكنتي، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتبكتو مالي، رقم: 2215.
2 - التعايش السلمي عند أحمد البكاي، ص 69.
3 - المصدر نفسه، ص 75-76.





أحكام أهل الكتاب في الإسلام، فيقول: «لم نكلّف بالتّعريض للنصارى واليهود في دينهم وأحكامهم، ولا بإقامة الحدود عليهم ... ولم نكلّف إلاّ بالوفاء لهم والذبّ والدفع عنهم ورفع الظلم عن ساحتهم وحسابهم على الله إذا بعثهم»⁽¹⁾، مؤكّداً أنّ قتل النفس بزعم الجهاد مخالفة شرعيّة، فيقول: «فأنتم يا أهل الجهاد المطلق من غير تفصيل أفصل عندنا من جهادكم؟ الجهاد المفصّل المفيد بأنّه يقول: (من رغب عن سنّتي فليس منّي)، ولو شاء الله لأمرنا أن نقتل كلّ كافر بإطلاق لفعل، أفلم يعاتب نبيّه وصفيّه وكليمه موسى عليه السلام في قتل القبطيّ الكافر؟ حتّى قال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾⁽²⁾، ولو كان هذا النصراني حكمه أن يقتل أو يسجن أو يسلب، لفعل به هذا أهل فودي الأعلام أهل الأحكام وحملة الأحكام»⁽³⁾.

استدلّ الشّيخ أحمد البكاي على مكانة التعايش السلميّ في الإسلام بمعاملة النّبّي صلّى الله عليه وسلّم أصناف المخالفين من قريش وغيرهم، متسائلاً: «كيف أحبّ النّبّي صلّى الله عليه وسلّم عمّه أبا طالب، وألفه وصحبّه وأحمد بن أحمد الفلانيّ لا يحبّ كافراً، ولا يصحبه مطلقاً؟»، مستعرضاً علاقات النّبّي صلّى الله عليه وسلّم مع المخالفين، فقال: «وكانت خزاعة عيبة نصح

1- المصدر نفسه، ص: 101 - 102.

2- سورة القصص، الآية: 16.

3- التعايش السلمي عند أحمد البكاي، ص: 90 - 91.

4- المصدر نفسه، ص: 81.





لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كفّار، ثمّ صالح قريشا، فكانوا يأتون إليه، ويأتيهم أصحابه، ومن جاء منهم تائباً، ردّه إليهم للصّح على ذلك، وكان يتألّف الكفّار بالأعطيات الجزيلة والإحسان الكثير»⁽¹⁾؛ بل إنّه عليه الصّلاة والسّلام «يحبّ قريشا على كفرهم، ويدعو لهم (اللّهم اغفر لقومي)، ويقول أيضاً: (اللّهم اهد دوسا)»⁽²⁾، مسترسلا في عرض نماذج معاملاته صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب، فقال: «وكان بنو قريظة في عهده من دخوله إلى المدينة إلى أن نقضوا الميثاق في غزوة الخندق مع الأحزاب. وأقرّ النّبىّ صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على أن لهم نصف الأرض ... وجاء وفد نصارى نجران، فأكرم منهم ضيفهم، وأحسن إليهم، وجادلهم بالتي هي أحسن، وصالحوه على الجزية، وتركهم على دينهم. وأوصى بأهل الذّمة وبأهل العهد أن نفي لهم بذمّتهم وعهدهم، وأنّه يوم القيامة خصم من ظلمهم»⁽³⁾.

المبحث الثالث: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستعمار الأوروبي

يستعرض هذا المبحث السّلم ومظاهر التّعایش الاجتماعيّ في الثّقافة الإفريقيّة في ظلّ الاستعمار الأوروبيّ، سواء على المستوى الدّوليّ أو على مستوى المساق المحلّيّ، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

- 1- المصدر نفسه، ص: 81.
- 2- المصدر نفسه، ص: 85.
- 3- المصدر نفسه، ص: 84 وما بعدها.



المطلب الأول: التعايش السلمي في التراث الإفريقي

إبان الاستعمار الأوروبي في السياق الدولي

ومن أمثلة هذا النوع في التراث الإفريقي خطاب الشيخ أحمد البكاي إلى ملكة (إنجلترا)، ورسالة بعض علماء غرب إفريقيا إلى الدولة العثمانية بالإضافة إلى تلك المؤلفات المحلية ذات الصبغة الردوية على من أنكر السكنى مع المستعمرين، ومن حلل دماءهم وأموالهم، وذلك حسب النقاط الآتية:

أ - رسالة الشيخ أحمد البكاي الكنتي إلى (أليزابيت الأولى) ملكة إنجلترا، وردّها إليه: فقد ظهر الشيخ أحمد البكاي أكثر انفتاحا مع إنجلترا، فأرسل عن طريق (بارث) خطابا إلى الملكة، وبعد عودته إلى (لندن)، بعثت (أليزابيت الأولى) هدايا ثمينة له ورسالة شكر ربما تكون أولى مظاهر العلاقات الدبلوماسية البريطانية مع المنطقة. وقد أجابته الحكومة الإنجليزية بواسطة الوزير الأول (لورد كلارندون) بتاريخ 15 أبريل عام 1858م بما يلي: «لقد تسلّمت الخطابات التي أرسلتها لي مع (بارث)، وقد قرأناها، وفهمنا محتواها تماما، وكان ذلك بالنسبة لنا مصدر سرور عارم، وكانت آمال الحكومة البريطانية مفهومة جيّدا من جانبكم، وما تريده هو فتح عيون عرب الجنوب على التجارة، وكلّ ما يتعلّق بها، وتعلم الآن أنّكم رأيتم بسرور بعثتنا، وتقبّلتنا صداقتنا بفرح. وقد أعطينا عهدا بأنّ هذه الصداقة، التي تربط بيننا لن تتناقض خلال القرون، وكلّ ما يريده العرب منا، سنقوم به على الوجه الصحيح، وسنساعدكم في تحقيق كلّ ما يصعب عليهم





صنعه، وبما أنّ حكومتنا قويّة، وتقوم على أساس متين، فإنّنا سنقوم بحماية أتباعكم الذين سيقصدوننا، ولا سيّما بمعونة سموكم، الذي أظهر منذ أمد طويل قوّته وسلطته وصداقته تجاهنا. وقد اعترى الملكة الفرّح الشّدِيد عندما عرفت مظاهر النّكرِيم التي غمرتم بها عبد الكريم (بارث)، الذي استطاع أن يعود بسلام، بفضل استقبالكم، وبفضل التّشريف الذي أحطتموه به، وهي ترسل إليكم هدايا مؤلّفة من منتجات مصنوعة في (إنجلترا)، وقد عبّئت هذه الهدايا في صناديق مرسلة إلى (الكولونيل) القنصل العام في طرابلس، والذي سيوصلها إليكم، ونرجو الله أن يتمّ ذلك في حالة طيّبة وسلامة، وأن تعجبكم وتبهجكم.

ونطلب إليكم ونسألكم أن تقولوا لزعيم قبيلة (المدن) ولزعيم قبيلة (كل تادمكت)، بأنّ ملكة (إنجلترا)، قد تسلّمت رسالتيهما اللّتين أرسلهما مع عبد الكريم (بارث)، وكنا جميعا سعداء بهما، وهي ترجوكم أن تبلغوا هذين الرّعيّمين، أنّها تبعث لهما سلامها، كما أرسلت خنجرا وسيفا، فالخنجر للأوّل، وللثّاني السّيف، وسيكون من السّهل عليكم التّعرف على هذين الشّيئين؛ لأنّ اسم المرسل إليهما مكتوب على كلّ واحد منهما؛ ولإنهاء هذه الرّسالة نقول لكم: إنّ فرحنا الكبير، سيحصل عندما يفد أحد من رجالكم، ولا سيّما أحد أفراد بيتكم، والذي سننتشرف بزيارته، ونريد أن نطلعه على قوّتنا ومصانعنا، وأخيرا على





الكثير من الأشياء»⁽¹⁾. ويؤكد (بول مارتني) أن هذا الخطاب قد تمّ العثور عليه ضمن الوثائق العربية في تمبكتو غداة احتلالها.⁽²⁾

ب - خطاب (أحمد بن باب بن محمد بن حمد الحاجي) إلى العثمانيين: ففي سلك السلم والتعايش الدوليين، نقرأ خطاباً مؤرخاً بعام 1333هجرى، حاول مؤلفه أن يمدّ خلاله جسر التّواصل بين غرب أفريقيا والدولة العثمانية. والمخطوط يعتبر من نوادير الوثائق التي يحتفظ بها معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو، وقد كتبه باسم قاطني غرب إفريقيا، ناصحاً العثمانيين بعدم المشاركة في الحروب الأوروبية بعد اعتزالهم لها، مستنكراً التّعريض لفرنسا بوصفها رمز الحرية والمدنية، والمدافعة عن حقوق المستضعفين، مذكراً إياهم بالمواثيق التي بين الدولتين، منوهاً بجهود فرنسا الإصلاحية ومشاريعها التنموية في مستعمراتها، طالبا الانسحاب من الشّأن الأوروبي؛ إذ إنه تدخّل غير موفق، لا يجني المسلمون المقيمون في المستعمرات الفرنسية من جرائها إلا الهوان والضعف، ودعا في النهاية إلى المصالحة مع الدولة الفرنسية، فقال:

«من جماعة البياضين من مسلمي أفريقيا الغربية بصحراء شمالي نهر السنغال إلى إخواننا مسلمي إسطامبول، إعلام لكم وإعلان بأن ما فعلتم من التداخل في شؤون الحروب الأوروبية

1 - كتنة الشريون، ص 103.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 103.





بين الدّول العظـمى بعد تصـريـحـكم باعـتـزال الفـتـن بين الدّول، أمر ليس من السّياسة الإسلاميّة في شيء؛ بل هو فعلة شنيعة، وخصلة بشعة، وتجرّ لكم غاية الوهن والضعف، بعد ما كنتم عليه من ذلكم، ولا سيّما، وقد تعدّيتم على الدّولة العظمى، دولة الفرنسيـس، مع ما علمتم من موالاته الإسلام من قديم الزّمان، ونصرتها لرومة، ومناصحتها لهم ... ويسوء في ذلك من كان من المسلمين في المستعمرات الفرنسيّة، ومن كان في الأراضي الدّاخلية في حمايتهم منهم، ومن كان في معاهدتهم من غير ذلك، فالجميع من المسلمين، منظرون عند الدّولة الفرنسيّة بعين النّجّة والإكرام، ومرموق بلحظ المحابة والاحترام، لا ينضم له جانب، ولا يظلم بقليل ولا كثير، ألا وإنّ هذه الدّولة، هي الدّولة الوحيدة المخاوية للإسلام، المانحة له غاية الحرية والاحترام، الذّابّة عن ضعفة أسلم، القائمة في ذلك على ساق الجدّ والتّشـمير، والدّين الإسلاميّ في بلادها ناشر أعلامه، وقد أعانوا أهله عليه، ببناء المساجد، وإصلاح الطّـرقـات، وحفر الآبار، فنشكر لها صنيعها مع الإسلام وأهله، ونأمركم إن كنتم إخواننا في الدّين، ومن ذوي مشورتنا في أمر المسلمين، أن تتركوا التّعـرّض لهذه الدّولة، ففي التّعـرّض لها خراب دينكم ودنياكم. أمّا خراب دينكم، فلا غرو منها نقضكم للمعاهدة التي عقدتموها مع الدّول بترك التّدخل في شأن هذه الحروب، ونقض العهد مذموم شرعا وطبعا، ومنها أنّ فيها إلقاء أيديكم للتّهلكة، وقد نهى عنه الله تعالى في الكتاب العزيز، وذلك لما علمتم من ضعف قوّتكم عن هذه الدّولة العظيمة، التي





تستطيع أن تمحقكم في أقل من لحظة بانفرادها، لاسيما ومعها حليفتاها العظيمنتان: دولة روسيا، ودولة إنكلترا ... تعلمون أنّ فيه خراب دنياكم، والعاقل المتدينّ، لا يعرض نفسه لما فيه هلاك دينه وديناه.

فالله الله يا إخواننا، اتركوا عنكم الاشتغال بما لا فائدة لكم فيه دينية ولا دنيوية. وقد علمتم أنّ هذه الدولة العظيمة، ما زالت من قديم الزمان، وهي محامية عن حقوق دولتكم العثمانية، وموادة لها، وقائمة بنصرتها، فما كان هذا بحسن المكافأة لها على ما فعلته معكم في غير ما مرّة، وفي ظروف عديدة من الذب عنكم، لمن أراد التماسكم من أعدائكم، كما شهدت به السنة التاريخ القديم والحديث، ولا فصل لكم ذلك؛ لعلمنا أنّكم طالعتموه في التواريخ التي بأيديكم - وأيضاً - فليس من حسن المكافأة لهم على ما فعلوه من الجميل مع إخوانكم المسلمين المتنعمين تحت ظلّ لواء الدولة الفرنسية المنصور بإفريقيا من حكومة مراكش، والجزائر، وتونس الخضراء، وأرضنا هذه، والسّنغال إلى غير ذلك من بلاد المسلمين المتنعمّة، تحت ظلّ العدالة الفرنسية، والمغتبطة بحكومتها الشهيدة. مع أنّ فرنسا لمناصحتها للإسلام ... ولذويه، لم تتغيّر منها شعرة على مسلمي هذه البلاد مع فعلتكم الشنيعة - فجزى الله تعالى هذه الدولة العظمى خيرا - فقد فعلت معنا من الجميل، ما لا نقدر أن نكافئه، ولا نظنّ أنّ ما بلغنا عنكم، صادر إلاّ عن رأي من ليس من الإسلام في شيء، وإن انتسب له في الظاهر، فإياكم أن تسمعوا، وتطيعوا لمن يلقىكم، فيما يضرّكم دينا ودنيا، فإنّكم إن فعلتم





ذلك، يسوقكم إلى ما يبكيكم، نعوذ بالله من ذلكم، وحسبنا
الله، ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتب يوم 22 من المحرم الحرام عام 1333 هجرية؛ لعبده
الفقيه (أحمد بن باب بن محمد بن حمد الحاجي)، لطف الله
تعالى به وبأحبته، آمين»⁽¹⁾.

المطلب الثاني: التعايش السلمي في التراث الإفريقي إبان الاستعمار الأوروبي في السياق الوطني المحلي

وثمة عدة خطابات سلمية محلية ضد نوبات المغالين الذين
أحلوا قتال وأموال من سكن مع المستعمرين؛ مما دفع ببعض
علماء تنبكتو من ناحية المسؤولية إلى كتابة الرسائل والفتاوى
لرد دعاوي إحلال دماء وممتلكات الناس، ودفع شبه المفترين
على الشريعة الغراء، ومن الأعلام الذين حملوا هذا الشرف الشيخ
(محمود بن محمد بن أبي بكر بن أحمد أغاد)² من خلال مكتوبه
الموسوم بـ (فتوى فيمن يسكن مع النصارى)، للإسهام في رسم
معالم التعايش الاجتماعي في السودان الغربي وقيمها في

1- رسالة إلى مسلمي إسطنبول، أحمد بن باب بن محمد بن حمد الحاجي
باسم جماعة البياضيين من مسلمي أفريقيا الغربية بصحراء شمالي نهر السنغال،
مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي،
رقم: 12571.

2- هو: محمود بن محمد محمود (الملقب بالموض) بن أحمد أغاد بن القاضي
طالب بن القاضي سيد محمد أغين بن الشيخ سيد أحمد بن آدا. ينظر: كتاب
الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان، الشيخ محمد بن محمود بن الشيخ،
مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي،
ق: 51.



فترة الاستعمار، والكتاب مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو، تحت رقم (292):¹

ويذكر الشيخ (محمد محمود)² أن العلماء انقسموا في حكم الإقامة مع المستعمرين والهجرة من المناطق التي وقعت تحت قبضتهم إلى مواضع أخرى، انقسموا إزاءه إلى اتجاهين: الأول: أوجب الهجرة من هذا القطر الذي استولى عليه الفرنسيون، وعول عليه بعض علماء تنبكتو، وبعض أهل (سيد عال)، حتى رحلوا بأولادهم وأهلهم، فبلغوا إلى (تفلات)، ويمثل هذا الرأي (محمد أحمد)، و(الصديق بن محمد البخاري). والآخر: أفتى بجواز السكنى معهم والامتثال بما فرضوا من إتاوات وضرائب، فعلى هذا الرأي، ذهب فقهاء أولاد الشيخ (سيد أحمد بن آد) الأرواني، راديين على من حرّم السكنى معهم، نافين إحلال دماء وأموال من لم يهاجر، ووافق هذا الرأي (محمود بن أب) أحد علماء أهل (سيد عال).³

ذكر المؤلف في خطبة الكتاب أن بعض الناس استحلوا أموالهم ودماءهم وأعراضهم بغير حجة من كتاب، أو سنة، أو إجماع، مستنداً بحديث: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَأَسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا،

1- قام الباحث بتحقيقه، وهو مرقون في مكتبته ولما ينشر.

2- هو محمد محمود بن الشيخ بن سيد بيكر بن القاضي الأرواني، توفي عام 1973م. ينظر: إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء والشنيق، أحمد بن أبي الأعراف التكني، تحقق: د. دريس تراوري، وآخرون، ط1، معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، 2019م، ص: 198.

3- ينظر: كتاب الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان، ق: 51.





وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفَرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ» على التزامهم بهذا النص والعمل بمقتضاه، فقال: «-فَوَ اللَّهِ- ما زلنا على هذا، وما بدلنا، وما غيرنا»^(١)؛ ولكنَّ الجهل، أعمى قلوب البعض، فتحاملوا علينا بما جرى. معللاً أهم الموانع الحائلة دون الهجرة؛ فقال: «وأما مكثنا في أرضنا بعد نزول جيش الروم بتنبكتو، ومداراتهم على حفظ النفس والمال، اللذين اتفقت الشرائع على وجوب حفظهما من لدن آدم إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- فمستندنا فيه الضعف والضرورة»^(٢)، وعلاوة على ذلك استدل بـ«أنَّ الله تعالى، استثنى المغلوبين من آية التولي، وهي قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاءً وَيُحَذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٣). فكيف تنفى هذه الرخصة وإقامة المؤمنين مع الكفار بعد أن أثبتها الله في كتابه، والله يحبُّ أن تُؤتَى رخصه كما يحبُّ أن تُؤتَى عزائمهم»^(٤)، مبيناً أنَّ الضعف وعدم القدرة على دفع المستعمرين عاصم للدِّماء، وأنَّ المتشددَّين لا يملكون أيَّ دليل على الحرب التي شنوها على من سكن مع المستعمرين، مفنِّداً الحجج التي برهن بها الخصوم قائلاً: «وأما

1- فتوى فيمن يسكن مع النصارى، محمود بن محمد الملقب بـ (الموض) ابن أبي بكر بن أحمد أغاد، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم: (292)، ق: 3.

2- المصدر نفسه، ق: 3.

3- سورة آل عمران، الآية: 28.

4- فتوى فيمن يسكن مع النصارى، ق: 3 - 4.



الضعف: فقد علم لنا قديما وحديثا أننا من المستضعفين - حقق الله لنا ما وعدنا في كتابه بقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١) ... فقد استضعفنا بأنفسنا وأموالنا، والمستضعفون قد أعذرهم الله في آية، وأوجب القتال عنهم في آية، فكيف يستباحون بعد أن أوجب الله القتال عنهم؟ وقال عز من قائل: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾^(٢). فقد عاتب الله من ترك تخليصهم - فهو معاتب بهذه الآية - فما بالك بمن انتهك حرمتهم؟»^(٣).

ولما كان السلم والتعايش من ضرورات الحياة الاجتماعية، فقد احتج المؤلف على جواز الإقامة مع المخالفين بما ترجم له البخاري بقوله: (باب قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(٤)، مستأنسا بكلام صاحب (إرشاد الساري)؛ إذ يقول: «هذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين؛ إذا كانوا محتاجين إليهم بحال (أسية بنت مزاحم) امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع أنها

1 - سورة القصص، الآية: 5.

2 - سورة النساء، الآية: 75.

3 - المصدر نفسه، ق: 5.

4 - سورة التحريم، الآية: 11.





كانت تحت أعداء أعداء الله»^(١).

وقد عرض (لموض) في هذا المؤلف أحكام التعايش مع المخالفين في الإسلام، فقال: «وأما الاجتماع معهم في الأرض، فلم يبلغنا فيه حديث صحيح إلا قول البخاري في الجامع الصحيح: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب»، وفي حديث آخر: «لا يبقين دينان بجزيرة العرب»؛ ولذلك لم يجز للإمام أن يأذن لهم في سكنى مكة والمدينة بإعطاء الجزية، فعلم أن غيرهما من الأرض، يجوز سكنى المسلمين معهم فيه عند الاحتياج إليه»^(٢) لافتا إلى أن مرد عدم الهجرة كامن في أنهم لم يسمعوا بناحية إلا ويجب الفرار منها لا إليها، وأنهم لا يملكون حيلة ولا قوة على الخروج من تنبكتو، ولم يسمعوا بآمن منها، ولا أحسن دينا من أهلها»^(٣).

وقد ميز المؤلف في هذا المخطوط بين الهجرة والفرار، فقال: «وأما الهجرة، فأمرها شديد، كما في الحديث، وقد أعذر الله عنها المستضعفين مدة ثبوت حكمها، ثم نسخت بعد فتح مكة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا هجرة بعد الفتح)»^(٤). وقال: «مضت الهجرة لأهلها». نعم، الفرار من الفتن من الدين؛ لكن الفرار غير الهجرة، والفرار يكفي فيه الانتقال من الأمصار

1- فتوى فيمن يسكن مع النصارى، ق: 8-7.

2- المصدر نفسه، ق: 9.

3- ينظر: المصدر نفسه، ق: 10.

4- المصدر نفسه، ق: 5.



إلى البادية، يتبع مواقع القطر وشعف الجبال⁽¹⁾، محتجا بما رواه البخاري: «يُوشَكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبَعُ بِهَا شَعْفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ».

وأنكر (المؤلف) على من كفر الذين لم يهاجروا بعد التغلب، ودلل بأن المساجد أعظم شعيرة من شعائر الإسلام، حصر الله تعالى عمارتها في المؤمنين، فقال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾⁽²⁾، ونحن -والحمد لله- ما من بلادنا محلة قوم إلا وفيها مسجد معمور بقدر وسع أهلها وفراغهم -متسائلا- كيف يكون منتهك حرمة المحلات والمساجد المعمورة أهلا لإعلاء كلمة الله؟ مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَتَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا بِاسْمِهِ وَسَعَى فِي حَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا حَافِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽³⁾. وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾⁽⁴⁾، وتماشيا مع ما سبق أورد ما جاء في السنة الفعلية من نهى الغزاة عند رؤية شعائر الإسلام عن

1 - المصدر نفسه، ق: 5.

2 - سورة التوبة، الآية: 18.

3 - سورة البقرة، الآية: 114.

4 - سورة النساء، الآية: 94.





الهجوم والقتال؛ مؤكداً أنه -صلى الله عليه وسلم- كان إذا غزا قوماً، وسمع أذاناً، كف عنهم، وإن لم يسمع، أغار عليهم، وأنه عليه الصلاة والسلام، كان إذا بعث سريةً، قال: «إِنْ رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا، أَوْ سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا، فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا».

وفي مسألة سقوط الجهاد، دحض (الموض) تصور المغالين بالخصوص، ناقداً تطبيقاتهم المنافية لمقصد الشارع من الجهاد، ملخصاً مسقطاته بعبارته فقال: «وأما الجهاد، فلا يجب إلا إن توفرت شروطه، وهدمت مسقطاته، وهي كما في (مختصر الشيخ خليل) ممزوجة بشرحه للدردير: «(وسقط) الجهاد بعد التعيين، كما لا يجب ابتداءً (بمرض، وصبي، وجنون، وعمى، وعرج، وأنوثة، وعجز عن) تحصيل شيء (محتاج له) من سلاح، ونفقة ذهاباً وإياباً، ورق، ولو بشائبة إن لم يعين كما مر، (ودين حل) مع قدرته على الوفاء وإلا خرج بغير إذن ربه (كوالدين)، أي: كالسقوط بمنع أحد الوالدين ديناً»⁽¹⁾.

وقد ألحق (الموض) دفع الضرر بالجهاد؛ لأنه من جملة الفروض الكفائية، لافتاً إلى أنهم ما رأوا أحداً تعرض لدفعه عنهم، منبهاً إلى أن انعدام الإمام الذي تتوفر فيه شروط الجهاد، وتنتفي عنه موانعه، لحجة قوية على سقوط الجهاد عن يسكن في المنطقة وما والاها، فقال: «فمن وجب عليه الجهاد، وجب عليه دفع الضرر عن المسلمين؛ إذ لا يجب إلا بالقدرة، التي يجب بها الدفع ... وأهل آبارنا وأمثالهم من أهل هذه البلاد، لا نعلم منهم

1- فتوى فيمن يسكن مع النصارى، ق: 10.



أحدا خاليا من هذه المسقطات»^(١)، وعليه «فإن الجهاد ساقط عنهم إن لو كان، كيف وقد تقدم أن حكم هذا الزمن الاعتزال، إذ لا جماعة، ولا إمام، فكيف وأئمة آخر الزمان، لا يكاد يوجد منهم من يصح معه الجهاد؛ لأنه لا يصح مع من كان غادرا، ينقض العهد، فلا يجب معه على الأصح»^(٢).

وأما بذل المال للمستعمرين، فقد تطرق لها (الموض)؛ فأجاز بذل الإتاوات والضرائب، التي فرضت عليهم، مستشهدا بـ«فعل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لما بعث إلى (عبيدة بن حصن)، وإلى (الحارث بن عمرو)، وهما قائدا غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وجرى بينه وبينهما الصلح على ذلك، حتى كتبوا الكتاب»^(٣)، معقبا على القصة بما ملخصه: إن «هذا شيء صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه؛ ليخفف عنهم كثرة العدو، فنحن أحوج إلى هذا، وما منعه أن يؤديه إليهم، إلا ما أخبره به (سعد) من قوتهم على مقاومة العدو، ومنعهم أنفسهم»^(٤)، منبها إلى الأوضاع التي يعيشونها في تلك الفترة من الهوان وعدم المقدرة على دفع المستعمرين، فقال: «وما رأينا أحدا، ذبهم عنا، ولا قدر على

1 - فتوى فيمن يسكن مع النصارى، ق: 11.

2 - المصدر نفسه، ق: 11.

3 - المصدر نفسه، ق: 8.

4 - المصدر نفسه، ق: 8.





مقاومتهم»^(١)، موجزا آراء الفقهاء في هذه المسألة، فقال: وأما بذل المال إليهم عند الضرورة، فقد نص عليه (الشبرخيتي) في شرحه على مختصر الشيخ خليل، ناقلا عن المازني، مستثنيا من أول كلامه، فقال: «(إلا أن تدعو الضرورة إلى إعطائهم؛ للتخليص منهم عند استيلائهم على المسلمين، وإحاطتهم بهم، حتى يصير المسلمون، كالأسارى في أيديهم بالمال)...»^(٢).

واختتم (الموض)، قائلا: «فلما بلغنا من الضعف ما بلغنا، وعدم القدرة على الخروج عنهم بقلة الحمولة والنفقة، وإحاطة المحاربين والفساق، وعدم الأمن في جميع النواحي، حتى لا يكاد يجد أحد ناحية، يفر إليها بدينه، صيرنا الحال، كالأسارى في أيديهم، فلا بد لنا من المعيشة معهم، إذ ليس لنا ضروع، نعيش بها، ولم نر بلدا، نقدر على المعيشة فيه إلا تنبكتو، مع أننا لا نسلم الانتقال حكم الإسلام عنها، ما دامت المساجد معمورة فيها بالأذان والإقامة والجمعات، ويحكم فيها قضاتها بأحكام المسلمين»^(٣).

الخاتمة

توصّلت الورقة إلى النتائج الآتية:

أن للتعايش في الثقافة الإفريقيّة مكانة عظيمة، وثمة إمبراطوريات كبرى مثل: غانة، ومالي، وسنغي، قامت بأدوار

1- المصدر نفسه، ق: 8.

2- المصدر نفسه، ق: 12.

3- المصدر نفسه، ق: 12.





جلیلة فی إرساء ثقافة السلام والاستقرار الاجتماعي، أدى إلى عيش المواطنين مسلمين ووثنيين في أمن وسكينة واستقرار. أن الاندماج الاجتماعي أفرز وجود موظفين مسلمين في بلاط الممالك الوثنية، إلى جانب سيادة العدل، وكره الظلم، وانتشار الأمن.

أن المواطنين الأصليين عاشوا مع الأجانب في ظل الدولة الواحدة، مع إتاحة الفرصة للوثنيين لتقليد دياناتهم التقليدية والعيش معهم في حسن الجيرة.

أن الاندماج الاجتماعي بلغ ذروته في إمبراطورية (سنغي) في عهد (سني علي)؛ إذ اتحدت أعراف الإسلام بالوثنية، ما يؤكد على الترابط الوثيق بين مختلف المعتقدات. كما تظهر في حادثة مقتل ابن الإمام (المغيلي) على يد يهود (توات)، وطلبه من الإمبراطور سجن التواتيين الساكنين في غاو؛ فأعرض عن تنفيذ المضايقة بسبب تدخل العلماء والأعيان.

أن التعددية الدينية، قد ظهرت في قيادة إمبراطورية سنغي؛ إذ ثبت أن الأيادي التي كانت تدير الإمبراطورية، تتمثل في الحكام والمديرين والقادة العسكريين والتجار والكهنة والعلماء المسلمين، ما جعل مساواة المسلمين مع الأديان الأخرى في هذا المجتمع؛ لدرجة أنه لا يمكن تحقيق مكسب سياسي من دون استمالة حزب التجار المسلمين، أو حزب الوثنيين.

أن تاريخ شعوب إفريقيا تاريخ اندماج عبر الأجيال، مما له أثر في قيام حضارات وحكومات وطنية، لها سماتها ومميزاتها





الحضارية في مكانها وزمانها، وأنَّ الإسلام في كلِّ مراحلها التاريخية، لم يتعصَّب يوماً من الأيام ضدَّ رعايا من أهل السُّودان الذَّمة من اليهود والنَّصارى؛ ولذلك وجد اليهود، الذين لجؤوا بعد سقوط الأندلس إلى بلاد السُّودان، الحرية التَّامة في جميع مرافق الحياة، وتمتَّعوا إلى جانب الحرية التَّامة في الاقتصاد بالحرية الدينيَّة -أيضاً-.

أنَّ مملكتي (مقرة) و(علوة) المسيحيَّتين، في بلاد (النوبة)، شهدتا هجراتٍ عربيَّة إسلامية، تسربت إليها سلميًّا، حتى إنَّ المهاجرين في تلك البلاد كانوا يتصرَّفون فيها تصرَّف الملاك وأصحاب البلاد، وأنَّ المسلمين قد تمتَّعوا فيها بكامل الاستقلال، واندمجوا في حياة النَّاس، وتعلَّموا لغتهم.

أنَّ الإفريقي حريص على الانسجام مع محيطه المرئي، وغير المرئي، مؤمناً بأنَّ كلَّ تصرف يزعج النظام المودع في الكون، يعدُّ حياذاً عن مسار التعايش، يتحمل الإنسان تبعاته.

أنَّ ثمة انتفاء للصراع بين الأديان الإفريقية؛ وذلك لأنَّ الأفارقة لا يعرفون التعصب الديني؛ فكثيراً ما يقوم المتدين بالدين التقليدي بإدماج بعض نواحي التعاليم الإسلامية أو المسيحية في تعاليم أجداده، فضلاً عن وجود منتمين لديانات وعبادات مختلفة في الأسرة الواحدة، بدون وجود مشاكل.

أنَّ الزاوية القادرية قامت بدور محوري في إرساء دعائم السلم في السودان الغربي عبر تأمين الرحالة الأروبيين، فاستضاف الشيخ محمَّد الخليفة بن المختار الكنتي الكبير الألماني (ألكسندر





غوردون لينغ (A.G. Laing)، واستقبل الشيخ (أحمد البكاي الكنتي) الرحالة البريطاني (هاينريش بارث Heinrich Barth)، وقدم ابن عم البكاي أثنى الخدمات لـ (دوفريي) خلال إقامته بين (توات Touat)، و(غدامس Ghadamès)، و(غاتات Ghat)، كما استضاف شيخ زاوية كنتة بـ (توات) إسماعيل الكنتي، الألماني (غير هارد رولفس Gerhard Rohlfs).

أن الشيخ أحمد البكاي الكنتي قام بأثمن تعايش سلمي تمثل في: خطابه إلى (يوسف بن سيد) زعيم قبيلة (هغار) الطارقية للمصالحة بينه وبين بعض كنتة. وتدخله في اختيار خليفة لـ (آغ ماما أمينو غال) قبيلة (تيتوق) الطارقية، إلى جانب مفاوضاته بين القبائل المختلفة طوال حياة أخيه الأكبر الشيخ المختار الصغير، وكذا صلحه مع الأمير أحمد الثالث إثر توتر العلاقة بينهما في شأن الضيف النصراني (بارث).

أن التعايش السلمي إبان الاستعمار الأوروبي يتخذ نسقا دوليا كرسالة الشيخ أحمد البكاي الكنتي إلى (أليزابيت الأولى) ملكة إنجلترا، وردّها إليه، وخطاب (أحمد بن باب بن محمد بن حمد الحاجي) إلى العثمانيين، يأمرهم فيه بالكف عن المشاركة في الحرب الأوروبية.

أن التعايش السلمي في ظل الاستعمار الأوروبي في مساقه الوطني المحلي، يتمثل في فتاوى علماء جنوب الصحراء في تلك الحقبة، ومنها فتوى الشيخ محمود بن محمد بن أبي بكر بن أحمد أغاد المشهور بـ (لموض)، تناول فيه حكم الإقامة مع





المستعمرين وعصمة الدماء والأموال بغير حق شرعي، والجهاد وما يتعلق به، وحكم بذل المال للمستعمرين، وسبب عدم هجرتهم من تنبكتو بعد استيلاء الأوربيين عليه.

فهرس المصادر والمراجع

أولا - القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة للنشر الحاسوبي.

ثانيا - المخطوطات:

1 - رسالة أحمد البكاي إلى أهل مراکش وجوابهم له، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم: 805.

2 - رسالة إلى أمير ماسنة أحمد بن أحمد بن أحمد الفلاني الماسني في الصلح، أحمد البكاي بن محمد بن المختار الكنتي، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم: 2215.

3 - رسالة إلى مسلمي إسطنبول، أحمد بن باب بن محمد بن حمد الحاجي باسم جماعة البياضين من مسلمي أفريقيا الغربية بصحراء شمالي نهر السنغال، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم: 12571.

4 - رسالة من أحمد البكاي الكنتي إلى أحد زعماء هكار في شأن الصلح، أحمد البكاي، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم: 3699.

5 - رسالة من أحمد البكاي إلى الرئيس أعلى بن المختار بن



أعلى في شأن الوفد المرسل إلى أمير المؤمنين الشيخ أحمد بن أحمد في حمد الله وطلب منه الصلح، مخطوطة بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو، رقم: 4043.

6 - فتوى فيمن يسكن مع النصارى، محمود بن محمد الملقب (لموض) ابن أبي بكر بن أحمد أغاد، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم: (292).

7 - كتاب الترجمان في تاريخ الصحراء والسودان، الشيخ محمد بن محمود بن الشيخ، مخطوط بمعهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، رقم 762.

ثالثا - الكتب:

1 - إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء وأهل شنقيط، أحمد بلعراف التكني، تحق: د.الهادي المبروك الدال، د.ط، د.ن، د.ب.

2 - إزالة الريب والشك والتفريط في ذكر المؤلفين من أهل التكرور والصحراء والشنقيط، أحمد بن أبي الأعراف التكني، تحق: د.دريس تراوري، وآخرون، ط1، معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، 2019م.

3 - الإسلام في نيجيريا، آدم عبد الله الإلوري، ص 40، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1435هـ-2014م.

4 - أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، حسن الصادقي، ط1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط - المملكة المغربية، 2012م.





- 5 - أضواء على الثقافة العربية في إفريقيا في العصر الحديث، حسن الصادقي، ط1، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، الرباط - المملكة المغربية، 2012م.
- 6 - انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء، أ.عبد الله سالم بازينة، ط1، منشورات جامعة 7 أكتوبر، مصراتة - الجماهيرية العظمى، 2010م.
- 7 - تاريخ الفتاش، محمود كعت بن المختار القنبيلي، تحقق: عبد الرؤوف أحمد ميغا وآخرون، منشورات معهد أحمد بابا للدراسات العليا والبحوث الإسلامية بتنبكتو مالي، ط1، 2014م.
- 8 - تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ، د.ط.
- 9 - التعايش السلمي عند أحمد البكاي من خلال جوابه للأمير أحمد الثالث في شأن ضيفه النصراني، دراسة وتحقيق: يونس سعيد، ط1، دار القلم للنشر والترجمة والتدريب، بماكو- مالي، 1439هـ-2019م.
- 10 - الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، أ.د. أبوبكر إسماعيل ميغا، ط1، مكتبة التوبة، الرياض، 1997م.
- 11 - الحضارات الإفريقية، دنيس بولوم، تر: علي شاهين، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974م، د.ط.
- 12 - دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين، عبد القادر زبادية، ديوان المطبوعات





الجامعية، د.ط، د.ب، د.ت.

13 - الدعوة إلى الإسلام، سير توماس. و. أرنولد، تر: د. حسن إبراهيم حسن، وآخران، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م. د.ط.

14 - ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، تحقق: خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1988م.

15 - الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تقي الدين أحمد بن علي المقرئ، تحقق: جمال الدين الشيبان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1955م. د.ط.

16 - رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، ابن بطوطة، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ، د.ط.

17 - الطرق الصوفية في السودان الغربي ودورها في الحياة الثقافية والدينية (ما بين القرنين 9 - 13هـ/15م - 19م)، إعداد: قحام عمار، وابن شعبان سلمى، إشراف: خالد مسعودي، جامعة 8 ماي 1945 - قالمة، الجمهورية الجزائرية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، تخصص تاريخ عام، العام الجامعي: 2016-2017م.

18 - العروبة والإسلام في دارفور في العصور الوسطى، د. رجب محمد عبد الحليم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

19 - كنتة الشرقيون، بول مارتي، تر: محمد محمود ولد ودادي،





مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، د.ط.

20 - المسالك والممالك، البكري، دار الغرب الإسلامي، 1992م،
د.ط، د.ب.

21 - المستكشفون في إفريقيا، جوزفين كام، تر: د.السيد
يوسف نصر، دار المعارف، كورنيش النيل- القاهرة، 1983م،
د.ط.

22 - المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة، محمد فاضل
علي باري، وسعيد إبراهيم، كريدية، ط1، دار الكتب العلمية،
بيروت، 2007م.

23 - معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط2، دار صادر، بيروت،
1995م.

24 - النزاعات الأهلية في أفريقيا قراءة في الموروث السلمي
الإسلامي، د. آدم بمبا، سلسلة دعوة الحق الشهرية، الصادرة عن
رابطة العالم الإسلامي، د.ط، د.ب، د.ت.

25 - النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا- قراءة في البديل
الحضاري، د.قطب مصطفى سانو، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية، الدوحة - قطر، 1998م.

26 - نيل الابتهاج بنطريز الديباج، أحمد التنبكتي، تحق:
مجموعة من طلاب كلية الدعوة الإسلامية، إشراف: عبد الحميد
عبد الله الهرامة، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس - ليبيا،
1989م.

27 - الوثنية والإسلام- تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب





إفريقية، ك.مادهو بانيكار، تر: أحمد فؤاد بلبع، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، د.ب.

رابعا - المجلات العلمية:

1 - مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد: 07، 1992م، دعوة الإمام المغيلي العلمية والإصلاحية في السودان الغربي في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر الهجريين وأثرها في الرعاية والرعية وانتعاش الحركة العلمية في المنطقة، د. أبوبكر إسماعيل ميغا.

2 - مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد: 36، 2015م، أثر الإسلام على المجتمع الإفريقي خلال القرن 10هـ/16م مملكة سنغاي نموذجا.

خامسا - المحاضرات والملتقيات:

1 - انتشار الإسلام في إفريقيا، د. حورية مجاهد، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2002/02/19م.

2 - الملتقى الدولي: (الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا)، مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ربيع الأول 1439هـ، ديسمبر 2017م.









المرأة والشباب الإفريقي رهان السلم وتحديات التنمية





دور الشباب والمرأة في تعزيز ثقافة السلم ونشرها

إعداد: الدكتورة آمنة جالو
أستاذة باحثة في جامعة الجنرال لنسنا كنتي
بسيفونيا - كوناكري

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل الرجل والمرأة خليفةً في الأرض، وأرسل
الرسول رحمةً وسلاماً للعالمين، ثم الصلاة والسلام على من جعل
بذل السلام للعالم من كمال الإيمان..
أما بعد..

حضرات العلماء والسادة المنظمين لهذا المؤتمر السلام
عليكم ورحمة الله

يسرني ويشرفني أن أشارك معكم بمداخلة تحت عنوان: "دور
الشباب والمرأة في تعزيز ثقافة السلم ونشرها".

"البحث عن السلم حق، بل هو أحق في كثير من الأحوال من
الحقوق الحقيقية أو المزعومة؛ لأنه حق الكافة في الحياة والراحة،
في الحركة والسكون، والسعي في مناكب الأرض، فلا يحق لأي





طرف أن يجرمهم أو يتسبب في حرمانهم من هذا الحق" كما قال مولانا العلامة عبد الله بن بيه حفظه الله.

إن ديننا الإسلامي هو دين التسامح والمحبة والسلام، ومن المعلوم أن النساء والأطفال والشباب هم أول ضحايا النزاعات، فهؤلاء جعلوا على الرغم من أنفسهم، أهدافاً يستخدمها البعض وسيلة للتفاوض، كما يتم تعريضهم للانتهاكات الدنيئة للإنسانية.

والنساء أكثر من الرجال في هذه التضحية، فهن من يدفعن الثمن الباهظ عند قتل الأطفال والأزواج...

فبحثنا هذا يهدف إلى بيان دور الشباب والمرأة في تعزيز ثقافة السلم ونشرها، وذلك من خلال النظر إلى السيرة النبوية باعتبار النبي عليه الصلاة والسلام قدوة لنا في نشر ثقافة السلم، كما يهدف إلى بيان أهمية التربية والتعليم لدى الشباب والمرأة في نشر السلم على أحسن وجه.

والسؤال الذي يمكن طرحه في هذا الصدد هو: كيف نعود إلى قيم السلم التي اتسم بها شباب ونساء عصر الرسالة، وإلى أي درس يمكن أن يقودنا إليه؟ بمعنى آخر، ما هو الدور الذي نخصصه اليوم لشبابنا ولنسائنا في أخبارنا الملتهبة لنشر ثقافة السلم؟ للإجابة عن هذا السؤال: نقسم هذا الموضوع إلى مقدمة ومحورين وخاتمة:

المحور الأول نتحدث فيه عن دور الشباب والمرأة في نشر

1 - انظر: مجلة السلم، العدد الأول، شتاء 2018، ص 252.





ثقافة السلم في المجتمع النبوي

المحور الثاني: التربية وتعليم الأخلاق كأساس لبناء مجتمع

سلمي.

أما الخاتمة فسنورد فيها بعض التوصيات المهمة للشباب

والمرأة.

المحور الأول: دور الشباب والمرأة في نشر السلم في المجتمع

النبوي:

إذا تأملنا السيرة النبوية وجدناها توصي بالالتزام بالمسؤولية الاجتماعية للشباب والنساء، وقد تجلّى هذا الالتزام في البحث عن المعرفة والخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين، ونشر السلم وتجربة الصبر والتسامح، واستخدام العقل.

ولقد منح الرسول صلى الله عليه وسلم المرأة المشاركة في جميع الأمور بما فيها الأمور الحساسة التي يعتبرها البعض خاصة بالذكور، فلقد أخذ برأي امرأة في أزمة سياسية تجلت في عدم استجابة الصحابة في صلح الحديبية؛ عندما أمرهم الرسول بالتحلل من إحرامهم، فاقترحت عليه أم سلمة رضي الله عنها أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وأن ينحر بدنه ويحلق رأسه، ففعل كما قالت، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا وحلقوا!

وهذا الموقف يبين الدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به المرأة الفاضلة كأُم سلمة في اتخاذ القرار الصائب الذي يساهم في

1- انظر: صحيح البخاري، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، الحديث رقم: 2731، ج 3، ص 193.





وحدة الصف وتجاوز الأزمات ونشر السلم، وكان فيه خلاص هذه الأمة.

وقصة أم هانئ رضي الله عنها مشهورة كذلك في إجازتها لابن هبيرة وموافقته صلى الله عليه وسلم على ذلك.¹

أما ما يخص دور الشباب في نشر السلم في المجتمع النبوي فيمكننا أن نذكر نموذجا يتمثل في أسامة بن زيد رضي الله عنه: فلقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة درسا في السلم؛ عندما بعثه أميرا على سرية خرجت للقاء بعض المشركين، ولقد أحرز في مهمته النجاح والفوز، ولكن عندما ذكر أسامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتله للمشرك الذي قال "لا إله إلا الله"؛ تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ويحك يا أسامة! فكيف لك بـ "لا إله إلا الله؟" يقول لنا أسامة: وددت أني انسلخت من كل عمل عملته، واستقبلت الإسلام يومئذ من جديد، فلا والله لا أقاتل أحدا قال "لا إله إلا الله" بعد ما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم.²

فتأملوا هنا، هذا الرجل الذي أسف النبي صلى الله عليه وسلم على مقتله، كان مشركا ومحاربا حينها، وقد أنكر الرسول صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد مقتله؛ وهو حين قال "لا إله إلا الله" قالها والسيف في يمينه، ومع هذا؛ فلأنه نطق

1 - انظر: صحيح البخاري، باب أمان النساء وجوارهن، الحديث رقم: 3171، ج 4، ص 100. وصحيح مسلم، باب استحباب صلاة الضحى، الحديث رقم: 336، ج 1، ص 498.

2 - انظر: مسند الإمام أحمد، الحديث رقم: 21802، ج 36، ص 133.





بالشهادة، وتحرك بها لسانه صار دمه حراماً وحياته آمنة في نفس اللحظة ولنفس السبب. فأين هذا الدرس اليوم للتنظيمات المتطرفة التي تفجر المساجد وتقتل المصلين.

ولكون أسامة قد تعلم درس السلم جيداً؛ أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش من بين أفرادِه وجنوده أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وسنه آنذاك لم تتجاوز العشرين.

هذه القيم الخاصة بشباب ونساء المجتمع الإسلامي الأول موصوفة في القرآن وفي السنة النبوية، فالإسلام مكن الشباب والنساء من أن يكونوا فاعلين في المجتمع، من خلال المشاركة على جميع المستويات في بناء الظروف لتحقيق العدالة الاجتماعية، وهذا التمكين كان ركيزة أساسية لبناء السلم.

المحور الثاني: التربية والتعليم الأخلاق أساس لبناء مجتمع

سلمي:

لم يختر الله سبحانه تعالى "اقرأ" ليخاطب بها خاتم النبيين عبثاً، فكل ما نسعى من أجل تحقيقه في هذه الحياة سواء من أجل النهضة أو نشر السلم أو الديمقراطية أو الحرية، لن يتحقق بالطريقة التي نرغب بها إلا بتطبيق ما أمر الله تعالى به خاتم أنبيائه "القراءة باسم الرب الذي خلق".

الشباب والمرأة يحتاجون إلى التعليم والتوجيه والإرشاد، كما

1 - انظر هذا الحديث في الموطأ، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 944، ج 1، ص 333.





يحتاجون إلى القدوة الحسنة والمثل الأعلى، اللذين يتعلمون منهما السلوك والعادات.

لا نقصد بالتعليم هنا الحصول على رأس ممتلئ بالأفكار الخاوية، ولا التعليم كتراكم للمعرفة، فلقد وقعت أعظم جرائم القرن العشرين في مجتمع مثقف متطور للغاية ومتعلم تعليماً عالياً، كما وقع في المجتمع الألماني.

إننا لسنا بحاجة إلى تعليم في الأخلاق، ولكننا بحاجة إلى تعليم قائم على الأخلاق.

ففي الإسلام، يعلمنا القرآن أصول الأخلاق المتمثلة في نبينا صلى الله عليه وسلم في آيات عدة، كما يبين لنا القرآن ذلك من خلال شخصيات عدة:

أولاً: في قصة إبراهيم عليه السلام الذي سمانا المسلمين، وكلمة "المسلمين" كما هو معروف مشتقة من السلم، فإبراهيم كان حنيفاً مسلماً، فليس صدفة أن يبشر بسلام ويوصف هذا الغلام بكونه عليماً، ثم يذكر الله سبحانه وتعالى بعد آية البشارة مباشرة بأنه هو الحكيم العليم، فهذا كله ليدلنا أن العلم بلا حكمة لا يقودنا إلى الإسلام والسلام، بل سيقودنا إلى الدمار والخراب كما نرى العالم حالياً.

ثانياً: في قصة لقمان التي تعلمنا الحكمة الحقيقية، فسورة لقمان هي أطروحة تربوية نادرة ما تتم دراستها بعمق، نجد في هذه القصة واجب الاحترام تجاه الجميع، والتواضع والأمر بالمعروف... وغير ذلك من القيم الأخلاقية التي تفيد في نشر



السلم.

أما التربية فالرسول صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن أهم دور للشباب والمرأة يكمن في تنشئة أجيال صالحة وتربيتهم وذلك في حديثه المشهور: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...".¹ فأغلب الناس يفهمون العلاقة بالأولاد على أنها علاقة رعاية أكثر منها علاقة رعي...

"فالرعي يشمل النماء والارتقاء، ووجود هدف من ذلك الرعي... واختيار المرعى الجيد المناسب لهذا الهدف.. الذي قد لا يكون المرعى الأقرب بالضرورة، ولكنه الأكثر خصوبة وثراء... كما قد يستلزم الأمر إنشاء المرعى الملائم".²

على المرأة أن تتولى حراسة قيم المجتمع وتنميتها، فهي التي تقوم على إعداد رأس المال البشري لأي عملية تنمية. "أفادت بعض الدراسات أن تعرض الطفل في السنوات العشر الأولى للعنف داخل الأسرة يضاعف احتمالات تعرضه للمحاكمة بسبب أعمال العنف أو الإجرام خلال السنوات الموالية".³

ونلاحظ في المجتمع الإفريقي قيما تربوية كثيرة لها معناها، ومن الممكن أن تحشد الشباب والنساء لنقل رسالة السلام التي تنطلق من إفريقيا إلى العالم، رسالة ذات تجارب ملموسة.

1- انظر: صحيح البخاري، باب المرأة راعية في بيت زوجها، الحديث رقم: 5200، ج 7، ص 31.

2- انظر: سيرة خليفة قادم، ص 179 وما بعدها.

3-Rapport mondial sur la violence et la sante WHO 2002.





مثلا رمزية الإبرة والخيط: نجد مثلا في قربة العروس أشياء كثيرة منها: الكولا، والملح والسكر وإبرة وخيط. ساهمت هذه العناصر في تربية المرأة، كزوجة أو أم، أو مربية في المجتمع. تشير رمزية الإبرة والخيط إلى دور إصلاح وتقوية الروابط الأسرية والمجتمعية في المجتمع، وهكذا كانت لدى الزوجة مهمة ترقية العلاقات الاجتماعية كما يخيط المرء ثوباً ممزقاً، هذه القيم التربوية لها معناها الكامل اليوم، ومن الممكن أن تحشد الشباب والنساء لنقل رسالة السلام التي تتصاعد من إفريقيا إلى العالم، رسالة ذات تجارب ملموسة.

خاتمة وتوصيات:

لكي يقوم الشباب والمرأة بدورهم في تعزيز ثقافة السلم ونشرها علينا أن نهتم بالأشياء الآتية:

1. **التربية بالقدوة:** يعلمنا القرآن التربية بالقدوة، وَمَنْ أَحْسَنَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِكَيْ يَكُونَ قَدُونًا، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" [الأحزاب: 21]، كما يعلمنا القرآن كذلك أن نوفق بين أقوالنا وأفعالنا وذلك في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ" [الصف: 2]، فليس على المربي أن يقول "افعل ما أقول ولا تفعل ما أفعل"، بل عليه أن يكون قدوة وأن توافق أقواله وأفعاله.

2. **الاهتمام بتمكين المرأة:** في كثير من الأحيان يكون الخطاب الديني حول المرأة مهيناً، لا يسלט الضوء على الحقوق التي



اكتسبتها المرأة مع ظهور الإسلام كدين، فعندما يتم تقييم النساء كجهات فاعلة، يمكن أن يحملن خطاب السلام بصوت عالٍ وواضح.

3. إدماج الشباب والنساء في المبادرات والمؤتمرات المتعلقة بدراسات السلام للتعرف على وجهات نظر من ثقافات متعددة وتبادل الآراء، كما يجب تعزيز المشاركة للشباب في صنع القرارات السياسية.

وختاماً، يمكن القول إن هذا المدى الذي بلغه البحث يفرض علينا السؤال الآتي: إذا كان الشباب والنساء يشكلون عدداً كبيراً في المجتمع فلماذا إذن لا يعطون الفرص لنشر السلم؟

لائحة المصادر والمراجع:

- سيرة خليفة قادم للدكتور أحمد خيرى العمري.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- مجلة السلم، العدد الأول، شتاء 2018.





- مسند الإمام أحمد بن حنبل لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د - عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.

- الموطأ، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: 179هـ) المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبوظبي - الإمارات، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.

- Rapport mondial sur la violence et la sante WHO 2002.







الهجرة غير الشرعية مأساة متكررة ومقاربات إنسانية





ظاهرة الهجرة غير الشرعية

الفقيه إسلامو ولد سيد المصطفى

وزير سابق - موريتانيا

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبيه الكريم

تبعنا لما درج عليه الباحثون والدارسون في أبحاثهم ودراساتهم، من الانطلاق أولاً، من تحديد المفاهيم والمصطلحات، تطبيقاً لوضع التصورات قبل الحكم عليها كما يقول المناطقة:

إدراك مفرد تصوراً علمياً ودرك نسبة بتصديق وسم
وقدم الأول عند الوضع لأنه مقدم بالطبع

فإنني أبدأ هذه العجالة الموجزة عن الهجرة غير الشرعية، قبل بيان حكمها في الشريعة الإسلامية، بتحديد المفاهيم اللغوية، والمصطلحات التوضيحية، فأقول:

أولاً: الهجرة في اللغة هي: اسم من الهجر الذي هو ضد الوصل، كما يقول ابن منظور.

والهجرة الخروج من أرض إلى أرض. قال الأزهري: أصل المهاجرة عند العرب: خروج البدوي من باديته إلى المدن، فكل محل لمسكنه، منتقلاً إلى قوم آخرين بسكناه، فقد هاجر قومه. وكل من فارق بلده من بدوي أو حضري، أو سكن بلداً آخر فهو مهاجر، والاسم منه الهجرة، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي





سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْنِهِ
مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
[النساء: 100]. ومن ذلك ما قام به صلى الله عليه وسلم، من
هجرته من مكة إلى المدينة، وما قام به أصحابه قبل ذلك من
الهجرة نحو الحبشة.

ولا يختلف المعنى الاصطلاحي الحديث للهجرة، عن المعنى
اللغوي الذي ذكرناه، فانتقال شخص أو مجموعة من الأشخاص
من مكان إلى آخر يسمى هجرة، فإن كان الانتقال داخل البلد
الواحدة سمي هجرة داخلية، وإن كان الانتقال إلى بلد خارج
الوطن سمي هجرة خارجية، طبقا للمصطلحات السياسية
والاجتماعية المتداولة.

فالهجرة إذا بمعناها العام، هي سفر يخرج صاحبه من بلد
ليقطع مسافة معتبرة إلى جهة أخرى.

والأصل الشرعي للسفر أنه مباح ما لم يكن لمعصية، فيكون
حراما. أو لطاعة توفرت شروطها فيكون مطلوبا بوحدة من
درجات الطلب، حسب حكم تلك الطاعة وأحوالها وظروفها.
وسنعرف في أي خانة تصنف الهجرة السرية، أو الهجرة غير
الشرعية بعد توصيفها والإلمام بأسبابها.

الهجرة غير الشرعية

شكل ظهور الدول الوطنية والقومية، بما تتضمنه من
مفاهيم الوطن والمواطنة، والقوم والقومية، والدلالات القانونية
والسياسية لذلك كله، منظومة كبيرة من النظريات والمصطلحات،



والعلاقات، إضافة مع ذلك إلى ما شهدته البشرية من تطور علمي واقتصادي، تسبب هو الآخر في صياغة قواميس ثرية، من المفاهيم القانونية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. ومن بين هذه المفاهيم السياسية والاقتصادية والاجتماعية مفهوم الهجرة السرية أو الهجرة غير الشرعية أو الهجرة غير النظامية.

ولعل أوضح تعريفات الهجرة غير الشرعية هو أنها: الدخول إلى بلد بطريقة غير قانونية، أو البقاء فيه كذلك بطريقة غير قانونية، حتى ولو كان دخوله أصلا قد تم بطريقة قانونية.

كما تطلق أيضا على الأشخاص الذين يخرجون من بلدانهم دون اتباع الإجراءات اللازمة عند مغادرتهم لبلدانهم، أو دون الحصول على الشروط والضوابط التي تشترطها دول القصد للدخول إليها، أو حتى تلك التي تشترطها دول العبور نحو الدول المستهدفة بالهجرة.

ومن هنا أطلق على هذا السفر أو هذا النزوح أو هذه الهجرة أنه عمل أو سفر غير شرعي أو غير قانوني.

وتبعاً لما يقتضيه التصرف غير القانوني عادة، من ترتيب جزائي، فإن القائمين بالهجرة غير الشرعية، يبذلون جهوداً مضنية، وينفقون أموالاً طائلة، من أجل الوصول إلى البلد المقصود، بعيداً عن المعابر الحدودية المعروفة، ووسائل النقل الآمنة المعهودة، هرباً من رجال مراقبة الحدود، سالكين طرقاً شديدة الخطورة، مستخدمين كل أنواع التحايل، والتزوير،





مسلمين أنفسهم لعصابات دولية متخصصة، في ممارسة كل أنواع الجريمة الشخصية، والاجتماعية، والدولية.

فالهجرة غير الشرعية إذا تبدأ غالبا بمغامرة يعاقب عليها القانون، وتعرض النفس للهلاك، والمال للضياع، والعرض للهتك، لأنها وكما سبق القول، تبدأ بالخروج من البلاد دون تحصيل شروط الخروج. لذلك فأهلها مرغمون على سلوك طرق برية وبحرية غير مستعملة وغير آمنة، مجتازين منافذ غير قانونية، لمجموعة كبيرة من الدول، ولو سلموا من اقتناصهم من رجال حدود هذه الدولة، لما سلموا من رجال حدود دولة أخرى، مستخدمين مراكب غير خاضعة في أغلبها، لشروط السلامة، مستظهرين بوثائق غالبا ما تكون مزورة، وهويات كثيرا ما تكون منتحلة. مما يعرضهم في أغلب أحوالهم إلى العرق، والموت المباشر، والعطش، والهيمنان في الصحاري المهجورة، مسلمين أنفسهم في هذه المراحل كلها، والأدوار جميعها لعصابات دولية، تمتهن المتاجرة بالبشر، والمخدرات، والسلاح، وغيرها من الممنوعات ذات الخطر المعروف. عصابات تطبعها القساوة، والشدة، بل والهمجية، فيعذبون أبدانهم، ويأخذون أموالهم، ويهتكون أعراضهم. وقد يصل بهم الأمر كثيرا إلى بيعهم، واسترقاقهم، واستغلالهم. إلى غير ذلك من جميع الإهانات والإذلال والاستعباد، ساديين عنهم جميع طرق الذهاب والإياب، مستخدمينهم رهائن، ومصادر عيش، ولذة، إلى أجل غير مسمى.





أسباب الهجرة

بما أن معرفة الأسباب معينة على التأويل، فإنه يحسن بنا أن نلم ولو قليلا بالأسباب العامة للهجرة عموما، وعلى بعض أسباب الهجرة غير الشرعية خصوصا.

فمن المعروف المسلم به أن الحراك الإنساني الدولي، في القرون الثلاثة الماضية، عسكريا كان ذلك الحراك أو سياسيا أو اقتصاديا أو حتى علميا، نشأت عنه كيانات وطنية كثيرة، وتنظيمات دولية قارية وإقليمية سياسية وعسكرية واقتصادية جعلت العالم منقسما -عموما- إلى عالمين اثنين متباعدي الأحوال والظروف:

عالم منتصف بالتقدم البالغ في المجالات كلها، يطبعه رغد العيش والاستقرار الدائم، والتطور المنتظم.

إلى جانب عالم يسوده الفقر والتخلف والجهل والاضطراب الدائم كذلك، مما يستلزم -لامحالة- التجاذب المستمر، والتدافع المتشاكس الصاخب، بين العالمين هذين.

عالم يحافظ على التميز، والتقدم المتصاعد، واحتكار أسباب الرفاه. وعالم يطمح إلى الحياة الكريمة، بل وحتى مطلق الحياة الإنسانية، مدفوعا بطموح إنساني مشروع، تسنده مظالم تاريخية، وأحقاد استعمارية دفيئة.

هكذا إذا هي الحالة الإنسانية العالمية، دول ترتع وتشبع، وجيوشها تدفع وتمنع، إلى جنب شعوب تخنع، وبطون تتضور، وعيون تدمع.





تلك هي الخلفية الحقيقية للهجرة السرية، والدوافع الموضوعية لموجات النزوح البشرية غير المنظمة، والتي عرفت بمسمى الهجرة غير الشرعية والهجرة غير القانونية والهجرة السرية.

من هنا فإنه يجب على جميع الدول التي تنطلق منها الهجرة غير الشرعية أن تتخذ جميع الأسباب لمنعها لا برجال الأمن والحدود فقط، بل وبالتنمية الاقتصادية، المحلية والوطنية، فذلك هو العلاج الحقيقي والنهائي للقضاء على الهجرة غير الشرعية، علما بأن التنمية الوطنية ضرورة من ضرورات الحياة الوطنية.

الهجرة غير الشرعية في الميزان الشرعي

من المعروف المسلم به أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان لعبادته ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أَرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أَرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: 56-58].

وأنه سبحانه وتعالى كرمه وفضله على كثير من خلائقه كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70].

وجعله خليفته في الأرض، لتعميرها، وصلاحتها، كما قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ



وَتُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: 30﴾، وكما قال تعالى ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: 61].

وهكذا وضمن مقاصد خلق الإنسان هذه: عبادة الله تعالى والاستخلاف في الأرض، وتعميرها وانتظام أحوالها، وتكريمه هو وتفضيله على كثير من خلق الله سبحانه وتعالى. جاءت الرسل تترى واحدا بعد واحد، لتحدد السبل، وتبين الشرائع والمناهج، محرمة تارة، خوفا من المفسدة، أو درءا لها، ومحللة تارة أخرى، مراعاة لمصلحة أو جلبا لها.

ومع أنهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، جاءوا بمناهج مختلفة، وشرائع متفرقة، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: 48] فإنهم أجمعوا صلوات الله وسلامه عليهم، على وجوب حفظ بعض المبادئ الجوهرية، والقضايا الضرورية لسياسة العالم وبنائه، واستمراره وانتظام أحواله. وهذه المبادئ الإنسانية والقضايا الضرورية، هي التي تجعل الحياة مستقيمة، آمنة مستمرة، بل ويستحيل وجودها بدونها. كما يقول علماء مقاصد الشريعة الإسلامية.

وقد أطلق علماء مقاصد الشريعة الإسلامية على هذه المبادئ: **الضروريات الخمس أو الست**. ويأتي على رأسها:

1 - **حفظ الدين** لما يحققه ذلك من السعادة الأبدية. ومن أدلة ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ﴾ [التوبة:





[111].

2 - **حفظ النفس:** ثم يأتي في الدرجة الثانية بعد الدين حفظ النفس البشرية، لأنها هي الغاية والوسيلة. و من أدلته قوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32]، و قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ [النساء: 92].

3 - ويأتي في الدرجة الثالثة من هذه المبادئ حفظ العقل، لأنه مناط التكليف والفارق الجوهرى بين الإنسان والحيوان. ويحتل حفظ النسب الدرجة الرابعة، بينما يأتي المال في الدرجة الخامسة. وأخيرا يأتي العرض في الدرجة السادسة عند من يقول به، وقد عقد شيخ مشايخنا سيد عبد الله بن الحاج إبراهيم عليه رحمة الله هذه المقاصد مرتبة في ألفيته الأصولية بقوله في "مراقي السعود":

دين فنفس ثم عقل نسب مال إلى ضرورة تنتسب
ورتبنا ولتعطفن مساويا عرضا على المال تكن موافيا
فحفظها حتم على الإنسان في كل شرعة من الأديان
وتفاوتت هذه المبادئ أو هذه الضروريات نابع من تفاوت ما
يرتبه الشارع على الإخلال بها، من الأضرار العامة والخاصة،
إضافة إلى درجة الآثام المترتبة على الإخلال بها، من حيث
الصغائر والكبائر، ودرجة العقوبة.

وقد انتزعت هذه المبادئ والضروريات، من استقراء الشريعة



ونصوصها كقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِهْتَانٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الممتحنة: 12].

وقد ذكرت آية عباد الرحمن ثلاثة من هذه المبادئ أو الضروريات متوالية في قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: 68]

وما يهمننا التركيز عليه في الوقت الحالي هو إطباق الرسائل السماوية، وإجماع العقول البشرية على وجوب حفظ النفس، لأنها كما قلت هي الغاية والوسيلة، لذلك جاء وجوب حفظها في الدرجة الثانية بعد حفظ الدين لتوقف السعادة الأبدية على حفظه.

مع أن حفظ النفس جاء مقدا على حفظ الدين -ظاهرا على الأقل- في بعض الحالات، كالتلفظ بالكفر، مع انعقاد القلب على الإيمان، حفاظا على النفس البشرية وذلك في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: 106]

ووجود حفظ النفس في الدرجة الثانية من المقاصد العامة للتشريع الإسلامي جاء معززا أيضا بالنصوص الجزئية كتابا وسنة وإجماعا.

فالقرآن الكريم عبر عن تهويل قتل النفس بعبارة لا مزيد





عليها في بيان الفظاعة، وهي قوله تعالى ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: 32] ولا يمكن لأحد أن يتردد في أن هذه الفظاعة المعبر عنها في الآية لقتل النفس، تكون أشد وأفظع، إذا أوقعها الشخص بنفسه مباشرة، أو بسبب غالب، لاسيما وأن النهي عن ذلك هو منطوق قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29].

وإذا كان النهي في الآية الكريمة يتجه - منطقيا من حيث الأصل - إلى النهي عن قتل الشخص غيره، لأنه من غير المعهود أن يقتل الشخص نفسه، لأن النفوس مجبولة على حب البقاء. فإنه يشمل - لا محالة بالأحرى - النهي عن قتل الشخص نفسه مباشرة، أو بالتفريط في تحصيل أسباب الحياة، أو بارتكاب المخاطر المؤدية إلى الهلاك غالبا، ما لم يوجد مقتضى شرعي، مقدم على حفظ النفس، مع تحقق جدواه في ذلك التقديم، وإلا كان استهتارا أو عبثا بالنفس البشرية.

وتتأكد صحة هذا المعنى، بعد تقرير النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاستدلال بهذه الآية، في تركه لاستعمال الماء في ظرف رأى فيه أنه سيضر به. فقد جاء في سنن أبي داود والحاكم عن عمرو بن الخطاب رضي الله عنه، قال: احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل، فأشفقت أن أعتسل فأهلك، فتيمنت ثم صليت بأصحابي الصبح، فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال يا عمرو، صليت بأصحابك الصبح وأنت جنب، فأخبرته بالذي منعني من





الاجتنال، وقلت إني سمعت الله يقول ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: 29].

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً. وفي رواية قال: لو اغتسلت مت. وفي الرواية التي جاء بها البخاري معلقة (فلم يعنف)¹.

قال الإمام أبو عبد الله القرطبي عند تفسيره لهذه الآية: أجمع أهل التأويل على أن المراد بهذه الآية النهي أن يقتل بعض الناس بعضاً، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل في الحرص على الدنيا وطلب المال.

بأن يحمل نفسه على الغرر المؤدي إلى التلف - قال - ويحتمل أن يقال ولا تقتلوا أنفسكم في حال ضجر أو غضب، فهذا كله نتناوله الآية.

وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هَلْؤَلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ [البقرة: 84-85] - قال المراد بهذا الميثاق بنو إسرائيل، ودخل فيه بالمعنى من بعدهم عند قوله تعالى ﴿أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: 65]، قال ابن خويزمناد: يجوز أن يراد به الظاهر، ولا يقتل الإنسان نفسه، ولا يخرج من داره سفهاً - إلى أن قال: فهو عموم في ذلك كله.

1 - الفتح 1 / 454





وتكون الآية أدق دلالة على أمواج الهجرة غير الشرعية في قراءة الحسن (تقتلوا) على التكثير، وهو ما يحصل فعلا في الأمواج البشرية في الهجرة غير الشرعية.

ويأتي قوله تعالى ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: 195] أكثر شمولا وصراحة في النهي عن التسبب في قتل النفس بعدم اتخاذ الحيطة، والتدابير الكافية التي تضمن حفظ النفس، لاسيما وقد اتجه أغلب المفسرين إلى أن الآية نزلت إرشادا وتوجيها وتوضيحا للمجاهدين، بأن أمرهم بالقتال في قوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 190] لا يعني التهور، ولا حتى التقصير في وجوب توفير أسباب حفظ النفس، لأنهم قد يكونون في حالة من الاستعداد تدفعهم للتضحية البالغة، انتظارا للمثوبة، وتوقعا للنصر الموعود به. فنهوا عن الاعتماد على ذلك. وإلقاءهم لأنفسهم إلى التهلكة. بسبب عدم التحضير المناسب، من حيث الزاد، والعدة، والخطة، فنهوا عن التهور والجرأة غير المدروسة، في ميدان القتال.

وإذا كان الأمر بالجهاد في سبيل الله، المعد أصلا لإتلاف النفوس، مقابل الجنة، يرافقه هذا النهي الذي يأخذ معنى التحذير من إلقاء النفس في التهلكة، فمن باب أولى أن يتم النهي عن الإلقاء بالتهلكة في غيره من الأنشطة، التي لا تعدو أن تكون سعيا لتحصيل المال لا لحفظه.

ومع أن المفسرين يختلفون في سبب نزول الآية، أي في النوع المقصود أصلا من الإلقاء بالتهلكة - هل هو ترك الجهاد



والاشتغال بتنمية المال كما ورد عن جابر بن عبد الله -أم هو الاقتحام على كثير من الجنود لا قبل لأحد بهم، فإنهم لا يختلفون في شمول النهي لكل أنواع الإلقاء بالنفس في التهلكة.

قال أبو عبد الله القرطبي بعد أن ذكر كثيرا من الأقوال في الموضوع.

قال الطبري: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) عام في جميع ما ذكر لدخوله فيه إذ اللفظ يحتمله.

وقد سار الفقهاء على هذا التوجه في أبواب الضمان والجهاد والجنایات والحج والطهارة وغيرها من أبواب الفقه، واتبعهم في ذلك علماء قواعد الفقه، لأن العبرة كما يقول الأصوليون بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. والمتسبب في الشيء كفاعله في أغلب أبواب الفقه.

فالمسبب -إذا- في إتلاف نفسه أو غيره ضامن لها، أثم عند أغلب الفقهاء -إن لم يكن- عند عامتهم. والسعي في إبقاء النفس البشرية حية، ولو بضعة دقائق واجب حتى ولو كان الموت محققا، لذلك نص العلماء في باب الجهاد على أن المجاهد إذا كان في حال لا ينفك عنه الموت، أنه يجب عليه أن يختار الحال الأطول بقاء في الحياة. قال في المختصر: وانتقال من الموت لآخر ووجب إن رجا حياة أو طولها. وقال في الحج والبحر كالبر إلا أن يغلب عطبه.

فالهجرة السرية -إذا- بما هو معروف من خطرها المحقق أو





الغالب على النفس والمال والكرامة الإنسانية، لا يشك من له مسكة من علم أنها محرمة قطعاً. لما فيها من تعرض للهلاك والإذلال والضياع وانتهاك العرض، كل ذلك يضاف إلى انعدام جَدْوَاهَا في أكثر الأحوال أو أغلبها إن لم يكن في كل الأحوال.

لذا فإن واجب القيادات الدينية، والنخب الثقافية، وحملة الأقلام الصحفية، والقيادات التربوية، والرموز الاجتماعية، بذل كل طاقاتهم واستنفاد كل جهودهم لتبيان حرمة النفس البشرية، ومخاطر الهجرة غير الشرعية. وأن تركز تلك الجهود على شريحة الشباب خاصة، التي هي القوة الدافعة لتيار الحياة، والتي هي نصف الحاضر وكل المستقبل - كما يقولون - لما حباها الله به من طاقة وقوة وحيوية ونشاط، فترشيدها أمان للأمة، وضمان للمستقبل، ولكي يتحقق ذلك، فإنه يجب فهم واقعها، واحترام آمالها، ومقاسمتها مشاعرها وآمالها، فكما هي نفورة، فإنها أيضاً أوفى، تستهويها القدوة الحسنة، وتمتلكها الثقة والأخوة والعاطفة، وينبغي أن تستخدم جميع وسائل الاتصال، في تحبيب العمل إليها، وتفتح الآفاق أمامها، لأن انحرافها مزلة اجتماعية، وكارثة وطنية، ومصيبة اقتصادية.

وينبغي أن يستخدم في تثقيفها وترشيدها، التأصيل الشرعي، واستدعاء تاريخ شباب السلف الصالح، وما قام به شباب الصحابة - خصوصاً - من أدوار إيجابية في الدعوة والجهاد، والعلم والتعليم.

وهذه المهمة يقع أساسها على العلماء والأئمة والدعاة



والكتاب والصحفيين والمستنيرين من كل فئات المجتمع.
نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا في الأقوال والأفعال،
وأن يجعلها كلها خالصة لوجهه الكريم، إنه على ذلك قدير
وبالإجابة جدير.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.الفقيه: اسلم بن سيد المصطف
نواكشوط بتاريخ: 30 يناير 2022







إفريقيا قارة المستقبل





دور التعليم في مقاومة

الإرهاب في إفريقيا

أ.د. عطيه محمود محمد الطنطاوي

قائم بأعمال عميد كلية الدراسات الإفريقية العليا

- جامعة القاهرة

تعاني القارة الإفريقية الكثير من المشكلات رغم ما تكتنزه من موارد طبيعية وبشرية تكاد تكفي سكان الأرض قاطبةً، فالقارة التي تبلغ مساحتها نحو 30.3 مليون كم²، ويستوطنها نحو 1.4 مليار نسمة، ثلثهم من الشباب القادر على العمل، تكتنز في باطنها أثمان المعادن كالماس، والذهب، والنحاس، واليورانيوم وغيرها، وتتنوع على أرضها النباتات والحيوانات. وتباين أشكال السطح فيها من جبال، وهضاب، ووديان، وخلجان، وبحيرات، وأنهار، وواحات، وأخاديد، إلى جانب تنوع الظروف المناخية، وتوافر موارد المياه والطاقة وغيرها من مقومات الحياة الكريمة؛ توصف بأنها بيئة خصبة للأمراض والأوبئة، والجهل، والبطالة، ناهيك عن آفة العصر المتمثلة في ظاهرة التطرف والإرهاب التي لا تخلو منها دولة إفريقية. وإن كان للاستعمار على -اختلاف أشكاله وممارساته- دور فيما آلت إليه أوضاع القارة، فإن اللائمة تلقى على الأفارقة أبناء القارة أنفسهم؛ ذلك أنهم القادرون على حل مشكلاتهم، وتحقيق





أمنهم الإنساني بأبعاده المختلفة، وهم القادرون أيضاً على دحر الإرهاب، ومحاربة التطرف؛ بمقاومة الجهل، وزيادة الوعي، ونشر التعليم، والتخلي عن النزاعات القبلية والجهوية، والحيلولة دون هجرة العقول.

وقد حثت الأديان كافة على فضيلة العلم، وفضله، والدين الإسلامي- على سبيل المثال- يقوم على العلم، والتدبر وإعمال العقل، ويرفض الضلالات، والأوهام والتطرف؛ حيث بدأ الوحي بالحديث عن قضية العلم ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1-5]. كما نزل الوحي بالكثير من الآيات التي تمجد العلم وتتحدث عن فضله كقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: 9]، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة). ولما كان التعليم أحد الحقوق الأساسية للإنسان، بغض النظر عن عرقه أو نوعه أو جنسيته أو ديانته أو لونه أو حتى إعاقته، جاءت أجنحة الاتحاد الإفريقي 2063 بطموحاته السبعة الكبرى معبرة عن حق الإنسان الإفريقي في التعليم الجيد ومؤكدة على دور التعليم في بناء الإنسان والنهوض بالبلدان. ومما لا يختلف



عليه اثنان، أن الإنسان المتعلم يختلف عن غيره من حيث طريقة التفكير، والقدرة على النهوض بمجتمعه، والحفاظ عليه، ناهيك عن أن التعليم يساعد الإنسان في تحقيق أهدافه، وأمانيته، والارتقاء بمستوى معيشتهم، بل وتحقيق قدر كبير من الرفاهية. وكما يقول نيلسون منديلا: إن التعليم هو السلاح الأقوى القادر على التغيير. إن الهدف الأسمى للتعليم هو بناء مجتمع سليم يفهم قضاياها، ويوظف المعارف والعلوم من أجل إيجاد حلول لمشكلاته وتوظيف أمثل لموارده وثرواته وضمان مستقبل أجياله، وعليه فإن الحصول على تعليم جيد يعد بمثابة ضمان لتحقيق التنمية المستدامة بكافة أشكالها ومستوياتها.

وإن كان للتعليم دور أساسي في التصدي للفكر المتطرف ومقاومة الإرهاب، والقضاء على الفقر وتحسين مستوى المعيشة، فإنه له دور فعال أيضاً في محاربة التعصب والقبلية، وتحقيق العدالة والمساواة في المجتمع، واحترام المرأة وتمكينها، والحد من الجريمة والبطالة، ومحاربة الأمراض كالإيدز والملاريا، ومظاهر الانحراف، والتفكك الاجتماعي، وغيرها من المشكلات والآفات التي تكاد تفتك بإفريقيا بشراً وحجراً.

وعلى الرغم من التحديات التي تواجه التعليم في إفريقيا، ولاسيما في المجتمعات الفقيرة، إلا أنه هو القادر على مجابهة التطرف ومحاربة الإرهاب؛ لأن الخلايا الإرهابية لا تنتشر إلا في الظلام، ولا تنمو إلا بين الجهلاء وأنصاف المثقفين. ويمكن القول إن الدول الإفريقية الأقل تحقيقاً لانتشار التعليم هي الأكثر





معاناة من الإرهاب وانتشار التطرف دون غيرها. وكما يتردد أنه إذا كان السلاح قادر على قتل الإرهابيين فإن التعليم قادر على اجتثاث الإرهاب. وتأسيساً على ما سبق، تأتي هذه الورقة في محاولة لإلقاء الضوء على دور التعليم في مقاومة الإرهاب في إفريقيا، وذلك من خلال المحاور الخمسة الآتية:

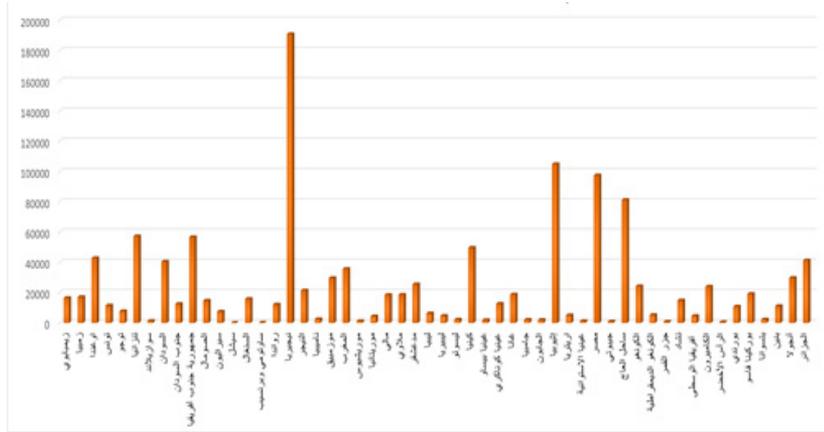
المحور الأول: أهمية الأمن الإنساني والسلم في القارة الإفريقية

تستحق ظاهرة الإرهاب الدراسة والبحث؛ لأنه من القضايا الخطيرة التي تهدد المجتمعات في كافة المجالات؛ وذلك لمعرفة أسبابها ودوافعها وآثارها على الأمن والسلم الاجتماعي وعلى التعايش بين كافة فئات المجتمع. كما أن الإرهاب بات يهدد الأمن والاستقرار في مناطق متعددة، ولم يفرق بين بلاد فقيرة أو بلاد غنية ولا بلاد نامية أو متقدمة، فهو يهدد كيان بعض المجتمعات في وحدتها الوطنية، ويفجر الصراعات بين أبناء الوطن الواحد، مما يؤدي إلى تعطيل حركة التقدم والنمو، ومن ثم فهو يمثل تحدياً كبيراً أمام التنمية المستدامة التي تنشدها المجتمعات البشرية كافة.

ورغم أن الإرهاب له تاريخ مع القارة الإفريقية- التي يستوطنها نحو خمس سكان العالم 1.4 مليار نسمة وتنبأين أعداد السكان من دولة إلى أخرى (شكل 1)- إلا أنه يمثل مصدراً للقلق والاضطرابات بل أصبحت القارة بيئة خصبة لنمو الإرهاب والحجم الذي يتزايد به أصبح أمراً صعباً بسبب عوامل عديدة من



بينها: الأصولية الدينية، والتوترات القبلية والعرقية، وتنامي عدم الاستقرار الإقليمي والسياسي، بالإضافة إلى أيديولوجيات الجماعات المتطرفة التي تمارس الضغط من أجل إنشاء ولايات جديدة بدلاً من القديمة، ومن الأمثلة على هذه الجماعات المتطرفة في نيجيريا، وحركة التطرف في الصومال¹. وقد أشار تقرير مؤشر الإرهاب العالمي لعام 2020 إلى أن بعض الجماعات المتطرفة في نيجيريا تعد ثاني أكبر جماعة دموية على مستوى العالم يليها بعض الحركات الجهادية في شرقي إفريقيا.



شكل 1: حجم السكان في الدول الإفريقية

مصدر البيانات: African Statistical Yearbook,

2018,P.57

ومع مطلع الألفية ظهرت موجة جديدة من الأزمات المثيرة

1-SIMPLICE A. ASONGU and JACINTA NWACHUKWU, 2017, The Impact of Terrorism on Governance in African Countries World Development Vol. 99, pp. 253–270, 2017 Elsevier Ltd





والمتعلقة بالهجمات الإرهابية والعنف العرقي والأوبئة والركود الاقتصادي المفاجئ، في ظل سياسات قائمة ليست قادرة على مواجهة هذه الأزمات، وتآكل الالتزامات بالقضاء على الفقر والحرمان، وكذلك القدرة على تحقيق الأمن في جميع أنحاء العالم على الرغم من التحديات¹. وأثبتت التقارير أن الهجمات الإرهابية في إفريقيا تزايدت في 2019. فعلى الرغم من أن الاهتمام والتغطية الإعلامية تميل إلى حد كبير نحو الشرق الأوسط، ووفقاً لمؤشر الإرهاب العالمي (2019) جاءت إفريقيا خلف منطقة جنوب آسيا حيث سجلت إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ثاني أكبر عدد من الوفيات الناجمة عن الإرهاب، متجاوزة منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا التي تحتل الآن المرتبة الثالثة. وتم الإبلاغ عن ست حركات سجلت أكثر من 100 حالة وفاة باعتبارها نشطة في المقام الأول في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وقد سجلت إفريقيا مقتل 559 شخصاً نتيجة لاضطرابات داخلية وأعمال إرهاب خلال شهر أكتوبر 2021 فقط، وكانت النسبة الأكبر منهم في شرقي القارة بسبب تزايد نشاط بعض الحركات الإرهابية في الصومال. وجاءت منطقة غربي القارة الإفريقية في المرتبة الثانية نظراً للهجمات المتتالية للتنظيمات الإرهابية، بينما اعتبرت منطقة شمال إفريقيا الأكثر

1- Commission on human Security, human Security Now, New York,2003, P.4, ccessed:112019/11/, <http://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/91BAEEDBA50C6907C1256D19006A9353-chs-security-may03.pdf>.com





هدوءاً¹. وجاءت نيجيريا في المرتبة الثالثة عالمياً في الخمس سنوات الأخيرة متأثراً بالإرهاب وجاءت مالي في المرتبة الحادية عشر تلتها بوركينافاسو في المرتبة الثانية عشرة².

ويوجد سببان جعلتا من البيئات الإفريقية أكثر جذباً للإرهابيين على عكس القارات الأخرى أولهما غنى القارة بالموارد الطبيعية؛ حيث إنها تمتلك 30% من الاحتياطات المعدنية العالمية كما تشكل احتياطات النفط المؤكدة في القارة حوالي 8% من الاحتياطي العالمي³. ويمكن أن يتحقق الاستقرار والأمن إذا تحقق نمو اقتصادي ملموس يستطيع أن يسهم في الحد من الفقر والبطالة والتضخم، ومن شأن ذلك دون شك المساهمة الفاعلة في تحقيق السلم والأمن، حيث إن تدني وتراجع الاقتصاد وارتفاع معدلات البطالة والفراغ لدى شريحة اجتماعية كبيرة يؤدي إلى زيادة معدلات الجريمة وإعطاء فرصة للجماعات الإرهابية لتجنيد عدد أكبر من الشباب ومن ثم الاستياء العام الذي يهدد الاستقرار الاجتماعي. ويمثل إقليم الساحل الإفريقي فضاءً خصباً للعمليات الإرهابية بسبب مجموعة من العوامل الطبيعية كالموقع الجغرافي الحبيس لمعظم دوله وضعف

1 - محمد فرج 2021، تقرير يرصد بؤر العنف والإرهاب في إفريقيا، سكاى نيوز عربية 10 نوفمبر، القاهرة.

2-Institute for Economics and Peace, 2000, Global terrorism Index measuring the impact of terrorism, Sydney.

3- Kazeem Bello Ajide and Olorunfemi Yasiru Alimi, 2021, Environmental impact of natural resources on terrorism in Africa, Resources Policy 73 (2021) 102133, www.elsevier.com/locate/resourpol





الموارد الطبيعية وانتشار الصحاري وأيضاً بسبب بعض العوامل البشرية كانتشار الفقر والأمية والبطالة وهروب الإرهابيين من كل مكان إلى هذه المنطقة. بالإضافة إلى التعاون والتنسيق بين الجماعات الإرهابية يساعدهم على ذلك التقدم التقني في مجال الاتصال.

وثمة عامل آخر له دور كبير في تفشي الإرهاب خاصة في المدن، ألا وهو زيادة تعداد سكان الحضر، وانتشار العشوائيات، ومدن الصفيح وما ينتج عنها من ازدحام حيث يهاجر إليها الكثير من أهل الريف سعياً وراء الرزق دون تخطيط. وقد زادت جائحة كورونا من تفاقم الأوضاع المعيشية في القارة حيث أثرت على الأمن الإنساني بأبعاده المختلفة. وأكد انتشار هذا الوباء عالمياً على أهمية الأمن الصحي كبعد من أبعاد الأمن الإنساني؛ ذلك أن الوباء لم يفرق بين دول غنية وفقيرة، بل كان انتشاره أشد شراسة في المجتمعات المتقدمة، والدليل على ذلك أن الولايات المتحدة تأتي في المرتبة الأولى من حيث أعداد المصابين وأعداد الوفيات. ونظراً لأن معظم سكان القارة من المزارعين والرعاة (شكل 2)، التي تعتمد مباشرة على الظروف البيئية لإنتاج غذائها يزداد تعرض السكان إلى انعدام الأمن الإنساني وتكون هذه المجتمعات عرضة للبحث عن مصادر بديلة لكسب العيش مثل الانضمام إلى الميليشيات. ويوضح شكل 2 أن نسبة البالغين في المجتمعات الريفية من الأميين الذين لا يعرفون القراءة أو الكتابة.



إن أشد ما يهدد المجتمعات الإفريقية هو الصراعات الداخلية على الموارد المتاحة في ظل تهديدات بيئية كالجفاف والفيضان والتصحر والتلوث وغيرها، وارتفعت معدلات الفقر بين 30%-40% من إجمالي عدد السكان وتراجع معدلات النمو الاقتصادي لكثير من الدول. تلك التهديدات التي تسبب عدم الطمأنينة للفرد وتتسبب في تشريد ونزوح الأفراد إلى أماكن غير أماكنهم مما يولد صراعات وتمييز بينهم وبين غيرهم، وضعف الأمن المجتمعي، مع تعرض هذه المجتمعات لتهديدات أخرى كالإرهاب والأمراض بالإضافة إلى العولمة التي أثرت سلباً على ثقافات الفرد والمجتمع ومدى انتمائهم لأوطانهم خاصة وأن أغلبهم من غير المتعلمين.

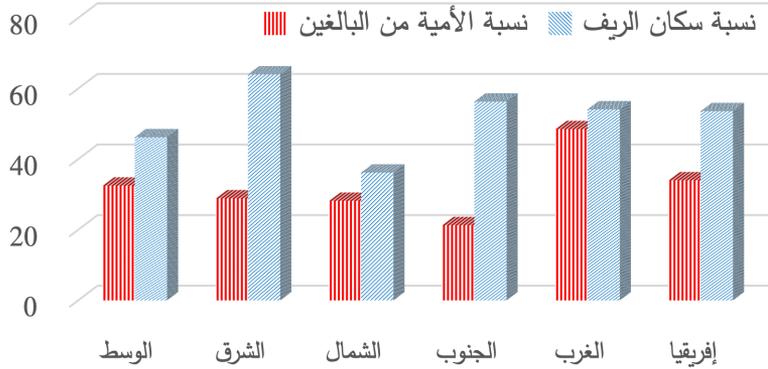
كما أن للأمن الإنساني تأثيراً واضحاً على الاستقرار السياسي في الدول الإفريقية فتوفير الغذاء والمياه والأمن والرعاية الصحية تسهم في الاستقرار السياسي للدولة، وإذا ما وفرت الدولة الغذاء للسكان وضافت سبل المعيشة فسيؤدي انعدام الأمن بل يمكن أن يؤدي الوضع إلى اليأس الاقتصادي وتتفاقم الصراعات القائمة. لذا قد يلجأ الشباب العاطل عن العمل إلى الانضمام إلى الميليشيات العرقية وغيرها من الجماعات المسلحة غير الحكومية. كما أن لتغير المناخ تأثيراً على التمرد والإرهاب والجريمة المنظمة، من خلال خلق ظروف ملائمة لانتشار هذه الجماعات وتشغيلها، ومن خلال المساهمة في

1- WFP, 2014, World Food Programme,





انعدام الأمن المعيشي، والذي يزود هذه المجموعات بمزيد من المجندين المحتملين¹. وقد حذر برنامج الأغذية العالمي، التابع للأمم المتحدة في مارس 2017، حسبما جاء في بوابة الأهرام المصرية بتاريخ 2017/3/14 - أن حوالي 3 ملايين شخص في بوروندي، يواجهون مخاطر انعدام الأمن الغذائي، من بينهم أكثر من مليون شخص، يواجهون انعدام الأمن الغذائي الحاد؛ حيث ضرب الجفاف ثمانية مقاطعات من أصل 18 مقاطعة في بوروندي، مؤثراً على شمالي وغربي وشرقي ووسط البلاد، وعبر حوالي 100 ألف شخص الحدود إلى تنزانيا المجاورة. وكان أهم العوامل الرئيسية الدافعة للنزوح هما الجوع والفقر. ولا شك أن التدهور البيئي يؤدي بشكل عام إلى زيادة التنافس على الموارد والصراع بين المواطنين خاصة على الحدود بين الدول.



شكل 2: نسبة سكان الريف ونسبة الأمية بين البالغين في الأقاليم الإفريقية

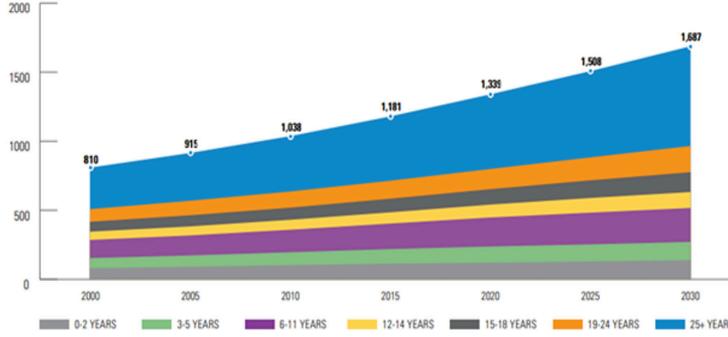
1- Nett, K. & Rüttinger, L. (2016). Insurgency, Terrorism and Organized Crime in a Warming Climate. Climate Diplomacy Berlin: Adelphi.



وتتنوع العوامل التي تساعد على انتشار الإرهاب في القارة الإفريقية، وأهمها الفقر السائد في معظم الدول، وعدم القدرة على مواجهة التهديدات البيئية والأوبئة المختلفة، كما أن الأمية، وما تعنيه هذه الكلمة من جهل وعدم إدراك المخاطر الصحية التي تنتج عن هذه الجوائح وعدم متابعة الأحداث داخليا وخارجيا. كما يوجد عامل مهم وهو ضعف الرعاية الصحية في كثير من الدول الإفريقية. ورغم أن عدد السكان وفئاتهم العمرية (شكل 3)، يعد أحد العوامل إلا أن الكثافة السكانية تعد الأهم، فربما توجد مناطق شاسعة تخلو من السكان كما في ليبيا حيث أن أكثر من 90% من مساحتها صحراء خالية من السكان. وتعد الزيادة السكانية كما يبينها شكل 3 من العوامل التي تضغط على الموارد المتاحة حيث زاد عدد سكان القارة من 810 مليون نسمة عام 2000 إلى 1.4 مليار تقريبا في 2020 ثم من المتوقع أن يصل العدد إلى 1.9 مليار نسمة في 2030 مما يؤثر على زيادة معدلات الفقر.

1- <https://africacenter.org/ar/spotlight/mapping>





شكل 3: حجم السكان في القارة الإفريقية وفئاتهم العمرية بالمليون نسمة¹

المحور الثاني: التعليم ومدى انتشاره في دول القارة (مراحله-

أنواعه)

تحدد منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) الشخص المتعلم بأنه الشخص الذي يستطيع القراءة والكتابة ويعطي بياناً قصيراً وبسيطاً عن حياته. ونظراً لتأثير الأمية على الفقر والصحة والمواطنة والتمكين، تتحسن معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة على مستوى العالم، ولكن من حيث الأعداد الأولية، فهناك عدد أقل من الأشخاص الذين يعانون من الأمية مقارنة بما كان عليه الحال قبل 20 عاماً. وفي أفريقيا جنوب الصحراء زادت معدلات معرفة القراءة والكتابة بين الشباب (الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عاماً) على مدار العشرين عاماً الماضية؛ مما يشير إلى أن معدلات معرفة القراءة والكتابة للبالغين ستزداد مع نمو هؤلاء الشباب. ورغم أن

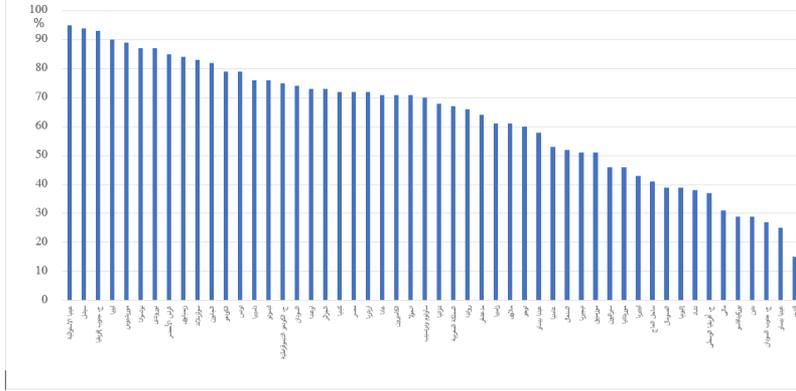
1-UN world population prospect, 2019 revision



معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة بين الشباب في أفريقيا جنوب الصحراء بلغت نحو 70٪ في المتوسط عام 2011 (شكل 4) إلا أنها كانت هي الأدنى بين أي منطقة أخرى في العالم. وقد تحسنت المعدلات بنسبة 10٪، لكن هناك تفاوت في مدى معرفة القراءة والكتابة بين النساء والرجال، ففي حين أن 7 من كل 10 رجال يمكنهم القراءة، فإن نصف النساء فقط يمكنهم القراءة. ويعد أحد أكبر العوائق التي تحول دون زيادة محو الأمية هو نقص الكتب خاصة في المناطق الريفية¹. وقد شهد التعليم في قارة إفريقيا العديد من التحولات، ومر بالعديد من المنعطفات، بيد أن المتابع للحركة التعليمية في إفريقيا يستطيع أن يقسم مراحل التعليم في إفريقيا إلى مراحل ثلاث رئيسية هي: مرحلة ما قبل الاستعمار، ومرحلة الاستعمار، ومرحلة ما بعد الاستعمار. ينتشر في قارة إفريقيا نوعان من التعليم أحدهما التعليم المحلي (الديني) المنتشر في الكتاتيب والمساجد والكنائس وغيرها، والآخر التعليم الحديث المتعارف عليه في المدارس والجامعات. وتختلف مواقف الحكومات الإفريقية من التعليم المحلي، لكن الغالب هو الموقف السلبي المتمثل في عدم الاعتراف به.

1- UNESCO Institute for Statistics. "Adult and Youth Literacy" UIS Fact Sheet. September 2014



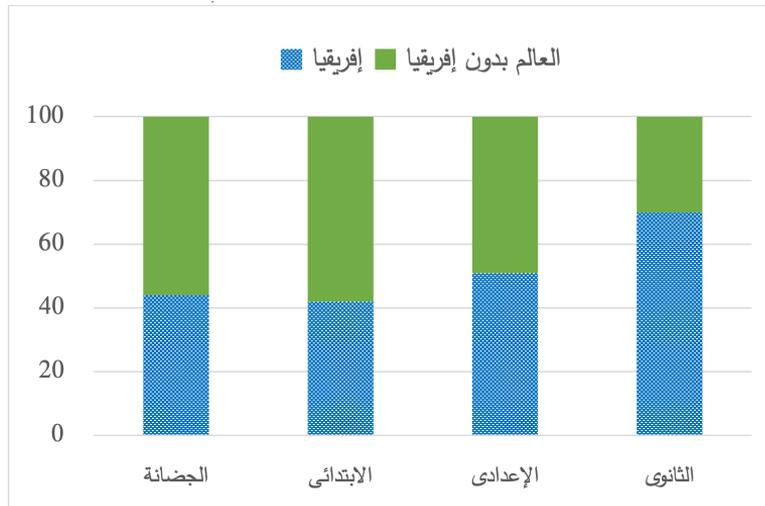


شكل 4: معدلات الإلمام بالقراءة والكتابة في الدول الإفريقية

ونظراً لفقر البنية التحتية كالمياه والكهرباء والمواصلات، وضعف جودة التعليم، وترك المعلمين لوظائفهم، وضيق الفصول، وارتفاع كثافتها فإن أكثر من نصف الأطفال من 6-11 سنة لا يدخلون مدارس في إفريقيا؛ حيث يتجاوز متوسط حجم الفصل 70 تلميذاً في ملاوي، وأكثر من 50 تلميذاً في جمهورية إفريقيا الوسطى وتنزانيا في المدارس الابتدائية، و40 تلميذاً أو أكثر لكل فصل في أغلبية الدول. وتعاني غالبية الدول الإفريقية من نقص في عدد الكتب المدرسية؛ حيث يتشارك 14 طالباً في نفس كتاب الرياضيات المدرسي في الكاميرون، وخمسة تلاميذ في تشاد وجنوب السودان و 4 في غينيا الإستوائية، بينما يوجد في المتوسط كتاب قراءة واحد لكل طالبين أو أكثر في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. علاوة على ذلك تعاني الدول الإفريقية جنوب الصحراء من ترك بعض المعلمين لعملهم، وتراجع



مستوى البعض الآخر، بسبب التقاعد أو الوفيات أو الهجرة أو غير ذلك من أسباب¹. لذا تزداد نسبة المتسربين من التعليم (شكل 5).



شكل 5: نسبة المتسربين من التعليم ما قبل الجامعي في إفريقيا والعالم

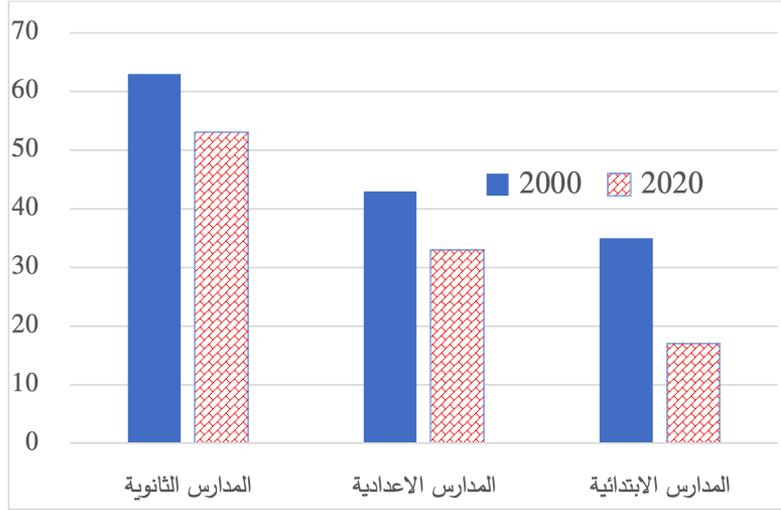
ويوضح شكل 6 أن نسبة المتسربين من التعليم قبل الجامعي في القارة الإفريقية يفوق أي قارة أخرى على مستوى العالم ويزداد العدد مع كبر سن التلميذ فأعلى نسبة تكون بين طلاب الثانوية حيث تصل إلى 70% تقريباً في إفريقيا من إجمالي نسبة التسرب العلمية، بينما تكون أقل في المرحلة الإعدادية وتصل إلى 50% تقريباً، ثم حوالي 42% بين تلاميذ المرحلة الابتدائية في القارة بالنسبة للعالم رغم أن القارة الإفريقية تمثل ما يقرب

1- UNESCO Institute for Statistics, 2016, School resources and learning environment in Africa

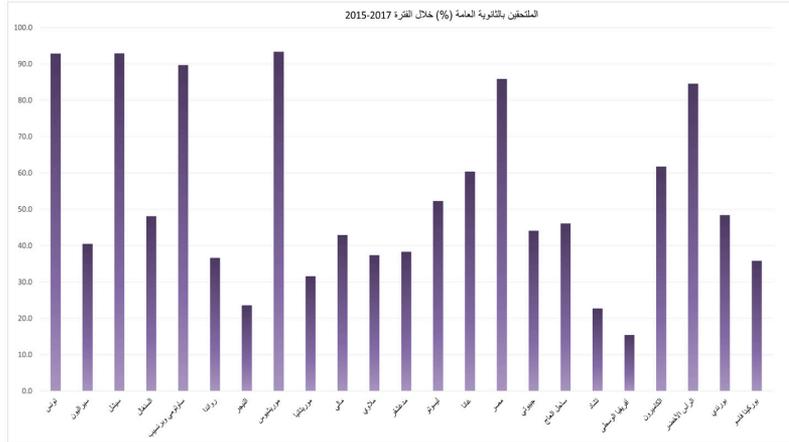




من 20% من سكان العالم فقط.



شكل 6: نسبة المتسربين من مراحل التعليم المختلفة في إفريقيا



شكل 7: نسبة المتحقين بالثانوية العامة خلال الفترة 2017-2015



أما شكل (6) فيوضح بجلاء أن المتسربين من التعليم يزداد أعدادهم في المراحل الثانوية عن المرحلة الابتدائية وهذا يرجع بالأساس للفقر والبحث عن عمل لمساعدة الأسرة. ولكن الأمل وكما يتضح من الشكل أن نسبة المتسربين في جميع مراحل التعليم تقل من عام لآخر. وفي العامين الماضيين كان هناك اعتراف متزايد بأهمية التعليم، وأصبح من السهل الوصول إلى الموارد بفضل التكنولوجيا فائقة التقدم، وتطور وسائل التعليم والتعلم. وقد تطور معدل معرفة القراءة والكتابة العالمي ارتفاعاً كبيراً. ولكن لسوء الحظ لا تشعر كل الدول حول العالم بهذا التطور، ولا يزال العديد من البلدان الإفريقية متخلفاً عن الركب، وتكافح باستمرار لتوفير التعليم المناسب؛ نتيجة لعدة عوامل مثل: السياسات الخاطئة، وضعف البنية التحتية، وصعوبة الوصول إلى المدارس بالإضافة إلى ضعف جودة التعليم. ويوضح شكل (7) مدى التفاوت بين الدول الإفريقية في عدد الطلاب الملتحقين بالثانوية العامة.

المحور الثالث: التحديات التي تواجه التعليم وانتشاره في القارة وكيفية التغلب عليها

إن الإرهاب آفة لاتصيب مكانا دون آخر، ولا يسلم منها شعب دون آخر، ولا تفرق بين الدول أو الجنسيات أو الأديان أو الأعراق، كما أنها ليس لها أوقات معينة، وقد شهدنا الإرهاب يصيب أكثر الدول تقدماً وأقلها نمواً فمن نيس الفرنسية إلى ضفاف التايمز

1- Emeka Nweze, 2018, List of African Countries By Literacy Rate, 2018 Lists.
شكل ng





البريطاني، وصولاً إلى فنلندا البعيدة جداً، وحتى برشلونة، ومن الصومال إلى مالي إلى كينيا وتشاد وليبيا وسوريا والعراق وغيرها. ولا شك أن النتائج واحدة، لكن الأسباب التي تقف وراء الإرهاب متعددة، وترتبط بجملة عوامل، منها الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية، وهي متجددة أو قائمة في المجتمعات التي يسود فيها البؤس ويستشري فيها الجهل، وتتغذى من الفساد.

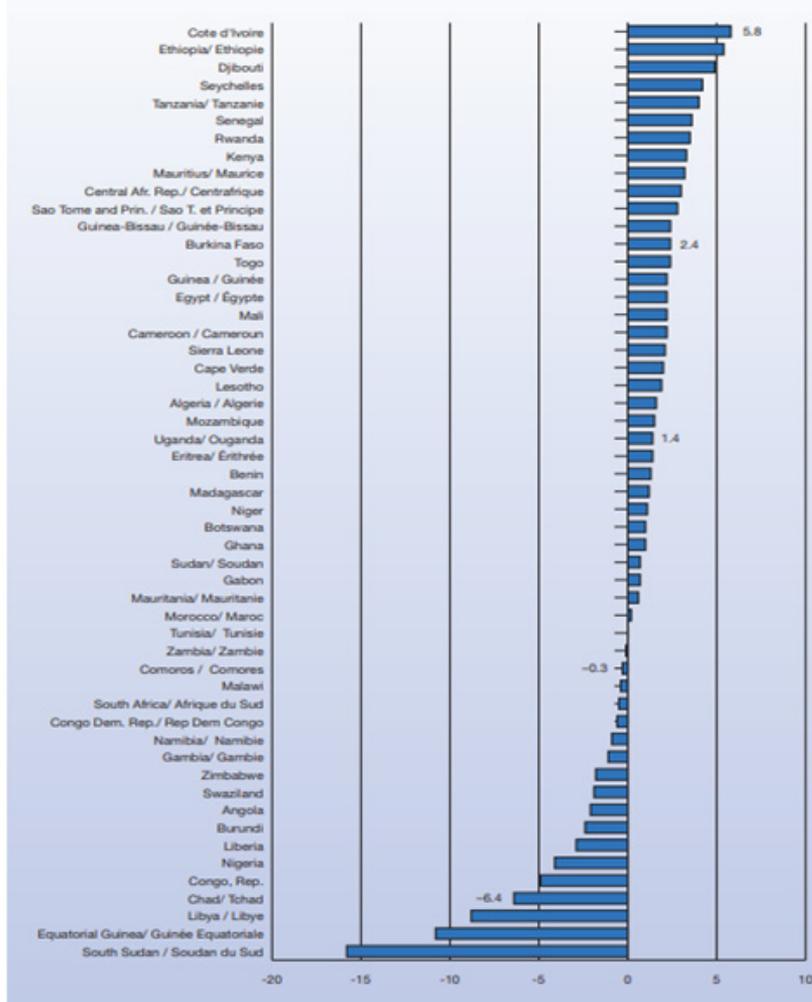
ويستطيع التعليم إذا ما حُسن توظيفه أن يقضي على آفة الإرهاب، فهو سلاح يقاوم الأمية، والفقر، والجهل، وقادر على الوقوف في وجه التطرف والتعصب. ورغم كل الجهود المبذولة من أجل تحسين أوضاع التعليم في ربوع القارة، إلا أن التعليم في إفريقيا مازال يعاني التراجع والضعف مقارنة بقارات أخرى في العالم وذلك للعوامل التالية:

1. **الحالة الاقتصادية:** فبحسب تقارير منظمة اليونسكو حول التعليم في إفريقيا أن أهم التحديات التي تواجه التعليم في أفريقيا التكاليف العالية لنظم التعليم الحالية في بعض البلدان، لا تستطيع بعض البلدان أن تحقق تعميم التعليم فيها. كما أن عدم استجابة نظم التعليم الحالية في أحيان كثيرة للاحتياجات الاجتماعية والمهنية للأفراد والمجتمع. وعدم ملاءمة العديد من نظم التعليم الإفريقية - المنسوخة من نماذج مستوردة - لعادات الحياة الإفريقية وتقاليدها. ويلاحظ من خلال الشكل (8) أن معدل نمو نصيب الفرد من الدخل



القومي ضعيف مثل: النيجر، وموزمبيق، وبنين، وغيرها في معظم الدول الإفريقية بل يكون بالسالب في كثير من الدول مثل سوازيلاند، وبوروندي، وجنوب السودان، وزيمبابوي وغيرها. فضعف المبالغ المخصصة للعملية التعليمية يؤثر على جودتها فالتعليم بحاجة إلى معلمين وعمال ومدارس وجامعات ومعامل ومواصلات وطرق وبنية تحتية داخل المدارس والأطفال بحاجة إلى تغذية وملابس وملعب.



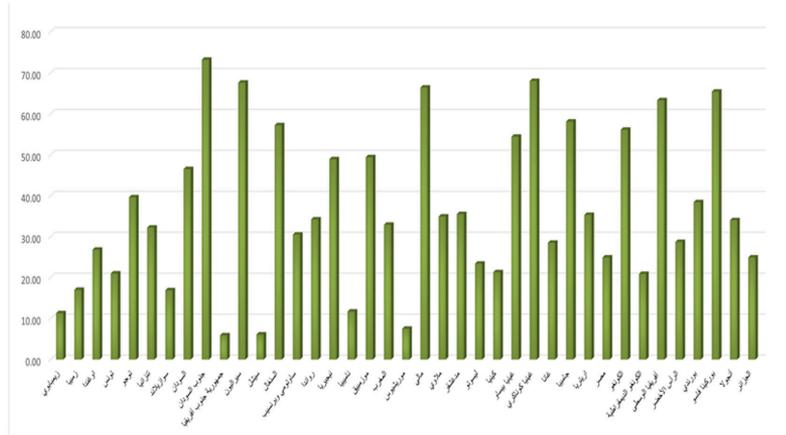


شكل 8: معدل نمو نصيب الفرد من الدخل القومي في الدول الإفريقية

1- Economic and Social Statistics Division of the Statistics Department, 2017, AfDB Statistics POCKETBOOK, African Development Bank, Volume IXX, Abidjan.



ما من شك في أن العامل الاقتصادي، وتردي الأحوال المعيشية لقطاعات كبيرة من السكان في إفريقيا هو السبب الرئيس وراء زيادة أعداد الأميين غير المتعلمين في إفريقيا جنوب الصحراء، حيث تتفاوت أعداد هؤلاء من دولة إلى أخرى (شكل 9)، وذلك حسب إمكانات كل دولة من الدول فنسبة الأمية ترتفع في جنوب السودان، وسيراليون، ومالي، وغينيا كوناكري، وبوركينا فاسو، وأفريقيا الوسطى، والكونغو في حين تقل الأمية إلى حد ما في مصر، وليبيا، وسيشل، وموريشيوس وغيرها.



شكل 9: نسبة الأمية في الدول الإفريقية 2017
2. الأخطار البيئية: التي تتمثل في انتشار الأوبئة، والأمراض، والفيضانات، والجفاف والتي تتسبب في إغلاق المدارس وأماكن

1- African Statistical Yearbook, 2018, P.61.





العبادة وأماكن الترفيه ستؤثر سلباً على جودة الحياة التعليمية، وفي قطاع التعليم سوف تشعر الأسر ذات الدخل المنخفض والمتوسط بالتأثير في كل من المدارس الحكومية نظراً لعدم القدرة على الوصول إلى وسائل تعليمية مبتكرة. وأبرز مثال على الأخطار البيئية هو التغير المناخي، الذي يجعل آفاق المعيشة الريفية المستقبلية غير متوقعة وغير موثوقة، مما قد تؤدي إلى هجرة خارجية إما للبحث عن رزق أوفر أو حدوث المخاطر كالجفاف والفيضان¹.

3. انعدام الأمن الشخصي في كثير من المناطق، ويقصد به حماية الإنسان من التعرض للأذى، والعنف الجسدي، ومختلف التهديدات المتزايدة بسبب العنف المفاجئ وغير المتوقع، والنلش عن الحرب والجريمة وانتهاكات حقوق الإنسان والإرهاب، وأفراد العصابات والتهديدات الموجهة ضد المرأة، وإساءة معاملة الأطفال. وهناك العديد من العوامل من شأنها المساس بالأمن الشخصي من بينها عجز الحكومات عن حماية حقوق مواطنيها من خلال ضعف الآليات الفعالة والكفيلة بضمان النظام العام للمجتمع وضعف هياكل إنفاذ القانون

المحور الرابع: دور التعليم في زيادة الوعي ومكافحة التطرف والإرهاب

تشير نظرية النمو الحديثة إلى أن التنمية البشرية لها تأثير

1-Brown, O. (2008). Migration and Climate Change. IOM Migration Research Series, No.31. Geneva: International Organization for Migration





إيجابي على النمو الاقتصادي، وأن الاستثمار في التعليم يمكن أن يقي المجتمع من الإرهاب، ويزيد من معدل نمو دخل الفرد في البلدان الإفريقية، وبالتالي ارتفاع مستويات المعيشة. وتختلف هذه النتائج عن نتائج لأبحاث سابقة لا تذهب إلى وجود علاقة ذات دلالة بين التعليم العالي ونمو الدخل¹. وهناك عدد من الأسباب النظرية التي تجعل التعليم ذا تأثير في الحد من انتشار الجريمة من خلال ثلاث قنوات رئيسية: تأثيرات الدخل، الوقت والصبر أو النفور من المخاطرة. ففي حالة تأثيرات الدخل يزيد التعليم من عوائد العمل المشروع من خلال رفع معدلات الأجور، ورفع تكاليف الفرصة البديلة للسلوك غير القانوني، بالإضافة إلى ذلك قد يترتب على العقاب على السلوك الإجرامي السجن. فهؤلاء الذين يحققون دخلاً كافياً هم أقل عرضة للانخراط في الجريمة، ناهيك عن كون التعليم يرفع مستويات المهارة ومعدلات الأجور، ومن ثم يساهم في خفض معدلات الجريمة. وفي بعض المجتمعات الأقل دخلاً توجد بعض الأدلة على أن التعليم يمكن أن يزيد من معدلات الجريمة ولكن بصفة استثنائية وليست عامة، فقد يتم استخدام ما تعلمه الطالب في المدرسة بشكل غير مشروع وغير أخلاقي وفي أنشطة إجرامية، مما يعني أن التعليم ربما قد يكون ذا تأثير إيجابي في ارتفاع

1-KWABENA GYIMAH-BREMpong, OLIVER PADDISON, and WORKIE MITIKU, 2006, Higher Education and Economic Growth in Africa, Journal of Development Studies, Vol. 42, No. 3, 509–529, April 2006.





معدلات الجريمة¹

وفي ظل التطورات الخطيرة لتداعيات التطرف والإرهاب، لم تعد المواجهة الأمنية كافية للقضاء عليه وتجفيف منابعه، بل لابد من وجود استراتيجيات شاملة تركز على تعزيز قيم التسامح والوسطية والاعتدال، مع الأخذ بعين الاعتبار البعد الأمني، بالإضافة إلى أبعاد أخرى لا تقل أهمية عن البعد الأمني وهي: الأبعاد الثقافية، والاجتماعية، والدينية، والتنمية. ويعتبر التعليم أهم الوسائل التي من شأنها أن تساعد في تنفيذ هذه الاستراتيجيات بنجاح، إذ إن التعليم المتطور، والمواكب لمعطيات العصر الحديث يسعى دائماً إلى غرس قيم الانفتاح، وقبول الآخر والتسامح، وخاصة لدى الشباب؛ ذلك أن الشباب هم قاطرة التنمية وهم مستقبل الأمم ورافعي شأنها، ومن هنا يأتي دور التعليم في مواجهة البيئات الخصبة التي تحاول استغلالها الجماعات الظلامية والإرهابية وصاحبة الفكر المتطرف لنشر أفكارها وخاصة بين فئة الشباب وفي المجتمعات الفقيرة.

إن إفريقيا بحاجة إلى استئصال الفكر المتطرف الذي يروج له تجار الدين من المتعصبين وغير الواعين لوسطية الأديان وسماحتها. إننا بحاجة في مثل هذه الحالة إلى إزالة مصادر الفكر الضار بالوطن والمجتمع عن طريق تعليم جيد متنور ومتجدد غير جامد، إذ أصبح في غاية الأهمية نبذ الكوادر التي تحمل الأفكار المتطرفة وكشفها وتحييدها ومحاسبتها على ما اقترفته بحق

1- Stephen Machin, Olivier Marie and Sunčica Vujic, 2010, The Crime Reducing Effect of Education, IZA DP No. 5000, Bonn, Germany.



الأوطان، ومنع مخططاتها المستقبلية. فما يشكله الإرهاب يُعد تحدياً للتنمية، وعائقاً يحول دون تحسين حياة الشعوب خاصة في ظل الظروف التي تمر بها المنطقة والعالم بأسره. والقارة بحاجة إلى تضافر جهود كل عاقل وكل متعلم وكل مثقف في مختلف المؤسسات المجتمعية ومنها الجامعات باعتبارها مؤسسات، ومناورات فكرية يمكن أن تلعب دوراً بارزاً في مواجهة الإرهاب والتطرف، ونشر قيم التسامح والتوافق والتواصل البناء من خلال مناهجها ومؤتمراتها، وبناء الطالب فكراً وتحصينه ضد الإرهاب من خلال صياغة خطاب تعليمي تربوي وديني جديد يهدف إلى بناء الشخصية المتكاملة، وتعزيز قيم المواطنة والهوية الوطنية والحضارية.

وقد بذلت الحكومة المصرية جهوداً كبيرة في سبيل الارتقاء بالمنظومة التربوية بوجه عام؛ حيث وضعت مؤخراً رؤية متعددة الأبعاد تشترك فيها جميع مؤسساتها ذات الصلة؛ لتجفيف منابع الإرهاب والتطرف بجميع أشكاله المادية والفكرية، مثل قرار فخامة رئيس الجمهورية عبد الفتاح السيسي، القاضي بإنشاء «المجلس القومي لمواجهة الإرهاب والتطرف». وقد تبنت جامعة القاهرة رسالة تنويرية من على أرض مصر لإفريقيا قاطبة، هذه الرسالة قوامها بناء الإنسان من خلال تطوير طرائق التفكير، والتركيز على أعمال العقل، والحد من التلقين والحفظ في العملية التعليمية، والتأكيد على أهمية الفهم والوعي في بناء الأوطان والمجتمعات السليمة. كما تبنت جامعة القاهرة في السنوات الأخيرة فكرة تجديد الخطاب الديني ليوكب روح





العصر والمتغيرات والمستجدات الهائلة، ونبذ الخطاب الجامد المتشدد الذي يشئت ولا يجمع، ويهدم ولا يبني، وذلك إيماناً من الجامعة بأن دور الجامعات في مواجهة الإرهاب والتطرف الفكري يأتي من خلال الركائز الثلاثة للتعليم الجامعي: التعليم، والبحث العلمي وخدمة المجتمع وتنمية البيئة، ففي قطاع التعليم يجب غرس القيم الإيجابية في نفوس الطلاب من احترام وقبول الآخرين بكافة انتمائهم وتوجهاتهم وأفكارهم وغرس حب الوطن والانتماء له والدفاع عن ثوابته ومقدراته. أما قطاع البحث العلمي فيجب توجيه الأبحاث العلمية والرسائل الجامعية حول دراسة أسباب الإرهاب والتطرف الفكري ودوافعه وأفضل الوسائل لمواجهته وآليات التنفيذ لمجابهته، أما قطاع خدمة المجتمع وتنمية البيئة فهو له دور محوري في العمل على انخراط الطلاب مع المجتمع من خلال المعسكرات والقوافل التنموية التي تلبي احتياجات المجتمع وتسهم في حل مشكلاته، وتنظيم دورات لزيادة وعي الشباب وتثقيفهم ولفت أنظارهم إلى ما هو ضار بهم وبأوطانهم وكشف المتربصين والمغرضين.

ولما كان الشباب هم أكثر فئة مستهدفة من التيارات الإرهابية، كان لابد من تحصينهم بمجموعة من الوسائل منها تزويدهم بالعلم النافع الذي يعصمهم من المفاهيم المغلوطة، وتربيتهم على التجرد من أجل الحق وفضل التراجع عن الخطأ وعدم التمسك بالباطل، وجلبهم على تقدير نعمة الأمن والاستقرار والمحافظة عليهما وعدم الإخلال بهما، وتنمية





مهارات التفكير السليم، وإحاطتهم بالأحداث على المستوى المحلي والدولي وحجم الإنجازات التي تقوم بها الدولة والمتمثلة في المشروعات القومية الكبرى غير المسبوقة في التاريخ الحديث. يضاف إلى ذلك كله ترسيخ مبدأ التحري والتدقيق في كل شيء، وعدم الانسياق وراء الشائعات المغرضة والمعلومات المغلوطة، وإرشادهم إلى حسن استخدام المواقع الإلكترونية ومتابعة مصادر المعلومات من هذه الشبكات وعدم الانجرار وراء الشائعات الهدامة المغرضة.

المحور الخامس: رؤية مستقبلية

لا توجد ديانة سماوية إلا وأكدت على رفض كافة أشكال العنف والتطرف، وسفك الدماء، ذلك أن الشرائع السماوية كافة تجمع وتتفق على جملة كبيرة من القيم والمبادئ الإنسانية من أهمها: حفظ النفس البشرية، والعدل، والتسامح، ونبذ العنف، وقبول الآخر، والرحمة، والصدق، والأمانة، والوفاء والتعاون وعدم الغدر أو الخيانة، ومقابلة السيئة بالحسنة، وحب الوطن، والاعتزاز به والحفاظ على مكتسباته. على النقيض من ذلك نجد الإرهاب أعمى لا يفرق بين أبناء الوطن الواحد، فلا يفرق بين مسلم أو مسيحي أو يهودي وبين غيره، ولا يفرق بين أبيض وأسود، أو بين مسجد وكنيسة، بل لا يفرق بين شيخ وطفل، فيحصد أرواحاً بريئة، ونفوساً حالمة بمستقبل مشرق، ويأتي على الأخضر واليابس ويهلك الحرث والنسل. والجماعات الإرهابية لا دين ولا جنس ولا عرق لها، وعلى الشباب أن يعوا ذلك جيداً، وأن يعلموا





أنهم الأعداء الحقيقيين للشعوب وللتنمية وللتطور، بل يمكن القول إنهم أعداء الإنسانية.

وإذا كنا قد عرضنا للمرض - الإرهاب - فإنه لزاماً علينا أن نعرض للعلاج، فلن تشفى مجتمعاتنا الإفريقية من التطرف والإرهاب إلا بتكاثف الجهود وقيام الأفراد والشعوب والحكومات بدورها على النحو الأكمل، وهنا نؤكد على ضرورة ربط المدرسة بالمجتمع، وتفعيل دورها في حمايته، وإعادة النظر في المناهج الدراسية والأساليب التربوية بعقلية متفتحة، تنطلق من دراسات تفصيلية وعميقة للتغيرات التي يمر بها المجتمع والمستجدات العصرية، وتأخذ مصلحة البلاد والعباد والأمن والأمان والسلام فوق كل اعتبار. وعلينا اتباع المنهج الوقائي أي منع الضرر قبل وقوعه.

إن أهمية التعليم تكمن في إطار استراتيجية متعددة الأبعاد تقوم على إكساب الطلاب مهارات تعليمية تمكنهم من مواجهة الأفكار المنطرفة، ناهيك عن أهمية البدء في مكافحة مظاهر العنف المنتشرة بين الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة في أسرع وقت ممكن، حيث إن المدرسة وسط يتشرب فيها الناشئة القيم الاجتماعية والثقافية في المجتمع، وإذا ما فشلت المدرسة فإن المجتمع يفقد خط الدفاع الثاني ضد الجريمة، مع التأكيد على أهمية الوقاية الاجتماعية التي تركز على العوامل الاجتماعية والاقتصادية المفرزة للجريمة وكيفية معالجتها عن طريق التعلم والتثقيف. كما يجب التأكيد على أن معرفة



القراءة والكتابة حق أساسي من حقوق الإنسان، وأن جودة التعليم الأساسي والتعليم الثانوي يزود الطلاب بمهارات القراءة والكتابة مدى الحياة والمزيد من التعلم. ومن المرجح أن يحافظ الآباء المتعلمون على أطفالهم بصحة جيدة ويرسلون أطفالهم إلى المدرسة على اعتبار أن الأشخاص المتعلمين قادرون على الوصول بشكل أفضل إلى فرص التعليم وبشكل جماعي فإن المجتمعات المتعلمة مهياً بشكل أفضل لمواجهة تحديات التنمية¹.

الجدير بالذكر في هذا الصدد أن إقليم الساحل كان قد أعلن عن برنامج تنموي عاجل في قمة نواكشوط عبارة عن مشاريع تستهدف المناطق الحدودية الأكثر هشاشة في دول الساحل، يقوم هذا البرنامج على أربعة محاور رئيسية هي: الأمن، والحوكمة، والبنية التحتية، والصمود والتنمية البشرية. وهو جزء من "برنامج الاستثمارات ذات الأولوية". ويتطلب تنفيذ هذه المشاريع 2.4 مليار يورو، لا تزال تعهدات من الممولين والشركاء، ما يثير إشكالاً كبيراً يتعلق بمصادر التمويل.

ونظراً لما تواجهه القارة الإفريقية من تحديات خاصة بأفة الإرهاب فإن المزيد من التعاون بين دولها في مواجهة الإرهاب أمر محتوم وعلى دول القارة أن تعي ذلك. ويجب على المجتمع الإفريقي التعاون مع الهيئات التابعة للأمم المتحدة، المكلفة بتقديم الخبرات، من أجل وضع ومواكبة سياسات مكافحة

1- UNESCO Institute for Statistics. Adult and Youth Literacy: National, Regional and Global Trends, 1985-2015-. June 2013.





المخدرات، وتعزيز الأمن الثقافي، من خلال إجراء مصالحة بين الإثنيات، وخفض حدة التوترات، وكذا مدى ملائمة وسائل الدفاع، مع تطور طبيعة المخاطر وتطوير القدرات الأمنية، وتوفير تكوينات متخصصة في مجال الأمن، بالإضافة إلى تطوير الحياة الجماعية للسكان باعتبارها الإطار المهم لتكوين الشباب، ومدرسة للديمقراطية، وناقلين لمبادئ الاحترام المتبادل. وتعزيز المصالح المشتركة، على المستويين الإقليمي والمحلي. وقد وضعت بعض الحكومات الإفريقية عدداً من الاستراتيجيات والقوانين لدعم التنمية المستدامة، وحققت بعض الدول نمواً اقتصادياً سريعاً وأرست أساساً للنمو المستقبلي عن طريق الاستثمارات في البنية التحتية ورأس المال البشري.

توصيات البحث

1. إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث حول ظاهرة الإرهاب والتطرف في إفريقيا؛ لفهم جذورها والوقوف على كافة أبعادها تمهيداً لاستئصالها.
2. مناقشة الدول العربية لزيادة إسهاماتها المادية في تمويل الحرب على الإرهاب.
3. مساندة دول الساحل وتطوير جيوشها خصوصاً وأن الجماعات الإرهابية لديها أسلحة متقدمة.
4. تعزيز دور الأسرة والمدرسة في التربية لأن كثيراً من الشباب قد انجرفوا وراء التيارات الضالة، بسبب غياب دور الأسرة والمدرسة في التربية الصحيحة، فالأسرة هي المحصن



الأول للشباب ومربيّتهم على الاستقامة، والاعتدال، والرفق،
والتعايش السلمي، ونبذ التطرف والعنف.

5. تنظيم حملات توعوية وطرق أبواب لمحاربة الجهل
وزيادة الفهم المتنور والصحيح للأديان ونشر العلم الصحيح بين
أفراد المجتمع.

6. تعزيز دور المرأة في الحياة الاجتماعية العامة وغيرها من
القضايا المجتمعية المعاصرة .

7. بذل مزيد من جهود العلماء في توضيح الوسطية
المطلوبة في كل المجالات سواء كانت دينية أم ثقافية أم
سياسية من خلال أقوالهم وأفعالهم وفتاويهم.

8. تأصيل منهج الوسطية ومعالجة الغلو والتطرف
والتعصب الديني، ولا يسمح إلا لأهل العلم بالتحدث في أمور
الدين.

9. إقامة الندوات والمؤتمرات والدورات التي تؤصل للمنهج
الصحيح وتنبذ التطرف والإرهاب، والتصدي للحملات الإعلامية
الباطلة لتهمه الصاق الإرهاب بالإسلام.

10. ضرورة اضطلاع الدول والحكومات بدورها في الاهتمام
بالشباب وإنشاء مشاريع لإتاحة فرص عمل لهم لحمايتهم
وتحصينهم من الانحراف.

11. الاهتمام بالتعليم بكل مراحلهم وزيادة مساهمة الدول
في الاستثمار فيه فهو السبيل الأهم الذي يستطيع مكافحة
الإرهاب وحماية الشباب من آثاره المدمرة.





12. زيادة الاهتمام بالمعلمين ورفع أجورهم وصقل مهاراتهم ورفع كفاءاتهم.
13. إبعاد المتعصبين والمتطرفين وأصحاب الأفكار الهدامة من مهنة التدريس.
14. المتابعة والتقييم المستمرين لأعضاء هيئة التدريس، وإخضاعهم لبرامج تدريبية متخصصة.

مراجع البحث

- القرآن الكريم

- الأحاديث النبوية

- محمد فرج 2021، تقرير يرصد بؤر العنف والإرهاب في إفريقيا، سكاى نيوز عربية 10 نوفمبر، القاهرة.

- African Statistical Yearbook, 2018, P.61.

- Brown, O. (2008). Migration and Climate Change. IOM Migration Research Series, No.31. Geneva: International Organization for Migration.

- Commission on human Security, human Security Now, New York,2003, P.4, ccessed:112019/11/, <http://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/91BAEEDBA50C6907C1256D19006A9353-chs-security-may03.pdf.com>

- Economic and Social Statistics Division of





the Statistics Department, 2017, AfDB Statistics POCKETBOOK, African Development Bank, Volume IXX, Abidjan.

- Emeka Nweze, 2018, List of African Countries By Literacy Rate, 2

<https://africacenter.org/ar/spotlight/mapping>.

-Kazeem B. Ajide and Olorunfemi Alimi, 2021, Income inequality, human capital and terrorism in Africa: Beyond exploratory analytics, International Economics 165 (2021) 218–240, www.elsevier.com

-Kazeem Bello Ajide and Olorunfemi Yasiru Alimi, 2021, Environmental impact of natural resources on terrorism in Africa, Resources Policy 73 (2021) 102133, www.elsevier.com/locate/resourpol.

-KWABENA GYIMAH-BREMPONG, OLIVER PADDISON, and WORKIE MITIKU, 2006, Higher Education and Economic Growth in Africa, Journal of Development Studies, Vol. 42, No. 3, 509–529, April 2006.

- Nett, K. & Rüttinger, L. (2016). Insurgency, Terrorism and Organized Crime in a Warming Climate. Climate Diplomacy Berlin: Adelphi.





- SIMPLICE A. ASONGU and JACINTA NWACHUKWU, 2017, The Impact of Terrorism on Governance in African Countries World Development Vol. 99, pp. 253–270, 2017 Elsevier Ltd.

- Stephen Machin, Olivier Marie and Sunčica Vujic, 2010, The Crime Reducing Effect of Education, IZA DP No. 5000, Bonn, Germany

UN world population prospect, 2019 revision.

- UNESCO Institute for Statistics, 2016, School resources and learning environment in Africa.

- UNESCO Institute for Statistics. "Adult and Youth Literacy" UIS Fact Sheet. September 2014.

- UNESCO Institute for Statistics. Adult and Youth Literacy: National, Regional and Global Trends, 1985-2015. June 2013.

-USAID, 2003, U.S. Agency for International Development, <https://www.usaid.gov>

- WFP, 2014, [World Food Programme](#),





دور الجامعات العربية والإسلامية في بناء السلام وتحقيق التنمية المستدامة

الأستاذ الدكتور / عبد القادر إدريس ميغا

مدير جامعة زايد للعلوم الاقتصادية والقانونية

-ببماكو- مالي

مقدمة

يتعرض الكوكب الذي نعيش عليه لهجوم مستمر، وأصبح السياق الذي نعيش فيه أكثر وأكثر صعب التحمل: تغير المناخ، واستنفاد الموارد (وليس فقط موارد الطاقة)، وزيادة إنتاج النفايات، وزيادة الصراعات، وزيادة الفقر في جميع البلدان (بما في ذلك البلدان الصناعية)، انهيار البورصة، واتساع الفجوة بين بلدان الشمال ودول الجنوب، إلخ.

يتطلب حل الأزمة - وليس الأزمة الاقتصادية فقط - تنمية التفاعل مع كوكب الأرض والانخراط في إطار التنمية المستدامة. ففي بداية القرن الحادي والعشرين، أصبحت هذه الفكرة في قلب العديد من مناقشات المجتمعات وفي قلب جميع اهتمامات المسؤولين.

إنه مما لا شك فيه أن السلام والتنمية هما مسؤولية الإنسانية جمعاء، وكما جاء في بعض الكتابات: "إن للإنسان مكانة عظيمة. ويجب أن تكون مساعيه أيضاً إصلاح العالم وتهذيب الأمم... ولو قُدر للإنسان أن يعرف عظمة مقامه وسمو قدره فلن يظهر





منه سوى الصفات الحميدة والأعمال الطاهرة والسلوك اللائق الممدوح... إن شرف الإنسان وفضله يتمثلان في أنه ومن بين جموع العالم يكون هو مصدر كل خير اجتماعي. هل من فضل أعظم من أن يجد الإنسان، بالتأمل في داخله، أنه بفضل الله أصبح سبب سلام ورفاه وسعادة وخير لإخوانه البشر. يا للإنسان من عظمة ويا له من شرف المقام إذا ما قام لأداء مسؤولياته... فالسعادة الكبرى تكون له... إذا ما امتطى الركاب مسرعاً في مساعيه في مضمار الحضارة والعدالة.¹

أصبح التعليم والقضايا والمشكلات المختلفة المرتبطة به من الموضوعات المهمة والجديرة بالبحث من أجل بناء السلام وتحقيق التنمية المستدامة المنشودة. ولاقت مؤسسات التعليم العالي اهتماماً خاصاً، حيث يقع عليها في عالمنا اليوم مهام عديدة، فعليها أن تخفض أثرها البيئي الناتج عن الأنشطة المختلفة المباشرة وغير المباشرة التي تتم بالمؤسسة، وأن تقوم بإجراء أبحاث وتقديم تعليم في مجال الاستدامة، وأن تعد بيئة تسمح للطلاب والعاملين بتطوير قدرات جديدة تؤدي إلى ممارسات مستدامة، مما ينتج عنه مجتمع أكثر استدامة.

شكلة البحث

رغم المبادرات المختلفة من أجل إيجاد حل لقضية الاستدامة الشاملة وبالرغم من وجود تطور في تحقيق تعليم جامعي من أجل تحقيق التنمية المستدامة وبناء السلام على المستوى

1- <https://www.bic.org/statements/lswlm-wltnmy> 25/12/2021



العالمي إلا أن العالم الإسلامي في معظمه والإفريقي منه خاصة لم ينجح بعد في توجيه تعليمها العالي نحو التنمية المستدامة وبناء السلام. وتكمن مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية: ما هو المقصود بالتنمية المستدامة؟ وما المقصود بالسلام وما هو دور الجامعات العربية والإفريقية في تحقيق التنمية المستدامة وبناء السلام، وما هي الجهات التي يمكن الاستفادة منها في دعم الجامعات والدفع بها نحو النجاح؟

أهمية البحث

تأتي أهمية هذه الورقة البحثية من ضرورة الوقوف على واقع التنمية المستدامة وبناء السلام في إفريقيا خاصة، وتحديد أهم المشكلات التي تعوق تحقيق ذلك، والإشادة بأهمية الجامعات العربية الإسلامية في تحقيق التنمية المستدامة وبناء السلام. وذلك من خلال دورها في مجالات التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع وعمليات الحرم الجامعي.

فرضية البحث

يرى الباحث أنه يمكن للجامعات العربية والإفريقية المساهمة الفعالة في تحقيق التنمية المستدامة المنشودة اعتماداً على إمكانياتها في تطوير البحث العلمي وتعزيز الثقافة ودورها في المجتمع.

منهج البحث

سيعتمد هذا البحث على المنهجين الوصفي والتحليلي لمناسبتهما مثل هذه البحوث.





ويتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة هي:-
-المبحث الأول تناول السلام والتنمية المستدامة بشكل عام
المبحث الثاني دور الجامعات العربية وإفريقية في بناء
السلام وتحقيق التنمية المستدامة

المبحث الأول: حول السلام والتنمية المستدامة

المطلب الأول: السلام

أولاً: مفهوم السلام

إن السلام العالمي، أو السلام على الأرض، هو مفهوم الحالة المثالية للسعادة والحرية والسلام داخل وبين جميع الشعوب والأمم على الأرض. وهذه الفكرة المتمثلة في عدم وجود عنف في العالم هي أحد الدوافع التي تحفز الشعوب والأمم على التعاون طوعاً، وبمحض إرادتها أو بحكم نظام الحكم الذي يعترض على حلها بالمحبة والسلام. فالثقافات والديانات والفلسفات والمنظمات لكل منها مفهومه الخاص عن كيفية إحلال السلام في العالم.

والهدف المعلن لمختلف المنظمات الدينية والعلمانية هو تحقيق السلام العالمي من خلال حقوق الإنسان، والتكنولوجيا، والتعليم، والهندسة، والطب، والدبلوماسية المستخدمة لإنهاء جميع أشكال القتال.

في الدراسات المتعلقة بالسلام يرى المفكرون أن هناك درجات متغايرة من السلام: فهناك السلام السلبي ووظيفته الأساسية هي منع العنف وإبقاء الوضع العام في حالة سكون بما



يحول دون تصعيد التوترات والصراعات. وهناك السلام الإيجابي الذي يمنع العنف من جهة ويعزز وسائل التفاهم والتعاون من جهة أخرى بما يؤدي إلى تحييد العوامل التي يمكن أن تقود إلى العنف والصراع مجدداً ويحقق الاستدامة المنشودة للسلام.

كما أن هناك نوعاً آخر وهو ما يسمى بالسلام الشامل أو المتكامل، الذي من أهم سماته أن القائمين عليه لا يستثنون أيّاً من القوى السياسية أو العرقية أو الدينية المعنية من فرص الانضمام إلى السلام وإشراك الأطراف كافة المعنية به على أساس قاعدة "الكل رابح". وفي كل أنواعه، يُمثّل فهم السلام وأهمية تحقيقه أهم العوامل في استدامته. أما عوامل قابلية تطبيق السلام بشكل عام فيتمثل أهمها أولاً في فهم خطورة دور الحرب في تدمير المجتمعات، وثانياً فهم دور القيادة الحكيمة في عدم إقحام شعوبها في نيران الحرب. ويأتي بعد ذلك عامل أكثر أهمية وهو كيفية الحفاظ على السلام إذا تحقق، وضمن استدامته¹.

واستدامة السلام ليست بالمهمة السهلة أو التلقائية، بل تحتاج إلى شجاعة وإرادة سياسية وتوافر عوامل أخرى مهمة داعمة لتحقيقه، من أهمها: عدم اعتبار السلام مثالياً دون القيام بالجهود والأعمال والممارسات العملية التي تجذر مبادئه؛ أي النظر في العوامل أو الأسس العملية والتطبيقية التي تحافظ على هذا السلام وترسخه بما في ذلك عدم حصر السلام في

1 - <https://trendsresearch.org/ar/insight>





الأطراف الموقعة عليه واستثناء أطراف أخرى، وعدم فرض السلام بالقوة لأن ذلك سيكون مؤقتاً في الغالب. فإذا نظرنا إلى الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى يمكن ملاحظة كيف خلقت "معاهدة فرساي" أجواء مشحونة بالعدوانية والامتعاض من السلام؛ لأن هذه المعاهدة التي تم توقيعها، حينذاك، لم تطمح إلى تحقيق السلام أكثر من طموحها في معاقبة الدول التي شاركت في الحرب وخسرتها، ولذا لم يستمر السلام طويلاً واندلعت الحرب العالمية الثانية. على عكس ذلك إذا أنعمنا النظر في الظروف التي عقد في ظلها السلام الأخير في منطقة الشرق الأوسط أو الاتفاقات الإبراهيمية، نلاحظ بوضوح الترحيب العالمي الواسع بهذا السلام، الذي يسعى إلى تحقيق مصلحة الجميع. وهذا الترحيب الواسع مرده إلى أن العالم يسعى إلى التعايش السلمي العالمي أكثر من أي فترة مضت، وذلك لأن العالم خاض تجارب الحروب ولم تثمر عن نتائج إيجابية لأي طرف. لذلك نما في الفكر العالمي ما يمكن أن نسميه بالقابلية للسلام والرغبة في تحقيقه.

ثانياً: مفهوم بناء السلام

أصبح العالم الحديث أصغر وأقل سلاماً وغير آمن للأجيال الحاضرة والمقبلة حيث يمر ببيئة مليئة بالتوتر والعنف والقيم المتدنية والمظالم وتقليل التسامح واحترام حقوق الإنسان. وقد اتخذت قوة السلاح مركزاً مهيماً في معظم البلدان النامية على ثقافة السلام خاصة في منطقتنا مما يهدد مستقبل



الأمة الإسلامية التي تستحق- بحكم الإسلام - حياة سلمية وتعاون مثمر، مما يحتم عليها خلق ثقافة السلام والبيئة الحرة لحل النزاعات، عن طريق تغيير المواقف والتقاليد والدين نحو الأفضل.

اتسمت الفترة منذ التسعينات من القرن الماضي حتى يومنا هذا بزيادة عدد الصراعات الداخلية التي تسببت في وفاة الآلاف من المدنيين، وتهجير أجزاء كبيرة من السكان، وإجبار الأفراد أو حتى مجتمعات بأكملها على التماس المأوى في بلدان أجنبية، ولا أدل على ذلك ما يحدث اليوم في منطقتنا العربية من صراعات ستترك أثارا سلبية على مستوى المجتمع إن كان من الناحية الديمغرافية أم من ناحية التعايش بين مكونات الشعب الواحد وبينه وبين الشعوب الأخرى.

وقد تفاوتت أسباب النزاع تفاوتاً كبيراً، من اشتباكات سياسية-اقتصادية وهوية قائمة على مواجهات خارجية مستوحاة من الجهات الفاعلة الانتهازية. وتواجه المجتمعات التي مزقتها الحرب صعوبة في التوسط في السلام بين الأطراف المعنية بالنزاع، مما يخفف من حدة الاشتباكات ويزيد من عدد القتلى. ومع ذلك، فإن الوضع الراهن الجديد على الساحة الدولية سمح بتوسيع نطاق مشاركة الفاعلين والمنظمات الدولية، مثل الأمم المتحدة والبنك الدولي وحتى صندوق النقد الدولي، مما يعطي الأمل للمناطق المضطربة بأن السلام يمكن بل وينبغي تحقيقه.¹

1 - د. تغريد عبده الحجلي 25 246 /?p=http://tfpb.org/ 12 /21 .





إن مفهوم بناء السلام الذي ارتبط بمرحلة الحرب الباردة يعتبر من المواضيع المهمة والمثيرة للنقاش، لأنه يعبر عن اهتمام الدول والأفراد على حد سواء في توفير السلم والاستقرار كبديل للحروب ولإصلاح فترة ما بعد النزاعات ما زال يعاني من نقص مفاهيمي وعدم وجود نظرية شاملة، ما استدعى الأمر إلى إيجاد نظريات جزئية تعمل على تحليل وتفسير المفهوم والذي غالبا ما يستعمل كمصطلح يتقاطع مع عدة مفاهيم مثل حل النزاع، إدارة النزاع، الوقاية والتحويل، فهو يضم عدة نشاطات تهدف إلى منع ظهور النزاع مجددا من خلال إعداد إطار عمل متكامل يشمل العديد من الأبعاد ويمر عبر مختلف مراحل النزاع مروراً بحفظ السلام وصنع السلام، الشيء الذي أدى إلى تكثيف الجهود وتنسيقها من أجل إنجاز هذه العملية وتحقيق غاياتها المنشودة التي من شأنها مساعدة الإنسانية وإرساء دعائم السلم والأمن الدوليين¹.

فلقد أصبح هذا المفهوم الجديد محط اهتمام كل الدول إذ يعبر عن أولوياتهم وخطتهم لتحقيق الديمقراطية والمصالحة. فبناء السلام جاء ليكمل عمليات حفظ السلام وصنع السلام لتأسيس السلام الدائم والحفاظ على النظام الدولي، فهو حسب جون بول Jon Paul "مفهوم يضم العمليات التي تقوم بها الفاعلون المحليون التي هي كل قوى المجتمع فردا وجماعة وكذا السلطة والفاعلون الدوليون من مؤسسات دولية ومؤسسات غير

1 - <http://tfpb.org/?p=246> consulté le 25/12/21.





دولية ودول والتي تهدف إلى إنعاش المجتمع المدني، إعادة بناء البنية التحتية واستعادة المؤسسات التي حطمتها الحرب أو النزاعات الأهلية للمجتمعات وقد تسعى هذه العمليات إلى إقامة هذه المؤسسات إذا لم تكن موجودة بما يمنع نشوب الحرب مرة أخرى لدفع عملية بناء السلام¹

ثالثاً: بناء السلام

إنّ تحقيق سلام دائم على وجه الأرض لا يمكن تصوّره دون علاج للمشاكل المعقّدة المتعلّقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية والتي تعرقل تقدّم المجتمعات المعاصرة، وعلى ضوء تداخل العلاقات الإنسانية على المستوى الجسدي والنفسي - الذي تحقق بوجود شبكة معقّدة من الاتصالات والمواصلات العالمية- لا يمكن اعتبار السّلام مجرد حالة غياب للنزاعات في العالم بينما الملايين من البشر يموتون سنويّاً من الجوع والمرض والفقير.

لقد قيل وكُتب الكثير عن التنمية والطريقة المثلى لتحقيقها- من الأسفل إلى الأعلى- ابتداءً من القاعدة وبمشاركة الجميع في عملية بناء نوعية مرضية من الحياة. إنّ من المتّفق عليه بشكل عام اليوم هو أنّ التنمية يجب أن تشمل أولئك الذين يعانون بسبب نقص الغذاء والماء والنظافة والإسكان... إلخ، في اتّخاذ القرار والعمل، وإلا فإنّ فعالية ودرجة نجاح أيّة برامج للتنمية

1- Jon Paul http://tftp.org/?p=246 . 25/12/2021 جون بول





ستبوء بالفشل.¹

وفي ذلك أبرز الأمين العام للأمم المتحدة، في تقريره لعام 2021 بشأن " بناء السلام في أعقاب انتهاء النزاع، أنه " بغية النجاح، يجب على عملية بناء السلام أن تكون عملية تحويلية، وأن توجدَ حيزاً لمجموعة أوسع من الجهات الفاعلة - تشمل - على سبيل المثال لا الحصر، ممثلي المرأة، والشباب، والضحايا، والمجتمعات المحلية المهمشة؛ وزعماء المجتمعات المحلية والزعماء الدينيين؛ والجهات الفاعلة في المجتمع الديني؛ واللاجئين والمشردين داخليا - لكي تشارك في عملية صنع القرار العام المتعلقة بجميع جوانب الحياة والانتعاش بعد انتهاء النزاع.²

إن تعزيز التماسك الاجتماعي والثقة من خلال عملية شاملة وتشاركية لبناء السلام، سواء أثناء فترة انتقالية أو نزاع أو بعد هما، هي مهمة ضرورية وإن كانت عسيرة. ويظل العديد من أصحاب المصلحة الرئيسيين على الهامش أو يتم استبعادهم من هذه العمليات. ولم تحظ مسألة تمكين الشباب وإشراكهم في بناء السلام على وجه الخصوص، إلا بالقليل من الاهتمام والدعم.

رابعا: خبرة مسلمي إفريقيا في بناء السلام

وقد تنبه مبكرا بعض علماء غرب إفريقيا لمكانة السلام

1- <https://www.bic.org/statements/lswlm-wltnmy> 25/12/2021

2- الأمم المتحدة، تقرير الأمين العام، بناء السلام، في أعقاب انتهاء النزاع، 8 تشرين الأول أكتوبر 2021 (S/2021/499، 7/67/63) فقرة 63.



والتعايش السلمي، وكتبوا عنها وشجعوا الناس على إفشاء السلام، بل قاموا بالصلح بين الأطراف المتنازعة، وما قام به الحاج عمر الفوتي في هذا المجال خير مثال وقدوة تحتذى، حين قام بالصلح بين مملكة بورنو ومملكة هوسا في صُكُتو المتنازعتين في بعض القضايا المتعلقة بأمر المسلمين فكتب منظومة سماها "النصح المبين عن قبح اختلاف المؤمنين"، وهي جملة من نصائح قيمة تناول فيها الحاج عمر الفوتي ما أوجبه الله تعالى على عباده من إصلاح ذات البين، وتأليف القلوب، والنصائح والتودد، والإحسان إلى عباد الله، وتعظيمهم وتقديرهم، والابتعاد عن الفسق، والاختلاف، والفتنة، والعدوان، والقتال الذي لا يركز على مسوِّغ شرعي؛ لما في ذلك من إضعاف كلمة المسلمين ومعنوياتهم، كما دعا فيها المسلمين إلى الوقوف وقفة رجل واحد لمواجهة أحداث الحياة؛ لأنهم جميعا إخوان بمثابة جسم واحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. وقد رتب الأبيات كلها على حروف هاتين الآيتين: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: 9-10].

والقضية أن عمر سعيد الفوتي عاصر أزمة سياسية بين

1 - لقد شاركت في تحقيق هذا الكتاب وهو اليوم مطبوع من قبل





إمارتي هوسا وبرنو، ولم يقبل أن يكون متفرجا، بل رأى أن الإصلاح واجب عليه وطنيا ودينيا على الرغم من تفاقم الأزمة، وقلة الرجاء في الحصول على نتائج إيجابية، إلا أنه فضل أن يدلي بدلوه، ويغتنم فرصة العودة من الحج للإصلاح بين إخوانه، وحقق دماء الأبرياء، وهو معتمد على الله ومحتسب.

ثم تسلح بمكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام قائلا: "اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي لأجله بعث الله النبيين - صلوات الله عليهم أجمعين - ولو طوي بساطه، وأهمل عمله، لتعطلت النبوة، واضمحلَّت الديانة، وعمت الفتنة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، وخربت البلاد، وهلكت العباد." 1

تأتي هذه المنظومة لتؤكد لنا أنه لا انفصال بين ماضي الأمم وحاضرها، بل إن القضايا والأحداث تتشابه من عصر لآخر، وإن التاريخ يحتوي على مواد دسمة، واستراتيجيات، يمكن الاستفادة منها لحل المشكلات القائمة في المجتمعات البشرية المعاصرة، وبخاصة المجتمعات الأفريقية.

المطلب الثاني: التنمية والتنمية المستدامة

أولا: مفهوم التنمية

إن مفهوم التنمية يعتبر مفهوما واسعا حيث يشمل جوانب اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية أي أنها عملية حضارية

1 - الحاج عمر سعيد الفوتي "النصح المبين عن قبح اختلاف المؤمنين" تحقيق د/ عبدالقادر إدريس ميغا وآخرون ، 33



شاملة. إلا أننا عندما نطلق هذا المصطلح نعني به غالباً التنمية الاقتصادية. ويستخدم مفهوم التنمية الاقتصادية كمرادف لمفهوم الدفع والإسراع بعملية التصنيع، والعمل على زيادة الناتج القومي الإجمالي، ومتوسط دخل الفرد، إلى مستويات عالية مثل تلك التي حققتها الدول الصناعية الكبرى، فرنسا، والولايات المتحدة الأمريكية وكندا وألمانيا وغيرها من الدول المتقدمة. ومعنى ذلك أن التنمية تعني كل ما يتعلق بمساعي الدول النامية لتضييق فجوة التخلف بينها وبين الدول المتقدمة اقتصادياً.¹

إن التنمية عملية معقدة تنطوي على تطور شامل لجميع أجزاء النظام الاقتصادي، كما أنها تؤدي إلى تعديل العلاقات المختلفة التي تربط عناصر هذا النظام بعضها ببعض خاصة، وأن التنمية الاقتصادية تقترن بنمو السكان، وبتراكم رأس المال وتطبيق الابتكارات الجديدة في أساليب الإنتاج، وبتغيير تركيب السكان، وتغيير توزيع الإنفاق القومي بين الاستهلاك والادخار، وأيضاً توزيع الدخل بين الشرائح الاجتماعية. ولهذا التعقيد اختلف علماء الفكر التنموي اختلافاً متبايناً في بعض جوانب تعريف التنمية، ومتقاربة في بعضها الآخر. وسوف أكتفي بذكر تعريفين منها فقط، للاستشهاد.

فبعض الكتاب من كلاسيكيات الفكر التنموي عرفوا التنمية

1 - راجع مصطفى عبد الله خشيم: موسوعة علم العلاقات الدولية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى. سرت. الجماهيرية. ص





الاقتصادية على أنها:

«عملية يزداد فيها الدخل القومي، ودخل الفرد في المتوسط، بالإضافة إلى تحقيق معدلات عالية من النمو في قطاعات معينة تعبر عن التقدم»¹.

ومعنى ذلك أن التنمية يجب أن تتضمن معنى النمو وهو مقدار أو مستوى الزيادة في إجمالي الدخل القومي للدولة. بينما نجد مدحت محمد العقاد يعرفها على أنها مرحلة قبل النمو ويقول إن التنمية الاقتصادية هي: «العملية التي تستخدمها الدول غير المستكملة النمو في استغلال مواردها الاقتصادية الحقيقية بهدف زيادة دخلها القومي الحقيقي وبالتالي زيادة متوسط نصيب الفرد منه»².

إضافة إلى ذلك، ومن خلال تجربة وفهم الجامعة البهائية العالمية، فإن التنمية، كمتطلب لتحقيق السلام العالمي وتطور مجتمع عالمي يدعم ويحمي سعادة ورفاه البشرية جمعاء، يجب أن تقوم على إدراك حقيقة أن كل شخص هو جزء لا يتجزأ من المجموع الكلي للبشرية. وبالتالي، يجب التعبير عن ترابط وتداخل العلاقات البشرية هذه في حياة غنية بالأعمال المكرسة لبناء مجتمع عالمي تتم فيه التلبية ليس فقط للاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للجنس البشري، ولكن أيضاً التلبية

1 - حربي محمد عريقات: مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع؛ الطبعة الثانية، عمان، 1997 ص 50

2 - مدحت محمد العقاد: مقدمة في التنمية والتخطيط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1980 ص 83





الكاملة لتطلعاته الروحانيّة والأخلاقيّة والثقافيّة.¹

ثانياً: التنمية الاقتصادية والنمو الاقتصادي:

إن مفهوم التنمية الاقتصادية أوسع من مفهوم النمو. فالنمو الاقتصادي يعني زيادة الناتج القومي الصافي. وتقاس معدلاته على أساس القيمة الفعلية أو الحالية المتداولة، مع الأخذ في الاعتبار مقدار التغيير في الزيادة السكانية، إضافة إلى عوامل أخرى بيئية وطبيعية. وبالرغم من اختلافات معدلات النمو الاقتصادي بين الدول، إلا أن العديد من الاقتصاديين يرون أن معدل خمسة في المئة كمعدل سنوي كاف للنمو الاقتصادي، وهو معدل لم يصله كثير من الدول بما في ذلك بعض تلك التي تسمى بالمتقدمة.²

بينما تتضمن التنمية الاقتصادية إضافة إلى ذلك تغييرات أساسية في النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي. إذن التنمية الاقتصادية ما هي إلا عملية حضارية شاملة ترتبط بخلق أوضاع جديدة ومتطورة، وتعتمد على جدية صانعي القرار في الالتزام بتحقيق التغيير من واقع متخلف إلى واقع متطور ومتقدم في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. بل حتى في المجال العسكري تحتاج الدولة دائماً إلى التطور والمتابعة والتدريب على أحدث الوسائل التكنولوجية المستخدمة.³

1 - <https://www.bic.org/statements/lswlm-wltnwmy>

2 - انظر د. مصطفى عبد الله خشيم، مرجع سبق ذكره ص 177

3 - راجع د. حربي محمد عريقات، مرجع سبق ذكره ص 51





إذن تشتمل التنمية الاقتصادية على جميع الإجراءات الداخلة في نطاق تحديد المعادلات السياسية وطرق اتخاذ القرارات الرامية إلى تحقيق نمو اقتصادي شامل.

ثالثاً: مفهوم التنمية المستدامة

لا يختلف مفهوم التنمية المستدامة عن مفهوم التنمية، إلا من حيث الاستمرار والمواصلة، وتوزيع الثروة بين الأجيال القائمة والآتية، إنها تنمية يعتبر البعد الزمني فيها هو الأساس. وقد عرفها سعد الدين إبراهيم بقوله: «هي التنمية التي تنهض بحاجات الحاضر دون تضحية بقدر الأجيال القادمة على مواجهة احتياجاتهم¹». كما عرفها بوجو BOJO بأنها: «ذلك النمط من التنمية الذي يسهم في إشباع احتياجات الأجيال الحاضرة دون التقليل من مقدرة الأجيال المقبلة على إشباع احتياجاتهم²».

ف نجد كليهما بينان تعريفيهما على التوزيع العادل بين الأجيال الحاضرة والأجيال القادمة، وأوضح أن هذه العدالة التوزيعية لا تعني عدم استغلال بعض الإمكانيات الاقتصادية التي قد تنتهي بحجة أن للأجيال المقبلة نصيباً فيها يجب تركه لهم مثل النفط. ولكن المطلوب استثمار أسعار النفط بحيث يستفيد منها الأجيال القادمة بإقامة مصانع وشركات مقدر.

«فالتنمية المستدامة لا يمكن أن تنهض وتخلق إلا بجناحين

- 1 - د. عدلي علي أبو طاحون، إدارة وتنمية الموارد البشرية والطبيعية، المكتب الجامعي الحديث الإسكندرية 2000 ص 147.
- 2 - نفس المرجع والصفحة.



أولهما التنمية الاجتماعية المتواصلة، وثانيهما التنمية الاقتصادية المتواصلة، فالنهوض بالبشر وتنميتهم كفيل بأن يمكن هؤلاء البشر من أن يرسموا لأنفسهم خطا حكيمة لاستخدام مواردهم الطبيعية وزيادة دخولهم الاقتصادية وتنظيم حياتهم الاجتماعية¹».

وهذا يعني الاهتمام بالتنمية البشرية لضمان وجود عنصر بشري قادر على تحقيق استمرارية التنمية.

رابعاً: أهداف التنمية الاقتصادية المستدامة:

لقد تناول موضوع التنمية الاقتصادية كثير من الاقتصاديين والدارسين من حيث أهدافها وغاياتها. والحق أن العقل المتفتح هو الذي يتعرف إلى الوجهات الأخرى ويتفهمها، ويقدر ما بين الثقافات من فروق أما العقل المغلق فلا ينتج إلا تسطيحا وافتراضات غامضة. والتنمية الشاملة أو المستدامة لأي مجتمع يجب أن تستمد أصالتها من الحصيلة الكلية للتقاليد والعادات والأعراف وطرق الحياة لأي طائفة اجتماعية سواء كانت متقدمة لدرجة عالية أو متأخرة إن صح التعبير إذ لا تفاضل بين الثقافات، فكلها على درجة واحدة من المساواة بحكم الاستقلالية. وعلى سبيل المثال نجد ثقافة الغرب مبنية على المادة وجمع الثروة والغاية تبرر الوسيلة. بينما ثقافة المجتمع العربي والإفريقي تقوم على الأخلاق الفاضلة والإنسانية. ألا يختلف قوام التنمية في هذين المجتمعين؟ وكيف يتم التعاون بينهما؟

1 - نفس المرجع ص 150.





ومفاد ذلك أن كل دولة تسعى إلى رفع مستوى معيشة سكانها من خلال تحقيق نسبة نمو جيدة وحياة أفضل لمواطنيها بطريق عادلة، والعمل الجاد من أجل زيادة الإنتاجية وتقليل مخاطر البطالة. انطلاقاً من مبادئها التنموية. ومعنى ذلك أن أي تعاون يجب أن يكون دعماً لهذه المبادئ والأسس. إذ لا يمكنك تربية سمكة بعيدة عن النهر ما لم تهين لها البيئة. وتحقيق هذه الأهداف القصوى يتطلب توازناً بين المدخلات (القوى البشرية- رأس المال-الأجهزة والأدوات- المباني- التكنولوجيا والمعلومات.) والمخرجات (الإنتاجية ورضا العاملين) للإنتاج ومجموع المنفعة الحدية للمستهلكين¹.

وبمعنى آخر فإن تحقيق أهداف التنمية المستدامة يتطلب توازناً في الجانبين الاقتصادي والاجتماعي عبر الزمان واختلاف المكان، وليس التركيز على جانب واحد على حساب الجانب الآخر كما هو الحال في معظم البلدان النامية. لذلك لا بد من التأكيد على أن التنمية لا تحدث إلا للإنسان نفسه لأنه الهدف من التنمية كما أنه لا يمكن أن يكون هناك تنمية اقتصادية واجتماعية بدون البدء أولاً بتنمية هذا الإنسان. فالإنسان هو عماد الدولة يعتمد تطورها أو تخلفها على كيفية تنميتها، وتفعيل قدراته. ويمكن تلخيص أهداف التنمية في النقاط

1 - انظر د. صالح محمد الشعيبي، التنمية واقتصاديات القوى العاملة، مطابع بحر العلوم 1406 هـ ص 41





الآتية:

- 1 - المساواة بين الأجيال آخذين في الاعتبار حق الأجيال القادمة في المجتمع بموارد الأرض.
- 2 - عدالة توزيع التكاليف والعوائد بين طبقات المجتمع بما لا يخل بحياة الفقراء، وقدرتهم على تلبية احتياجاتهم الأساسية، أو يغبن حقوق الأغنياء، وإنما يتم هذا التوزيع في إطار من التكامل والحرص على بذل المزيد من الجهد مع مكافأة المجددين ومعاقة المقصرين.
- 3 - عدالة توزيع الخدمات التعليمية والصحية بين طبقات المجتمع المختلفة في أماكنها الجغرافية المختلفة وبين الريف والخصر.
- 4 - عدم استغلال الآخرين كأفراد أو جماعات من قبل طبقات معينة في المجتمع
- 5 - عدالة توزيع المواد والثروات
- 6 - تأمين الفرص المتساوية وإلغاء الاستثناءات.

المبحث الثاني: دور الجامعات في بناء السلام وتحقيق التنمية

المستدامة

المطلب الأول: علاقة الجامعة بالسلام والتنمية

يعاني العالم بشكل متزايد من العنف والتطرف، لا سيما في منطقتنا العربية الإسلامية وإن كانت هذه مشكلة تهتم الغرب أيضاً. ويجب أن تكون هناك مبادرة عاجلة لوضع حد لهذا المرض المعدي يجب أن تكون هذه المبادرة ثقافية أولاً وقبل





كل شيء، لأن الثقافة هي جوهر هوية الشعوب وتشكل عاملاً هاماً لاستقرار الأمم من خلال ضمان التماسك الاجتماعي.

تعد الجامعات ومؤسسات التعليم العالي أيضاً جهات فاعلة مهمة في تثقيف قادة المستقبل وصناع السلام، الذين سيعطون شكلاً لبناء السلام في جميع أنحاء العالم. وباعتبار الجامعة، مكان الابتكار والإنتاج ونقل المعرفة، لا ينبغي أن تكون على هامش هذا الزخم الكبير.

في بداية القرن الحادي والعشرين، تحتل التنمية المستدامة مكانة مركزية في جميع السياسات العامة الوطنية والدولية. تهدف الجامعات ومؤسسات التدريب والبحث، الغنية بالموظفين والطلاب، ومسيري الأصول الذين يلعبون دوراً رئيسياً في تطوير أراضيهم، إلى تأكيد أو إعادة تأكيد التزامهم بحماية البيئة وبشكل عام. وفي هذا الإطار يتحمل التعليم العالي المهمة الكبرى للإسهام في تحديد الكيفية التي بها تواجه الأجيال القادمة التعقيدات المتعلقة بالتنمية المستدامة حسب إعلان اليونسكو. وعليه يجب أن تكون الجامعة في تطور التفكير. فالجامعة يجب عليها أن تضع سياسة للتنمية المستدامة في مجال البحث العلمي والتعليم وأيضاً في السلوكيات الإدارية والفنية للمؤسسة ومن ناحية أخرى كيف يمكن جعل وحدة التكوين مقبولا لدى مستخدمي المؤسسة إن لم تكن واضحة في تنفيذها داخل معينة!

1 – Mariane Domeizel, vice-présidente au développement durable: la mise en place de la démarche développement durable à l'université d'Aix-Marseille: un



إن دمج الركائز الثلاث للتنمية المستدامة في سياسة الجامعة لن يؤدي إلا إلى تعزيز مهمتنا التدريبية ودورنا المدني واندماجنا في المشهد المحلي.

وتلك الركائز:

○ متعدد التخصصات على أساس الجوانب الاجتماعية والبيئية والاقتصادية،

○ متعدد الأوقات لأنه يشير في تعريفه إلى التضامن بين الأجيال

○ متعدد الأماكن: لأنها تستند على أن يكون التفكير محلياً، وتطبق الفكرة على المستوى العالمي¹.

ولهذه الأسباب، فمن الصعب تصور نهج تخصصي كلاسيكي للعمل به. بل يفضل العمل بطريقة متكاملة وعالمية تتطلب منهجاً منظماً.

وليس السلام فطرياً لدى الإنسان بل هو بناء اجتماعي، ولذا نجد مثلاً رومانيا يربطه بالنزاعات والحرب عندما يقول: "من يريد السلام يجهز الحرب" لكن فكرة ثقافة السلام لا يمكنها إضفاء الشرعية على هذا النوع من التأكيد: على العكس من ذلك، فهي ثمرة نوع آخر من الحكمة.

هذه الحكمة التي وإن كانت تعترف بالنزاعات التي لا محالة لها في الوجود الإنساني بسبب أحداث متنوعة من عدة نواح

exemple de démarche systématique. Article en ligne p :

1 - المرجع نفسه





(ثقافية، سياسية، اقتصادية، اجتماعية، تعصبية، قبلية، دينية إ.خ.) إلا أنها تدعو إلى معالجتها سلمياً من أجل بناء سلام بشكل دائم والمحافظة عليه. وهذا ما يبرر ارتباط ثقافة السلام بإدارة النزاعات سلمياً.

لأن نشر ثقافة السلام وتعزيزها في العالم يتكون من إنشاء الثقة والتعاون بين الشعوب والأمم. ومعنى ذلك أنه يعمل من أجل حل المشاكل والنزاعات التي قد تنفجر بين الشعوب أو بين الأمم، وذلك عن طريق المحادثة والحوار بدلا من استعمال الأسلحة والعنف. وهدف نشر ثقافة السلام ليس محو النزاعات هذه. ولكن إيجاد سبل لمعالجتها من غير عنف. بمعنى أن نشر ثقافة السلام يقصد احترام حقوق الإنسان، والسماحة، وحل النزاعات العملي، وتنمية الفرد والجماعة.

وحسب تعريفات الأمم المتحدة "إن ثقافة السلام هي مجموعة من القيم والمواقف والسلوكيات وطريق حياة ترفض العنف وتتنبأ بحدوث النزاعات وذلك بالرجوع إلى أصولها وجذورها وتبني الحوار بين الأشخاص، والمجموعات والدول" في هذا المجال للتعليم العالي مهمة أساسية تتمثل في المساهمة في تحديد كيفية تعلم الأجيال القادمة التعامل مع تعقيدات التنمية المستدامة "(بيان اليونسكو). وبالتالي، يجب أن تكون الجامعة في قلب تطور الفكر. وبهذا. يجب أن تضع الجامعة سياسة التنمية المستدامة: في مجال البحث والتدريس ولكن أيضاً في الأمور الإدارية والفنية للمؤسسة.





علاوة على ذلك، كيف يمكن جعل عنصر التدريب ذا مصداقية لمستخدمي المؤسسة إذا لم يجد توضيحاً في التنفيذ داخل الجامعة المعنية؟ إن دمج الركائز الثلاث للتنمية المستدامة في سياسة الجامعة لن يؤدي إلا إلى تعزيز مهمتنا التدريبية ودورنا المدني واندماجنا في المشهد المحلي. لا ينبغي أن تكون الجامعة وهي مكان الابتكار والإنتاج ونقل المعرفة، على هامش هذا الزخم الكبير. ومع ذلك، فإن تنفيذ سياسة التنمية المستدامة يتطلب نقلة نوعية حقيقية.

دمج أهداف التنمية المستدامة في مناهج الكليات

على الرغم من الاضطرابات في التعليم الناجمة عن فيروس كورونا COVID-19، فإن دور الأوساط الأكاديمية في تعزيز أهداف التنمية المستدامة في حرم الجامعات أصبح أكثر أهمية من أي وقت مضى، وإدراكاً لهذه الحقيقة، عمل دورك ساها غيان¹ مع مجموعة من طلاب الدراسات العليا لإجراء البحوث ونشر نموذج لتمكين الجامعات من دمج أهداف التنمية المستدامة في مناهج الحرم الجامعي.

وفقاً للبروفيسور ساها غيان، هناك جانبان رئيسان على الأقل لدمج أهداف التنمية المستدامة والاستدامة بشكل عام في الدورات والمناهج الدراسية على مستوى الكلية، الجانب الأول هو من خلال برامج درجة الاستدامة والشهادة البيئية، والتي يخطط طلابها

1 - وهو أستاذ علوم الأرض والبيئة في جامعة ليهاي Lehigh العضوة في برنامج الأمم المتحدة للأثر الأكاديمي.





لمتابعة هذه المواضيع كمهنة والتي قام أعضاء هيئة التدريس بها بالفعل، والجانب الثاني والأكثر صعوبة هو دمج أهداف التنمية المستدامة في جميع المناهج الدراسية بالكلية للوصول إلى هؤلاء الطلاب الذين قد لا يسعون إلى تحقيق الاستدامة كعمل في حياتهم.

استحدث فريق البروفيسور ساها غيان وسيلة لمراجعة الدورات الحالية باستخدام الكلمات الرئيسية في أوصاف كتيب الدورة التدريبية لتحديد ما إذا كانت الاستدامة مركزية أو حتى ذات صلة بالدورة التدريبية، وإذا كان الأمر كذلك، فما هي أهداف التنمية المستدامة التي سيتم تعيينها؟ وتتعلق بعض الدورات التدريبية بأهداف محددة من أهداف التنمية المستدامة، ومع ذلك فإن أوصاف الدورات لم تذكر أي صلة من هذا القبيل، ولذلك فإن أحد النتائج التي خلصت إليها هذه القائمة الأولية هو أنه يمكن تنقيح أوصاف كتيب الدورة التدريبية للربط بشكل أفضل بأهداف التنمية المستدامة.

يتضمن مخزون الدورة التدريبية معلومات الدورة التدريبية الأساسية والكلمات الرئيسية والتسميات مثل "الاستدامة المركزة"، مما يعني أن التركيز الأساسي والصريح للفصل الدراسي ينصب على الاستدامة و/ أو فهم وحل واحد أو أكثر من تحديات الاستدامة، أو "ذات الصلة بالاستدامة"، أي التركيز على موضوع آخر غير الاستدامة ولكن يتضمن نمط حول الاستدامة أو تحدي الاستدامة، بما في ذلك نشاط واحد أو أكثر يركز على الاستدامة،





أو يدمج قضايا الاستدامة طوال الدورة.

كان هدف البروفيسور ساها غيان هو تحديد عدد دورات الجامعة التي تتناول بالفعل أهداف التنمية المستدامة، وكذلك تحديد الفجوات التي يمكن سدها بتعديلات متواضعة في المناهج الدراسية، وينتج عن هذا البحث نموذج يمكن تكراره في أي مؤسسة للتعليم العالي، وبمجرد وضع قائمة جرد أولية، يمكن عندئذ تحديد مجموعة أهداف التنمية المستدامة التي يتم تناولها في كل المناهج الدراسية، وتحديد الفجوات التي يمكن سدها في الدورات الحالية، وتحديد الدورات التي لا تتناول أهداف التنمية المستدامة بل يمكن أن تتناولها دون إجراء تغييرات كبيرة.¹

المطلب الثاني خبرة بعض الجامعات العربية الإسلامية في

بناء السلام

لم يكن العالم العربي الإسلامي في معزل عن بقية العالم في الرجوع إلى التعليم العالي والمؤسسات التعليمية من أجل إيجاد حل لقيضة التنمية المستدامة التي تسهم كثيرا في بناء السلام ونظرا لطبيعة البحث لن أتعرض لجميع الجامعات التي ضمت مناهجها مقومات التنمية المستدامة وسأكتفي بالحديث عن بعضها فقط وقد وقع اختياري على جامعات الإمارات العربية المتحدة. ولم يكن هذا الاختيار عامل الصدفة وإنما لما استعرضت حالة الجامعات في العالم الإسلامي لفت نظري اهتمام سلطات الإمارات بجامعاتها أكثر من غيرها،





وفضلت الحديث عنها كنموذج، يمكن للجامعات الأفريقية الاستفادة منها.

تقوم جامعات الإمارات العربية المتحدة بدور فعال وإيجابي في تحقيق ومواكبة أهداف الاستدامة العالمية من خلال دعم المبادرات والمشاريع البحثية التي تسعى إلى تحقيق هذه الأهداف وعنها نجد حسين بن إبراهيم الحمادي، وزير التربية والتعليم في دولة الإمارات العربية يؤكد على أن قطاع التعليم العالي بالدولة مبني على قاعدة صلبة، ويلعب دوراً مهماً في تكريس خطط التنمية المستدامة لعام 2030، حيث تحتضن الدولة أكثر من 1200 برنامج أكاديمي معتمد في مختلف التخصصات في مؤسسات التعليم العالي المرخصة في الدولة، وتحظى بأكبر عدد لفروع الجامعات الأجنبية في بلد واحد على مستوى العالم. كما تتميز بتنوع الأنظمة التعليمية المطبقة فيها مع وجود قاعدة وطنية مشتركة يتعين على جميع المؤسسات الالتزام بها من خلال تطبيق معايير الترخيص والاعتماد الأكاديمي، والوفاء بما تفرضه مواصفات المستويات المختلفة للمؤهلات المحددة من قبل المنظومة الوطنية للمؤهلات.

جاء ذلك خلال ورشة عمل وطنية بعنوان " تفعيل دور الجامعات الإماراتية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة 2030" التي نفذها المركز الإقليمي للتخطيط التربوي بالشراكة مع وزارة التربية والتعليم، ومنظمة اليونسكو، واللجنة الوطنية



الإماراتية للتربية والثقافة والعلوم، ومكتب اليونسكو الإقليمي للدول العربية في بيروت ومكتب اليونسكو شبه الإقليمي لدول الخليج، وبمشاركة 13 جامعة في الدولة¹.

ومن أهداف الورشة تزويد ممثلي مؤسسات التعليم العالي في الإمارات بجوانب متعددة وعامة عن أهداف التنمية المستدامة، وعلاقتها بالعمل المتنوع للجامعات، وتزويد ممثلي مؤسسات التعليم العالي في الإمارات بمعلومات عملية حول كيفية المساهمة في تحقيق أهداف التنمية المستدامة والدور الذي يمكن القيام به.

ونجد أن الجامعات الإماراتية تهدف إلى تطوير منظومة تعليمية مبتكرة وعالية الجودة في المسارات الأكاديمية والمهنية على حد سواء، تحقق مخرجات بحثية مؤثرة وتساهم في رفد عجلة اقتصاد المعرفة. مما يحقق لا محالة التنمية المستدامة ولا شك أن جامعاتنا لو وطدت علاقاتها بالجامعات الإماراتية ونهلن من منهلها لطلقت في السماء إنجازا ونجاحا.

وعلى كل حال هناك ركائز أساسية يجب على جامعاتنا أن تدمجها في أنشطتها إن أرادت لنفسها النجاح في المجال وهي:

- المشاركة الفعالة في التنمية المستدامة للمنطقة.

- تعزيز دور الجامعات التي أصبحت محركات فاعلة للتنمية

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

1- <https://ar.unesco.org/news/ljmt-lmrty-tlb-dwran-mhwrywan-fy-thqyq-hdf-ltnmy-lmstdm-2030>





- مشاركة الجامعات في البحث العلمي ونقل المعرفة والابتكار لتسهيل ظهور قطاعات اقتصادية عالية القيمة.
- المساهمة المباشرة في أمن الطاقة وتكامل مصادر الطاقة المتجددة.
- البحث عن حلول مبتكرة لتعزيز التماسك الاجتماعي ومنع النزاعات في المنطقة.

المطلب الثالث: الاستفادة من المنظمات الدولية في بناء السلام وتحقيق التنمية المستدامة

ويمكن لجامعاتنا أن تستفيد من مشاريع ومخططات المنظمات الدولية والإقليمية من أجل بناء السلام والتعايش السلمي كخطوة أولى في تحقيق التنمية المستدامة وبدون تنمية الموارد البشرية لن نحصل على تنمية أيا كان نوعها.

وقدّم الدكتور أنس بوهلال، اختصاصي برنامج التعليم العالي في مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية في بيروت، عرضاً متخصصاً عن أهمية دور مؤسسات التعليم العالي في تحقيق أهداف التنمية المستدامة، واستعرض التجارب الإقليمية في هذا المجال واستراتيجيات دمج أهداف التنمية المستدامة في خطط وبرامج الجامعة، خاصةً فيما يتعلق ببرامج البحث العلمي ودورها في معالجة التحديات التي تعوق تحقيق أهداف التنمية المستدامة على المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية، مما يعمل على إبراز جهود الدول في هذا المجال. كما استعرض برنامج كراسي اليونسكو وواقع



الجامعات الوطنية والاقليمية والعالمية بالنسبة للانضمام لهذا البرنامج، وشرح نبذة عن كراسي اليونسكو وأهميتها في دعم البحث العلمي وآليات واستراتيجيات الانضمام لها، وعائد ذلك على الجامعة والدولة.

أولاً: منظمة الأمم المتحدة

ينص ميثاق الأمم المتحدة على أن الأمم المتحدة قد تأسست "لإنقاذ الأجيال المقبلة من ويلات الحرب". ولسوء الحظ، كان هناك أكثر من 250 نزاعاً مسلحاً منذ التوقيع على الميثاق في عام 1946 وكان الهدف تعزيز مجتمعات عادلة ومسالمة وشاملة. ويدعو الدول الأعضاء إلى تعزيز التعايش السلمي بين الشعوب. ومن بين أهدافها الأساسية استئصال الاتجار بالأسلحة والجريمة المنظمة، والحد بشكل كبير من جميع أشكال العنف في جميع أنحاء العالم. ويعد الحفاظ على السلام والأمن العالميين قضية مركزية لا غنى عنها لتحقيق أهداف التنمية المستدامة. يشارك العديد من مكاتب الأمم المتحدة في تعزيز وصون السلام والأمن، بما في ذلك: مجلس الأمن، والجمعية العامة، والأمين العام، وإدارة عمليات حفظ السلام، والدعم الميداني والشؤون السياسية، ومكتب دعم بناء السلام.¹

ونجد أن الأمم المتحدة قد وضعت اللبنة الأساسية من أجل بناء السلام وتحقيق التنمية وهي تمثل لجامعاتنا خير منطلق

1- <https://www.un.org/fr/impact-universitaire/paix-et-r%C3%A9solution-des-conflits>





ووسيلة ناجعة لتحقيق خدماتها الاجتماعية وضمان راحة النفس والتعايش السلمي بين المجتمعات.

ثانياً: منتدى أبو ظبي للسلم

ومن حكمة الله أنه على رأس كل مائة سنة يختار لأمته من يقوم على إصلاح أمورهم وقودهم نحو حياة أفضل. وقد رأينا في الشيخ الفاضل العالم المتواضع صفات قل ما نجدها عند غيره من العلماء فنراه يحمل هموم المسلمين وغيرهم وكأنها همومه الخاصة، يعمل ليل نهار من أجل راحة الآخرين، يدعو إلى التسامح ولا يرضى بغيره يقود في مجال التأخي والمحبة والمؤازرة من أجل القضاء على التمزق والبغض والعداوة وأكثر من ذلك يدعو إلى القضاء على كل أنواع التخلف العلمي والحضاري كما يدعو إلى التنمية المستدامة وإفشاء السلام في العالم جمعاء.

فكل هذه الصفات جعلتني أقول إنه من أخرج الله لنا في المائة السنة التي نعيشها كي نستنصر بفكره النير وبمنهجه القيم. وعلى الجامعات والمؤسسات التعليمية المبادرة إلى اتخاذ منهجه مصباحاً في طريقها إلى النجاح.

ومنهجه يقوم على التشخيص ثم العلاج فهو بعد أن حدد مواطن المرض في المجتمع العالمي قدم وسائل علاجه فيما يلي:

- إعداد خطة متكاملة فاعلة ومندمجة ومستوعبة للتراث الإنساني للتصدي للتطرف والاحتراب والجريمة العابرة للحدود.





- تطوير مناهج التفكير، وآليات العمل وفق وسائل مبتكرة: سلمية ومشروعة لمواجهة العنف والتطرف فكرياً وممارسة.
- مزيد من جسور التعاون بين الأديان والثقافات، أوبين رجال الدين والفاعلين في المجالات الإنسانية والحقوقية على ضوء مبدأ "تحالف القيم" و"الجوار الإنساني".
- إعادة الاعتبار لفكر التسامح الديني، والتعايش السلمي بين الأفراد والشعوب استلهاماً للمبادئ الإنسانية العالمية، وتجييداً للرسالة السامية التي أرستها صحيفة المدينة المنورة.
- تفعيل ميثاق حلف الفضول الجديد وإبراز خصوصيته وما يحتويه من القيم والفضائل، ويفتحه من أفاق واعدة للتعايش وتوحيد الناس على أساس "التعارف" و"التعاون" و"الإخوة الإنسانية".
- استلهام التقاليد العظيمة والممارسات الاجتماعية النبيلة التي يزر بها التراث الثقافي والفني الإفريقي في مجال تعزيز قيم السلم والتسامح والتعايش، وفض النزاعات بطرق سلمية، كما تجسده جلسات الحكمة تحت ظل شجر الدوم البواباب الإفريقية لتدبير الاختلاف بن المزارعين والرعاة.
- يدعو إلى الاستفادة من النماذج المجتمعية المعاصرة مثل نموذج أبونتو في جنوب إفريقيا في مجال المصالحة، ونموذج دولة الإمارات العربية المتحدة في مجال التسامح.
- إجراء عدة ندوات سنوية من أجل تربية الشباب وتعليمهم ما يحقق لهم السعادة والتعايش السلمي.









البيان الختامي





البيان الختامي للمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم نواكشوط 6 إلى 8 رجب 1443 هـ / 10-08 فبراير 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين؛
وبعد:

- نظراً إلى إيماننا العميق بثراء التراث الثقافي، وتعدد الروافد الحضارية، وتنوع النظم الاجتماعية التي تميز القارة الإفريقية، فإننا واثقون بأنها تستطيع أن تبتكر مشروعاً فكرياً متكاملًا لإطفاء نيران الاحتراب، والتصدي للتطرف الذي تكاد حرائقه أن تلتهم مناطق واسعة من قارتنا الخضراء.

- ونظراً إلى أن التطرف ما فتى يوظف الفكر الديني لتحقيق مآرب تدميرية، تتمثل في زعزعة الاستقرار، وتهديد السلم الوطني والدولي، فقد أصبح «واجب الوقت» على العلماء والقادة الدينيين التدخل العاجل من أجل التصدي للعنف والتطرف، والمساعدة في فهم هذه الظاهرة، وتحليل أسبابها، ومعرفة تشكيلاتها وملابساتها، واستشراف مآلاتها المستقبلية، وتفكيك الخطاب الأيديولوجي الذي تستمد منه «شرعيتها» وما توظفه من مناهج خاطئة في الاستدلال، ومفاهيم مغلوطة في مجالي الدين والسياسة، وتنزيل خاطئ للنصوص الشرعية





على غير محلها، وعدم مراعاة العلاقة النازمة بين خطاب الوضع وخطاب التكليف .

- وإدراكاً منا لأهمية الأمن الروحي، وأنه صار في عدد من دول القارة في دائرة الخطر، تماماً كالنسيج الاجتماعي، نتيجة مخاطر تفاقم التفكك والتشردم جراء خطاب التطرف الذي يقوم على تأجيج النعرات العرقية وتغذية الاحتراب الداخلي.

- وانطلاقاً من ضرورة اضطلاع علماء إفريقيا بمسؤوليتهم الدينية والوطنية والتاريخية بتقديم مقترحات عملية تهدف إلى نقل بلدان القارة - ممثلة في فعاليتها الدينية - من حالة التأثر والانفعال، إلى مرحلة التأثير الفعال، ومن المسابرة إلى المبادرة في تعزيز السلام الإقليمي والعالمي.

- وإدراكاً منا لاتساع نطاق استباحة حرمة الأنفس والأعراض والأموال، وفداحة مخلفات الإرهاب على الأمن النفسي والاجتماعي، واستنزافه للطاقات البشرية والاقتصادية، مما جعل المجتمعات تحتاج - اليوم - إلى إطفائين همهم الوحيد كيف يكون إطفاء الحريق؛ حتى يتعافى جسد القارة مما يهيضه ويرهقه.

- واستثماراً لما حظي به إعلان نواكشوط في سنة 2020م من قبول واستحسان وما ناله من إشادة وتنويه، على المستويين الإقليمي والدولي من جهات على رأسها الاتحاد الإفريقي الذي تبنى على مستوى قمته في فبراير من سنة 2020م مضامين (إعلان نواكشوط) ليبرهن على وجاهة المبادرة وراهنية الموضوع.



-وتفصيلاً لمخرجات إعلان نواكشوط 2020، واستجابة للحاجة الملحة إلى جهد مشترك بين القيادات الدينية في المنطقة لمواجهة خطر الإرهاب والتطرف.

- واستجابة للتحديات الوجودية التي تواجه الإنسانية جمعاء، جراء وباء كوفيد 19 المستجد (كورونا) الذي غير برامج وخطط البشرية، وأعاد ترتيب أولوياتها وساءل توجهاتها القيمة.

وفي مدينة نواكشوط، وتحت الرعاية السامية لفخامة الرئيس السيد محمد ولد الشيخ الغزواني، رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية، هذا البلد، الذي كان ولا يزال بهويته الإسلامية العربية الإفريقية، مثابة لطلاب العلم ومأوى لمريدي الخير، ومصدرا لبعوث الدعوة.

وبشراكة بين الحكومة الموريتانية والمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم، إحدى مبادرات منتدى أبوظبي للسلم، بدولة الإمارات العربية المتحدة، أيام 6 إلى 8 رجب 1443هـ / 8 إلى 10 فبراير 2022م،

اختار المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم شعار «بذل السلام للعالم» عنواناً لملتقاه الثاني. وذلك تماشياً مع ما ورد في إعلان نواكشوط 2020 حيث «دعا المؤتمر المشاركين إلى ابتكار حلول تستنير بمقاصد الشريعة السمحة في الحفاظ على الضروريات الخمس، وملاحم التراث الإفريقي العريق في المصالحات وتجنب النزاعات الأهلية.

وقد احتضن الملتقى مئات المشاركين ما بين وزراء، وممثلي





منظمات أممية، ومسؤولي منظمات إسلامية، وسفراء وممثلي هيئات حكومية ومراكز ومنظمات دولية، ومفتين وعلماء وقضاة وقيادات دينية، ومفكرين وشخصيات أكاديمية ونواب برلمانيين وغيرهم. كما حظي الملتقى بمتابعة الآلاف لجلساته وأعماله عبر وسائل الإعلام والمنصات الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي في مختلف دول العالم وباللغات المختلفة.

وقد تناولت جلسات الملتقى محاور مختلفة، من أهمها، ما يلي: إفريقيا-الوضع الراهن والمقاربات، تفكيك الخطاب المتطرف وتصحيح المفاهيم الشرعية، الحوارات والمصالحات وتعزيز السلم المجتمعي، الدين حافزاً على المواطنة، التراث الإفريقي رافداً للسلم، وإفريقيا- قارة المستقبل.

كما شهد الملتقى كذلك عدة ورشات حول الأدوار الإيجابية للتعليم والإعلام والشباب في صناعة السلم ومكافحة التطرف. وقد خلص المشاركون في الملتقى الثاني للمؤتمر الإفريقي بعد تبادل وجهات النظر في القضايا المدروسة، مستحضرين خصوصية الظرفية الإقليمية والعالمية، إلى ما يلي:

أولاً- النتائج:

1- يأتي هذا الملتقى وقد مرّ العالم، ولا يزال يمر، بجائحة كورونا التي أكدت أولوية البحث عن قيم التضامن. فالبشر اليوم مثل ركاب السفينة يحكمهم مصير مشترك. وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً للمجتمع بركاب سفينة من طابقين، أراد أصحاب الطابق الأسفل أن يعملوا خرقاً في الجزء الخاص



بهم، وهنا ينبه الحديث إلى أن أهل الطابق الأعلى لو (تَرَكَوْهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا). فالمصير المشترك يعني مسؤولية مشتركة.

2- كما يأتي اختيار (بذل السلام للعالم) شعاراً للملتقى هذا العام اقتباساً من الحديث الصحيح: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من إقتار». وذلك تذكيراً وتأكيداً على أن المسلم الحق مطلوب منه أن يبذل السلام للعالم كله إنساناً وحيواناً وبيئاً، بأن يكف يده عن الأذى، ولسانه عن نشر الفتن، وقلبه عن الكراهية.

3- إنَّ للأزمات التي تعانيها إفريقيا أبعاداً سياسية وتنموية واجتماعية؛ وعليه، فإن حلولها لا بد أن تكون شاملة، غير أن البعد الذي يعالجه هذا الملتقى هو البعد الفكري، فإذا صلحت الأفكار صحت الأعمال.

4- هذا الملتقى منصة لإعلان الموقف الشرعي، وفرصة للعلماء والمصلحين أن يدعو كل حامل سلاح أن يضع سلاحه، وكل خارج عن الجماعة أن يعود إلى مجتمعه، وكل من كفر النَّاس أن يعود إلى منطق الشرع، فتكفير المسلم كقتله كما ورد في الحديث.

5- إن الدعوة إلى السلام هي دعوة إلى إحياء النفس ﴿ومَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، وهي من واجبنا جميعاً تجاه غيرنا؛ ففي الحديث الشريف: (مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ). وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ النِّفْعِ أَنْ نَمْنَعَ النَّاسَ مِنَ الْفِتَنِ وَنَحْمِيَهُمْ





من الاقتتال والقتل.

6- إن دعوة السلم هي دعوة محبة وشفقة على أبنائنا الشباب من أن يضيعوا أعمارهم وأوطانهم في تدمير ذاتي لا تعمير، وفي ضياع لا صلاح. إنّه تذكير لهم بأنّ الأجر بهم أن يعمروا الأوطان، ويرفعوا البنين، ويقيموا الصلاة، ويرفعوا الأذان وأن يحيوا الأرض بالزرع والعمل الصالح ونشر العلوم وبر الوالدين.

7- على العلماء والأكاديميين العارفين بمقاصد الشريعة الالتفات إلى فقه السلم، ففيه إحياء للتوجيهات القرآنية والنبوية، وضبط للمفاهيم الشرعية.

8- المفهوم الشرعي محكوم بخطابين: خطاب تكليف وخطاب وضع. فإذا اختلّ خطاب الوضع بشروطه وأسبابه وموانعه، اختلّ خطاب التكليف فينقلب الأمر المطلوب محرماً.

9- لا بد من تحديد وتجديد المفاهيم بكل قوة ووضوح، وضبط علاقتها بالمصالح، والكشف عن ضوابطها وحدودها الشرعية في ضوء النصوص الحاكمة والمقاصد.

10- إن كثيراً مما يعيشه الناس اليوم من فتن مرده إلى التباس مفاهيم دينية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، وطاعة أولي الأمر؛ وهي مفاهيم كانت في الأصل سياجاً على السلم وأدوات للحفاظ على الحياة ومظهراً من مظاهر الرحمة الربانية التي جاء بها الإسلام، أدى فهمها على غير حقيقتها إلى ممارسات ضد مقصدها الأصلي وهدفها وغايتها.

11- أن من أهم ما ينبغي التركيز عليه: الدعوة إلى إعادة



الفاعلية لمبدأ الحوار والمصالحة، انطلاقاً من القناعة الراسخة بأن الحلول العسكرية والأمنية وحدها غير كافية، وأنه آن الأوان لنستعيد التراث الإفريقي الأصيل في التسامح وفي حل المشكلات بالحوار والوساطات والمصالحات بالحكمة، تحت أشجار البواباب (الدوم) أو النخيل المثمرة.

12- إن التنازلات والملاءمات من صميم الشرع ومنطق العقل، هكذا علمنا النبي ﷺ من خلال صلح الحديبية، ولا يعتبر هذا النوع من التنزيل للقيم تنازلاً عن حقيقة أو تخلياً عن حق، بل هو بحث عن أنجع السبل لإحقاق الحق ورد الظلم، وحتى لا ينقلب المظلوم ظالماً.

13- بالحوار يُبحث عن المشتركات والحلول الوسط التي تضمن مصالح الجميع، وتدرأ الحسم العنيف، وتبتكر الملاءمات والمواءمات، التي هي من طبيعة الوجود، ولهذا أقرها الإسلام، وفق موازين المصالح والمفاسد المعتمدة.

14- الجهاد كما شرعه الله عز وجل ومارسه النبي ﷺ وصحابته الراشدون، كان من أجل السلم والرَّحمة، أما التطرف والعنف فهما بغي وخروج على الناس بالسيف، لم تتوافر فيه أسباب الجهاد ولم تتوافر فيه شروطه. كما أنه عبث لا يحق حقاً ولا يبطل باطلاً، بل يزهق النفوس البريئة ويؤجج الاقتتال الداخلي والحروب الأهلية التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)، وهو أيضاً فساد في الأرض ينغص معاش الناس ويروّع أمنهم:





﴿وَمَنْ النَّاسَ مَنْ يُعْجَبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾.

15- إن سبيل الله، نجاه وليست فوتاً، وحياة وليست موتاً، ﴿يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾.
16- إن من المهم أن نوضح لأولئك الذين يرفعون تطبيق الشريعة شعاراً وذريعة للعنف، أن أول تطبيق للشريعة هو إحلال السلام وإيقاف الحرب.

17- إن السلام مقصد أعلى تتحقق من خلاله بقية المقاصد، فبالسلام ترفع الدعائم الخمس، وتقام الصلوات الخمس، وتحفظ الكليات الخمس، وتحقق القيم الخمس، وتطبق القواعد الخمس.
18- إنه في ظل الأمن والسلام ترفع دعائم الإسلام الخمس من شهادتين، وصلاة وصيام وزكاة وحج. وفي ظلاله تقام الصلوات الخمس ﴿فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة﴾، فبالسلام تلتئم الجماعات والجمع، ويرفع أذان الإيمان والأمان، وبه تحفظ الكليات الخمس من دين ونفس وعقل وعرض ومال. وفي ظل السلام تحقق القيم الخمس الحاكمة للشريعة من خير ورحمة، وعدل وحكمة ومصلحة. وبالسلام تحقق القواعد الفقهية الخمس النازمة لكل الشريعة؛ فالأمور بمقاصدها، والضرر يزال، والعادة محكمة، والمشقة تجلب التيسير، واليقين لا يزول بالشك.

19- أظهرت جائحة كورونا أن الدولة الوطنية هي الملاذ الطبيعي والضروري لدى الأزمات، فهي الخط الأول في وضع





الأطر المناسبة للتصدّي لهذه التحدّيات.

20- ينبغي توجيه كل الجهود التأسيسية إلى جعل الانتماء الديني حافزاً لتجسيد المواطنة والعيش في ظل الدولة الوطنية.

ثانياً - التوصيات

وقد أوصى المشاركون في الملتقى بما يلي:

1- التأكيد على الحاجة إلى مواصلة البحث عن خطاب جديد مقنع، ومقاربة متجددة تفتح الآفاق وتقترح الحلول بعيداً عن خطاب اليأس والقنوط الذي نُهي عنه المؤمنون: ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾.

2- استحداث لجنة للحوار والمصالحات والتنمية، تجمع بين الحكماء والوجهاء والعلماء في كل بلد، وتعنى بالوساطات والمصالحات لفض النزاعات ذات الأشكال والأنماط المختلفة، سواء أكان مردها إلى ضغائن وإحن تاريخية أو عصبية عرقية وقبلية أم كان سببها الفكر المتطرف والإرهاب. ومن وظائف هذه الهيئة المقترحة التكوين والتدريب على ثقافة الحوار وآلياته ومبادئه وإشكالاته.

3- إنشاء وتنظيم قوافل السلام، تتكون من الأئمة والوجهاء من مختلف العرقيات والقبائل في المناطق التي تعاني من الحروب الأهلية والصراعات الدموية. تهدف إلى العمل الميداني المؤثر في نشر قيم التسامح والأخوة، وتكون رسل مودة تخفف غلواء الاختلاف وتعزز أواصر المحبة والأخوة داخل المجتمعات.

4- ضرورة أن يصحب هذا الجهد الفكري جهد تنموي يعمل





على مساعدة المتضررين وتشغيل العاطلين وتعزيز دور الدولة الوطنية وزيادة حضورها.

5- إشادة المؤتمرين بأنموذج دولة الإمارات العربية المتحدة في دعم جهود السلام والمصالحات في كل دول العالم وبخاصة في إفريقيا ودول الساحل، انطلاقاً من رؤيتها الثابتة لأهمية التعايش والتصالح والتسامح.

6. تأسيس «جائزة إفريقيا لتعزيز السلم» لتكون تشجيعاً وتقديراً لمن لهم إسهامات بارزة في مجال السلم والمصالحات من علماء ومفكرين وشباب وصناع قرار في القارة الإفريقية.

7- تأسيس منصة إلكترونية تفاعلية لمتابعة التوصيات والاقتراحات وبلورة الأفكار.

8- تأسيس مقر رئيس للمؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم يُعنى بتعزيز السلم، وبحث قيم التسامح والتعايش في إفريقيا ودول الساحل في نواكشوط، ليكون مقراً لانطلاق أعمال المؤتمر في مختلف دول القارة.

9- تشجيع وتكثيف لقاء القيادات الدينية بغية إبراز أن الدين يبني الجسور بين الثقافات، ويمكنه أن يكون قوة للسكينة والمصالحات.

10- تكوين لجان تربوية لإعداد برامج تعليمية لمكافحة أفكار التطرف والغلو.

11- عقد شراكات بين المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم، والمؤسسات الدينية والجامعية الحكومية والخاصة الإقليمية



والدولية لتفعيل ومتابعة تنفيذ مضامين إعلان نواكشوط
2020 .

12- نشر مخرجات ومضامين هذا الملتقى عبر شبكات
التواصل وفي وسائل الإعلام في مختلف دول القارة، وبمختلف
اللغات الإفريقية لتصل رسائله وأفكاره إلى جميع فئات
المجتمع.

ويطيب للمشاركين في الملتقى الثاني للمؤتمر الإفريقي
لتعزيز السلم أن يعبروا عن صادق شكرهم، وجزيل ثنائهم
لحكومة الجمهورية الإسلامية الموريتانية على تيسيرها انعقاد
هذا الملتقى في أوانه، وبمستواه المعهد بأفضل السبل
المتاحة في هذه الظروف الاستثنائية، وأن يرفعوا أسمى مشاعر
الامتنان لفخامة الرئيس محمد ولد الشيخ الغزواني حفظه
الله على رعايته الكريمة لهذا المؤتمر. كما يتوجهون بفائق
الشكر لدولة الإمارات العربية المتحدة على دعمها لهذا المؤتمر
ورعايتها المتواصلة له.

كما يشكر المشاركون فخامة الرئيس محمد بازوم -رئيس
جمهورية النيجر على تشريفه للمؤتمر ومشاركته القيمة في
أعماله.

داعين الله أن يحفظ الأوطان ويصلح الأعمال ويرفع الوباء
والبلاء عن البشرية جمعاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والحمد لله الذي بنعمته
تتم الصالحات.





335



نواكشوط 08 - 10 فبراير 2022

وحرر بنواكشوط في 08 رجب 1443هـ / 10 فبراير 2022م لجنة البيان الختامي





الفهرس

5	الورقة التصويرية
	الجلسة الافتتاحية
14	كلمة فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الموريتانية محمد ولد الشيخ الغزواني
18	خطاب فخامة السيد محمد بازوم رئيس جمهورية النيجر
27	خطاب معالي العلامة عبد الله بن الشيخ المحفوظ بن بيّه رئيس منتدى أبو ظبي للسلم رئيس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي
40	كلمة الدكتور محمد كوني وزير الشؤون الدينية بجمهورية مالي
	الوضع الراهن والمقاربات
46	سعادة الدكتور محمد عبد الله ولد الطالب اعبيدي المقاربة الأمنية الموريتانية لمحاربة التطرف العنيف





تفكيك الخطاب المتطرف وتصحيح المفاهيم

60

سماحة الشيخ أحمد النور محمد الحلو
مفهوم التكفير وأسبابه وطرق علاجه

86

فضيلة العلامة الشيخ يعقوب دوكوري
المذاهب والفرق الإسلامية
الشيعة وأهل السنة نموذجاً

الحوارات والمصالحات وتعزيز السلم الاجتماعي

114

الشيخ الإمام الدكتور محمود ديكو
المصالحة والحوار للسلام

122

سماحة الشيخ أبو بكر يعقوب دوكوري
حاجة الأفراد والمجتمعات إلى الحوارات
والمصالحات للتعايش السلمي

الدين حافز على المواطنة

136

البرفيسور الخضر عبد الباقي محمد
"المصالحة بين الهوية الدينية والهوية الوطنية
ورفع التعارض بينهما ودور العلماء في بناء الثقة
بين المواطنين ودولهم وتعزيز شعورهم بالانتماء"





التراث الإفريقي رافد للسلم

160

فضيلة الدكتور يونس سعيد
"السلم والتعايش في التراث الإفريقي"
قراءة في ذاكرة الإمبراطوريات الكبرى
والأديان التقليدية والتراث المخطوط

المرأة والشباب الإفريقي رهان السلم وتحديات
التنمية

226

سعادة الدكتورة أمّنة جالو
دور الشباب والمرأة في تعزيز ثقافة السلم ونشرها

الهجرة غير الشرعية مأساة متكررة ومقاربات إنسانية

238

معالي الدكتور إسلامو
ولد سيد المصطف
ظاهرة الهجرة غير الشرعية

إفريقيا قارة المستقبل

256

أ.د. عطيه محمود محمد الطنطاوي
دور التعليم في مقاومة الإرهاب في إفريقيا





339



نواكشوط 08 - 10 فبراير 2022

290

الأستاذ الدكتور / عبد القادر إدريس ميغا
دور الجامعات العربية والإسلامية في بناء -
السلام وتحقيق التنمية المستدامة

324

البيان الختامي





أعمال المؤتمر الإفريقي لتعزيز السلم
بذل السلم للعالم

